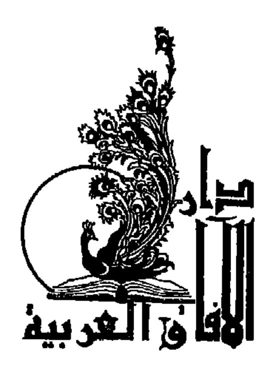


إعجاز الطب النبوي

تأليف

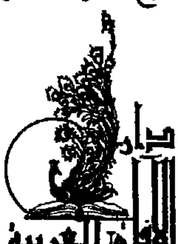
الدكتور/ السيد عبد الحكيم عبد الله




إعجاز
الطب النبوي

الطبعة الأولى

١٤١٨هـ - ١٩٩٨م



القاهرة - ٥٥ شـارع محمـود طلعت
(من شارع الطيران) - مدينة نصر
تليفون : ٢٦١٠١٦٤

رقم الإيداع :٢١١٦ لسنة ١٩٩٨
الترقيم الدولى : 977-5727-14-6

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــــدمـــة

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، الهادى إلى الصراط المستقيم ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد ، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى وأوثق العربى كلمة التقوى ، وخير الملل ملة إبراهيم ، وخير السنن سنة محمد ﷺ ، وأشرف الحديث ذكر الله ، وأحسن القصص هذا القرآن ، وخير الأمور عوازمها ، وشر الأمور محدثاتها ، وأحسن الهدى هدى الأنبياء ، وأشرف الموت قتل الشهداء ، وأعمى العمى الضلالة بعد الهدى وخير العلم مانفع وخير الهدى ما اتبع ، وشر العمى عمى القلب ، واليد العليا خير مناليد السفلى ، وما قل وكفى خير مما كثر وألهى ، وشر المعذرة[1] حين يحضر الموت وشر الندامة يوم القيامة ، ومن الناس من لا يأتى الصلاة إلا دبرا[2] ، ومنهم من لا يذكر الله إلا هجـــرا[3] ، وأعظم الخطايا اللسان الكذوب ، وخير الغنى النفس ، وخير الزاد التقوى ، ورأس الحكمة مخافة الله ، وخيرها ما وقر فى القلب اليقين والارتياب من الكفر ، والنياحة[4] من عمل الجاهلية ، والغلول[5] من جثا جهنم ، والكنز كى من النار ، والشعر[6] من مزامير إبليس ، والخمر جماع الإثم ، والنساء حبالة[7] الشيطان ، والشباب شعبة من الجنون ، وشر المكاسب كسب الربا ، وشر المآكل مال اليتيم ، والسعيد من وعظ بغيره ، والشقى من شقى فى بطن أمه ، وإنما يصير أحدكم إلى موضع أربعة[8] أذرع والأمر بآخره ، وملاك[9] العمل خواتمه ، وشر الروايا[10] روايا

(١) المعذرة : أى التوبة عند الغرغرة لأنها لا تنفع . (٢) أى بعد فوات وقتها .

(٣) أى من غير إخلاص . (٤) النياحة : النوح على الميت بوالهفاه واجملاه .

(٥) الغلول : الخيانة- جثا جهنم ، جثا : جم جثوة الحجارة المجموعة فى جهنم لإحراق الخائن .

(٦) إذا كان محرما . (٧) الحبالة : المصيدة .

(٨) القبر . (٩) وملاك : قوامه أى ما يقوم عليه . (١٠) الروايا : جمع رواية أى ناقل الحديث .

الكذب ، وكل ما هو آت قريب ، وسباب المؤمن فسوق ، وقتال[1] المؤمن كفر ، وأكل[2] لحمه من معصية الله ، وحرمة ماله كحرمة دمه ، ومن يتأل[3] على الله يكذبه ، ومن يغفر يغفر الله له ، ومن يعف يعف الله عنه ، ومن يكظم الغيظ يأجره الله ، ومن يصبر على الرزية يعوضه الله ، ومن يتبع السمعة يسمع الله به[4] ، ومن يصبر يضعف[5] الله له ، ومن يعص الله يعذبه الله »[6] .

يقول الله عز وجل ﴿**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**﴾[7] الذاريات : ٥٦ ، ﴿**فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون**﴾[8] الجمعة : ١٠ .

فالإنسان فى حياته إما فى عبادة وذكر الله ، وإما فى السعى فى طلب الرزق وأداء متطلبات الحياة ، وهو فى هذا وذاك يحتاج إلى أن يكون سليما معافى ، فبدون الصحة ، يتوقف نشاطه أو تقل حركته ، ويحتاج إلى مساعدة الغير لمعاونته فى أعباء الحياة ، كما أنه لا يستطيع أداء العبادات على الوجه الأمثل أو يتعذرعليه أداؤها ، وفقا لمدى حالته المرضية .

من هنا جاءت أهمية المحافظة على الصحة والتداوى من الأمراض ، لأنها الوسيلة نستطيع المشاركة فى أعباء الحياة ، ونمارس حياتنا وعباداتنا على الوجه المطلوب .

والعلم رغم تقدمه الكبير فى السنوات الأخيرة من هذا القرن فى مختلف مجالات العلوم ومنها الطب ، إلا أنه ما زال يقف عاجزا أمام الكثير من الأمراض وكيفية علاجها .

ويظهر هذا العجز واضحا ، عندما يعلن مثلا عن اكتشاف دواء لعلاج مرض معين ، ثم يتراجع بعد سنوات ويكتشف أن هذا الدواء له آثار جانبية نسبب أضرار أو أمراضا أخرى وأحيانا تكون أخطر من المرض الأول .

كما يقف العلم طويلا أمام الدواء الذى يأخذه مريض فيُعافى ، ثم يأخذه آخر متشابه فى الحالة ، فلا يتم الشفاء .

---

(١) كفر إن استحل قتله بلا تأويل أو هو تنفير .
(٢) غيبته .
(٣) من يحلف على الله بحصول أمر قطعا يكذبه .
(٤) من يرائى يفضحه الله .
(٥) يؤته أجره مرتين .
(٦) من خطب الرسول ﷺ جمع وشرح محمد خليل الخطيب ص ١٢٦ ، ١٢٧ .
(٧) سورة (الذاريات) الآية [٥٦] .
(٨) سورة (الجمعة) الآية [١٠] .

وهناك أمثلة كثيرة تدل على أن العلم الحديث رغم تقدمه النسبى ، ما زال كنقطة صغيرة بالنسبة لبحر العلم الإلهى ، وذلك مصداقا لقوله تعالى : ﴿ **وما أوتيتم من العلم إلا قليلا** ﴾ .

لهذا كانت حاجتنا ماسة إلى ما جاء به سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ الذى يستمد أقواله وأفعاله من المدد الإلهى العظيم ، وقد أرشدنا إلى كثير من الأمور التى تحفظ لنا صحتنا ، وتيسر لنا سبل الشفاء ، مما يدعو إلى التمسك بكل ما ورد عنه صلوات الله وسلامه عليه حتى نفوز بالخير الجزيل فى الدنيا والآخرة .

والهدى النبوى فى الصحة البدنية تعنى بصحة الإنسان فى حالتى الصحة والمرض ، فيدعو إلى النظافة والطهارة والإمتناع عن تناول المواد الضارة كالمخدرة والمسكرة والمُفترة[1] ، وتناول المأكولات المفيدة كعسل النحل وعدم المكوث بين الشمس والظل ، ويدله على الدواء الناجح لكثر من الأمراض .

وصحة المسلم النفسية من الأمور التى وردت فيها أيضا أحاديث نبوية شريفة تنهى عن الغضب ، أو تدله على بعض الرقى والدعوات التى تيسر له أموره أو تحذره من الحسد وأضراره ، إلى غير ذلك من الموضوعات الكثيرة التى وردت فى كتب السنة المطهرة ، التى تساعد الإنسان أن يحيا سليما من الناحية النفسية .

وندعو الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لإيضاح هذا الجانب الهام من جوانب الهدى النبوى الشريف فى الصحة البدنية والنفسية ، إنه على كل شئ قدير ، وهو نعم المولى ونعم النصير .

دكتور / السيد عبد الحكيم عبد الله

---

(١) كالسجائر مثلا .

أولاً: الطب الوقائي النبوي

١ ـ النظافة والطهارة

النظافة أمر محبب للناس ، تدعو إليها الأمم على مختلف أجناسها واعتقاداتها ، باعتبارها مبدأ من المبادئ الطيبة ، أو قيمة من القيم يحرصون عليها ، والنظافة ـ في عرف هؤلاء ـ اهتمام بالمظهر المادي الخارجي للأشخاص والأشياء ، أما الإسلام فيهتم بالمظهر الداخلي والخارجي لهما ، لذا فإنه يدعو إلى النظافة والطهارة المادية والمعنوية .

أ ـ الوضوء :

والإسلام باشتراطه الوضوء قبل الصلاة ، يتطلب من المسلم النظافة والطهارة المستمرة طوال اليوم ، حتى لا يأتي عليه وقت الصلاة وهو غير مستعد لها ، فقد تفوته الصلاة ، ويفوته الثواب والفضل ، فقد قال تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا ﴾[1] المائدة : ٦ .

والصلاة تستوجب طهارة الجسم من :

١ ـ الحدث الأصغر ، بالوضوء أو التيمم (في حالة عدم وجود الماء أو وجود حالة مرضية) وذلك عند خروج شيء من أحد السبيلين كبول أو غائط أو ريح .

٣ ـ الحدث الأكبر ، بالغسل من الجنبة من جماع أو احتلام أو بسبب الحيض أو النفاس .

ويلاحظ أن غير المواظب على الصلاة قد يحرص على النظافة ، ولكنه لن يتنبه

---

(١) سورة (المائدة) الآية (٦).

للطهارة أو لن يحرص عليها مما يجعل التزامه بالنظافة غير كامل لأن نظافة الاعتياد هذه لا تمثل لصاحبها ضرورة يجب المحافظة عليها ، فنجده مثلاً لا يهتم بتحري وجود الماء عند التبول ، أو الاستحمام بعد الجنابة ، أو تجنب نجاسة ملابسه من بول أو كلب أو خلافه . . مما يؤدي به إلى نظافة غير كاملة في بدنه وملابسه وهي لا تقابل الطهارة في الإسلام التي هي غاية النظافة .

فالوضوء المتكرر طوال اليوم لأداء الصلوات أو للحرص عليه كلما انتقض تخليص للجسم مما علق به من أدران أو ميكروبات أو غيرها ، ونظافة للفم والأسنان والأنف والأذن وتخليصها مما قد يكون بها من ميكروبات أو بقايا طعام أو أوساخ .

ب ـ السواك :

فالمضمضة مثلاً للفم تخلصه من بقايا الطعام وتحافظ على سلامته ، وبخاصة إذا حرص المسلم على استعمال السواك ، امتثالا لأوامر الرسول ﷺ باستعمال السواك عند الاستيقاظ من النوم وقبل الصلاة باعتباره مطهرة للفم ونظافة له ، ومن هذه الأحاديث[1] :

ـ عن حذيفة ؛ قال : " كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل يتهجدُ يَشُوص[2] فاهُ بالسِّواك " .

ـ عن أبي هريرة ؛ قال : قال رسول الله ﷺ لولا أن أشقَّ على أمتي لأمرتُهُم بالسِّواك عند كُلِّ صلاة " .

ـ عن ابن عباس ؛ قال : " كان رسول الله ﷺ يُصَلي بالليلِ ركعتينِ ركعتين ثُمَّ ينصرف فيستاكُ " .

ـ عن أبي أُمَامة ؛ أن رسول الله ﷺ قال : " تَسَوَّكوا فإنَّ السِّواكَ مَطهَرة للفم ، مرضاة للرب . ما جاءَني جبريلُ إلا أوصَاني بالسِّواك . حتى لقد خشيتُ أنْ يُفرَضَ عليَّ وعلى أُمَّتي . ولَولا أنِّيَ أخَافُ أنْ أشُقَّ على أُمَّتي لَفرضتُه لَهُم . وَإنِّي لأستاكُ حتى لَقَد خَشِيتُ أن أُحفي مَقَادِم[3] فمي " .

---

(1) ابن ماجة ج١ ص ١٠٥ ـ ١٠٦ وعن السواك وفضله وأهميته وردت أحاديث كثيرة في البخاري (في الجمعة والوضوء باب السواك)، مسلم ، والنسائي وأبو داود في باب الطهارة وأحمد ج٦ ص٤٧ وما بعدها ، الدارمي ج١ ص١٧٤ .

(2) يَشُوصُ : أي يدلك الأسنان بالسواك .

(3) مقادم الفم هي الأسنان المتقدمة . وقيل المراد اللثات وهي ما حول الأسنان من اللحم . وهذا أقرب .

ـ عن شريح بن هانئ عن أبيه ، عن عائشة ، قال ، قلت : أخبريني . بأي شئ كان النبي ﷺ يبدأُ إذَا دَخلَ عليك ؟ قالت : كَانَ إذَا دَخلَ يَبدأ بالسِّوَاك .

وعن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ" : عَشْرٌ من الفطرة : قصُّ الشارب ، وإعفاءُ اللحية ، والسِّواكُ ، واستنشاق الماء ، وقَصُّ الأظفَار ، وَغَسلُ البَرَاجم[1] ، وَنتفُ الإبط ، وحَلقُ العَانَة ، وانتقَاصُ الماء[2]، قال مصعبَ : ونسيتُ العاشرَةَ ، إلا أن تكون المَضمضةَ "[3] .

وجاء في صحيح مسلم أيضاً أمور حث عليها الرسول ﷺ في روايات أخـــرى منها[4] :

ـ عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : " الفطرةُ خمسُ : الختانُ ، والاستحداد وتقليم الأظفار ، ونتف الإبط ، وقص الشارب "[5] .

ـ قال أنس : وُقِّتَ لنا في قَصِّ الشاربِ وتقليمِ الأظفار ونتف الإبط وحَلق العانة ، أن لا نتركَ أكثرَ من أربعينَ ليلةً " .

ـ عن ابن عمر ، عن النبي ﷺ ؛ قال : " احفوا الشارب واعفوا اللِّحَى "[6] .

وذكر ابن القيم[7] : " وفي السواك عدة منافع يطيب الفم ويشد اللثة ويقطع البلغم ويجلو البصر ويذهب بالحفر ويصح المعدة ويصفي الصوت ويعين على هضم الطعام ويسهل مجاري الكلام وينشط للقراءة والذكر والصلاة ويطرد النوم ويرضي الرب ويعجب الملائكة ويكثر الحسنات ويستحب كل وقت ويتأكد عند الصلاة والوضوء والانتباه من النوم وتغيير رائحة الفم ويستحب للمفطر والصائم في كل وقت لعموم الأحاديث فيه ولحاجة الصائم إليه ولأنه مرضاة للرب ومرضاته مطلوبة في الصوم أشد من طلبها في الفطر ولأنه مطهرة للفم والطهور للصائم من أفضل أعماله وفي السنن

---

(١) جمع بُرجُمة ، وهي عقد الأصابع ومفاصلها كلها .　　(٢) أي الإستنجاء .

(٣) صحيح مسلم ج١ ص ٢٢٣ كتاب الطهارة باب خصال الفطرة، أبو داود ج١ ص ١٤ رقم ٥٣ في الطهارة .

(٤) المرجع السابق ص ٢٢١ ، ٢٢٢ .

(٥) الفطرة ذهب أكثر العلماء إلى أنها السنة ، وقيل : أنها من سنن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم وقيل : هي الدين والاستحداد : حلق العانة .

(٦) احفوا الشوارب : معناها : احفوا ما طال على الشفتين . وإعفاء اللحى معناها توفيرها ، وهو معنى أوفوا اللحى في رواية أخرى (خالفوا المشركين أحفوا الشوارب وأوفوا اللحى) .

(٧) زاد المعاد في هدي خير العباد ج٣ ص ١٦٩ .

عن عامر بن ربيعة رضى الله عنه قال رأيت رسول الله ﷺ ما لا أحصي يستاك وهو صائم وقال البخاري قال ابن عمر يستاك أول النهار وآخره وأجمع الناس على أن الصائم يتمضمض وجوبا واستحبابا والمضمضة أبلغ من السواك وليس لله غرض في التقرب إليه بالرائحة الكريهة ولا هي من جنس ما شرع التعبد به وإنما ذكر طيب الخلوف عند الله يوم القيامة حثا منه على الصوم لا حثا على ابقاء الرائحة ، بل الصائم أحوج إلى السواك من المفطر وأيضا فإن رضوان الله أكبر من استطابته لخلوف فم الصائم ، وأيضا فإن السواك لا يمنع طيب الخلوف الذي يزيله السواك عند الله يوم القيامة بل يأتي الصائم يوم القيامة وخلوف فمه أطيب من المسك علامة على صيامه ولو أزاله بالسواك كما أن الجريح يأتي يوم القيامة ولون دم جرحه لون الدم وريحه ريح المسك وهو مأمور بإزالته في الدنيا وأيضا فإن الخلوف لا يزول بالسواك فإن سببه قائم وهو خلو المعدة عن الطعام وإنما يزول أثره وهو المنعقد على الأسنان واللثة وأيضا فإن النبي ﷺ علم أمته ما يستحب لهم في الصيام وما يكره لهم ولم يجعل السواك من القسم المكروه وهو يعلم أنهم يفعلونه وقد حضهم عليه بأبلغ ألفاظ العموم والشمول وهو يشاهدونه يستاك وهو صائم مرارا كثيرة تفوت الإحصاء ويعلم أنهم يقتدون به ولم يقل لهم يوما من الدهر لا تستاكوا بعد الزوال ، وتأخير البيان عن وقت الحاجة ممتنع والله أعلم " .

وهكذا يتبين فضل السواك في نظافة الفم والأسنان وتأثيره الطيب على صحة الإنسان ، اقتداء بالرسول ﷺ .

جـ ـ الاستحمام :

يدعو الاسلام إلى الاغتسال لأسباب عديدة منها واجبة على المسلم ، يأثم إن لم يفعله ، ولا تُقبل منه عباداته بدونه ، ومنها ما هو مسنون يثاب على فعله ولا يعاقب على تركه .

أما الاغتسالات الواجبة على الرجل والمرأة فهى : التقاء الختانين وإنزال المنى والموت ، وتختص المرأة بثلاثة اغتسالات ، بعد : الحيض والنفاس والولادة .

اما الاغتسالات المستحبة فهى :

(يوم الجمعة والعيدين والاستسقاء والخسوف والكسوف والغسل من غسل الميت والكافر إذا أسلم والمجنون والمغمى عليه إذا أفاقا وعند الاحرام ولدخول مكة وللوقوف بعرفة وللمبيت بمزدلفة ولرمى الجمار الثلاث وللطواف ولدخول مدينة الرسول ﷺ)[1] .

---

(١) بتصرف من الفقه على المذاهب الأربعة كتاب الطهارة مباحث الغسل من ص ١٠٥ إلى ص ١١٦ فقه السنة ص ٥١ ، عناية الإسلام بالصحة البدنية - كاملة الأنوار ص ٢٢ .

كما يستحب " الغسل من الحجامة ودخول الحمام لاختلاف الأيدى فى ماء الحمام ومن المستحب الغسل لمن أراد حضور مجمع الناس صرح به أصحابنا ونقله الرويانى فى البحر عن نص الشافعى ، ورأيت فى الأم ما يدل عليه صريحا أو إشارة ظاهرة ، قال أبو عبد الله الزبيرى فى الكافى : يستحب فى كل أمر اجتمع الناس له أن يغتسل المرء له ويقطع الرائحة المغيرة من جسده ويمس من طيب أهله ، هذه هى السنة . وقال البغوى : يستحب لمن أراد الاجتماع بالناس أن يغتسل ويتنظف ويتطيب . قال المحاملى فى اللباب : يستحب الغسل عند كل حال تغير فيه البدن " (1).

وعن السيدة عائشة رضى الله عنها قالت : كان الناس مُهَّان(2) أنفسهم فيروحون الجمعة بهيئتهم فقيل لهم : لو اغتسلتم(3).

وقد جاء أيضا فى الحث على الاغتسال يوم الجمعة عن سمرة قال : قال رسول الله ﷺ " :من توضأ يوم الجمعة فبها ونعمت، ومن اغتسل فهو أفضل " (4).

د ـ أحاديث نبوية متنوعة تدعو إلى طهارة الجسم :

عن عبد الله بن أبى قتادة عن أبيه قال(5): قال رسول الله ﷺ" : إذا شرب أحدكم فلا يتنفس فى الإناء وإذا أتى الخلاء فلا يمس ذكره بيمينه ولا يتمسح بيمينه " .

وقد قال الكرمانى فى شرحه :

(وأما نهيه عن مس الذكر بيمينه فهو تنزيه لها عن مباشرة العضو الذى يكون منه الأذى والحدث ، وكان النبى ﷺ يجعل يمناه لطعامه وشرابه ولباسه ، مصونة عن مباشرة الثقل ومماسة الأعضاء التى هى مجارى الأثقال والنجاسات ، ويسراه لخدمة أسافل بدنه وإماطة ما هنالك من القاذورات وتنظيف ما يحدث من الأدناس ، وكذلك الأمر فى نهيه عن الاستنجاء باليمين إنما هو تنزيه لها وصيانة لقدرها عن مباشرة ذلك الفعل ، وهى نهى تأديب) .

---

(1) كتاب المجموع ج ٢ ص ٢٣٤ ، ٢٣٥ .

(2) المهان : جمع ماهن ، وهو الخادم ؛ أي أنهم كانوا يخدمون بأنفسهم في الزمان الأول حيث لم يكن لهم خدم يكفلون لهم المهنة ، والإنسان إذا باشر العمل الشاق حمي بدنه واشتد عرقه سيما في البلاد الحارة ، فربما تكون منه الرائحة فأمروا بالاغتسال تنظيفا للبدن وقطعا للرائحة .

(3) سنن أبي داود ج١ ص ٩٧ .

(4) المرجع السابق .

(5) شرح صحيح البخاري للكرماني ج٢ ص ١٩٨ باب النهي عن الاستنجاء باليمين .

وعن أبى قتادة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال[1]: " إذا بال أحدكم فلا يأخذن ذكره بيمينه ولا يتنفس فى الإناء " .

وعن عبد الله بن أبى قتادة عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ[2].

« لا يمسكن أحدكم ذكره بيمينه وهو يبول ، ولا يتمسح من الخلاء بيمينه ، ولا يتنفس فى الإناء » .

وعنه أيضا أن رسول الله ﷺ قال : «إذا دخل أحدكم الخلاء فلا يمس ذكره بيمينه» .

وعن السيدة عائشة رضى الله عنها أنها قالت[3]:

"كانت يد رسول الله ﷺ اليمنى لطهوره وطعامه ، وكانت اليسرى لخلائه وما كان من أذى " .

- عن جابر عن أبى هريرة أنه أخبره أن النبى ﷺ قال :

"إذا استيقظ أحدكم فليفرغ على يديه ثلاث مرات قبل أن يدخل يده فى إنائه ، فإنه لا يدرى فيم باتت يده "[4].

- عن أبى هريرة ؛ أن رسول الله ﷺ قال : اتقوا اللعانين[5] ، قالوا : وما اللعانان يا رسول الله ؟ قال : " الذى يتخلى فى طريق الناس[6] أو فى ظلهم[7]، وعنه أيضا : " لا يبولن أحدكم فى الماء الدائم ثم يغتسل منه "[8].

من هذه الأحاديث النبوية الشريفة - وغيرها كثير - يتضح حرص الرسول ﷺ على طهارة اليد اليمنى التى جعلها للطيب من أفعاله ﷺ واليد الشمال لإزالة النجاسات وغيرها ، ونهى رسول الله ﷺ عن التنفس فى الإناء منعا للعدوى لغيره ، إن كان الشارب مريضا بمرض ينتقل بالنفس إلى غيره ، كما نهى عن البول فى الماء الراكد لأن

---

(١) رياض الصالحين للنووي ص ٣٦٤ باب كراهة الاستنجاء باليمين ومس الذكر باليمين من غير عذر .

(٢) صحيح مسلم - باب النهي عن الاستنجاء باليمين ج١ ص ٢٢٥ .

(٣) رواه أبو داود وغيره باسناد صحيح - رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين للإمام النووي ص ١٨٩ .

(٤) صحيح مسلم ج١ص ٢٣٣ كتاب الطهارة باب كراهية غمس المتوضئ وغيره يده المشكوك فى نجاستها فى الإناء قبل غسلها ثلاثا، أبو داود ج١ص ٢٥ ، واللفظ لمسلم .

(٥) اللعانين : الجالبين للعن الحاملين الناس عليه ذلك أن من فعلها شتم ولعن

(٦) أى يتغوط فى موضع يمر به الناس .

(٧) صحيح مسلم كتاب الطهارة ج١ ص ٢٢٦ . (٨) المرجع السابق ص ٢٣٥ .

ذلك ينجسه ويجعله مرتعا للأمراض التى قد تكون فى البول ، أما الماء غير الراكد فإن تجديده يطهره وينظفه ، كما نهى عن التبول أو التبرز فى طريق الناس أو فى ظلهم لأنه سيعرضهم إلى هذه الوساخات غير الطاهرة ، مما يعرض الفاعل إلى اللعن لإيذائه الغير ، إلى غير ذلك من النصائح النبوية الغالية التى تنفع صاحبها الملتزم بها ، لأنها من مشكاة النبوة الطاهرة ، التى تدعو دائما إلى الخير والهدى والرشاد فى الدنيا والآخرة .

* * *

ومن هديه ﷺ التحرز من الأمراض المعدية بطبعها ، حماية له ﷺ ولأصحابه ، وتعليما لنا ، لتجنب المرضى بأمراض معينة حتى لا تتسع دائرة المرض ، وتزداد المشقة على الأطباء فى علاج المرضى ، ومن هديه ﷺ فى ذلك :

٢ ـ اجتناب المجذوم

ـ عن أبى هريرة عن النبى ﷺ أنه قال : " فر من المجذوم كما تفر من الأسد "(١) .

ـ عن ابن عباس أن النبى ﷺ قال : " لا تديموا النظر الى المجذومين " (٢) .

ـ وجاء فى زاد المعاد أنه ﷺ قال : " كلم المجذوم وبينك وبينه قدر رمح أو رمحين "(٣)، وقد أضاف بن حجر العسقلاني بعض الإيضاحات عن مرض الجذام التي استدعت الحذر منه ، فقال :

(الجذام علة رديئة تحدث من انتشار المرة السوداء في البدن كله فيفسد مزاج الأعضاء وهيأتها وشكلها وربما فسد في آخره اتصالها حتى تتآكل الأعضاء وتسقط ويسمى داء الأسد وفي هذه التسمية ثلاثة أقوال للأطباء أحدها أنها لكثرة ما يعتري الأسد، والثاني لأن هذه العلة تجهم وجه صاحبها وتجعله في سجية الأسد ، والثالث أنه يفترس من يقربه أو يدنو منه بدائه افتراس الأسد وهذه العلة عند الأطباء من العلل المعدية المتوارثة ومقارب المجذوم وصاحب السل يسقم برائحته فالنبي ﷺ لكمال شفقته على الأمة ونصحه لهم نهاهم عن الأسباب التي تعرضهم لوصول العيب والفساد إلى أجسامهم وقلوبهم) .

---

(١) رواه البخارى ج٧ ص ١٦٤ .

(٢) رواه ابن ماجه ج٢ ص ١٩٠ كتاب الطب باب الجذام .

(٣) زاد المعاد ج٣ ص ١١٢ .

٣ـ الحجر الصحي لمرضى الطاعون

ـ عن عامر بن سعد بن أبي وقاص ، عن أبيه ، أنه سمعه يسأل أسامة بن زيد : ماذا سمعت من رسول الله ﷺ في الطاعون[1]؟ فقال أسامة : قال رسول الله ﷺ " الطاعون رجز أو عذاب أرسل على بنى اسرائيل ، أو على من كان قبلكم ، فإذا سمعتم به بأرض ، فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه " .

ـ عن أسامة بن زيد عن رسول الله ﷺ؛ أنه قال[2] :

(إن هذا الوجع أو السقم رجز عُذب به بعض الأمم قبلكم . ثم بقى بعد الأرض ، فيذهب المرة ويأتى الأخرى فمن سمع به بأرض ، فلا يقدمن عليه ، ومن وقع بأرض وهو بها ، فلا يخرجنه الفرار منه) .

ـ عن أبى موسى الأشعرى عن رسول الله ﷺ قال : " فناء أمتى بالطعن والطاعون ، قيل : يا رسول الله هذا الطعن قد عرفناه ، فما الطاعون ؟ قال : وخز أعدائكم من الجن ، وفى كل شهادة " [3] .

وقد كشف الطب الحديث عن وجود ميكروب للمرض يتسبب فى هذا المرض ، وهنا نتساءل عن سبب هذا المرض وكيفية التوفيق بين لفظ الحديث ، وما أثبته العلم الحديث ، مع يقيننا أن الإسلام لا يتعارض مع العلم الصحيح أبدا .

فهل يقصد الرسول الكريم بذلك : ان المراد بالجن الميكروب الذى لم يكن معلوما لأحد آنذاك ، وعبر عنه بالجن ، أخذا من الاجتنان ، وهو الاستتار ، ويكون فى هذا من الاعجاز العلمى ما فيه .

أم يريد بلفظ الجن حقيقته المشهودة ، فيكون المراد من وخز أحد الثقلين المكلفين ، وهو الجن ، وعند التحقيق لا تعارض بين الأمرين ، وكون الميكروب يسمى " جنا " تسمح به اللغة ، وهو أمامنا الآن ثابت محقق بالعلم الحديث .

فهو مراد قطعا لحضرة المصطفى ﷺ الذى لاينطق عن الهوى ويحتمل الحديث انضمام وخز الجن بالمعنى المشهود إليه .

---

(١) الطاعون : هو قروح تخرج في الجسد ، وتكون في المرافق أو الآباط أو الأيدي أو الأصابع وسائر البدن ويكون معه ورم وألم شديد ، وتخرج تلك القروح مع لهيب ، ويسود ما حواليه أو يخضر أو يحمر حمرة بنفسجية كدرة ويحصل معهم خفقان القلب والقئ . رواه مسلم ج ٤ ص ١٧٣٧ كتاب السلام باب الطاعون والطيرة .

(٢) المرجع السابق ص ١٧٣٨ ، ١٧٣٩ . (٣) فتح البارى ج ١٢ ص ٢٨٨ .

فيكون للطاعون سببان ، الجن والميكروبات (كما يحتمل أن المراد بالجن هنا فقط الميكروبات كما بينا)[1] .

٤ ـ غسل نجاسة الكلب سبع مرات

وردت عدة أحاديث فى صحيح مسلم ، فى هذا الموضوع نشير إليها فيما يلى[2]:

ـ عن أبى هريرة ، أن رسول الله ﷺ قال : " إذا شرب الكلب فى إناء أحدكم فليغسله سبع مرات " ، وعنه أيضا " طهور إناء أحدكم إذا ولغ الكلب فيه أن يغسله سبع مرات " .

ـ عن ابن المغفل ؛ قال : أمر رسول الله ﷺ بقتل الكلاب ، ثم قال : " ما بالهم وبال الكلاب ؟ ثم رخص فى كلب الصيد وكلب الغنم . وقال : إذا ولغ الكلب فى الإناء فاغسلوه سبع مرات ، وعفروه[3] الثامنة فى التراب " .

وقد اكتشف العلم الحديث العديد من الأمراض التى ينقلها الكلب الى الإنسان ، وأشهرها مرض الكلب أو (الرييس) وسببه فيروس دقيق للغاية يحمله الكلب فى لعابه وينتقل الى الإنسان وبخاصة إذا عقره ، فيسرى فى الدم وفى غضون أيام أقصاها ثلاثون أو أربعون يوما يصاب المصاب بالصرع والتشنج العصبى إذ تتلف الخلايا الصبية بالمخ وتصاب بعض العضلات بالضمور والشلل التام كما يصاب المريض بما يسمى (جوع الهواء) وتزداد تشنجاته عندما يرى الماء ، الى أن يموت عندما تصاب عضلات التنفس بالشلل ، وذلك كله إذا لم يسارع المصاب إلى العلاج فى أول الأمر ، ليتفادى كافة هذه المضاعفات[4] .

٥ ـ إطفاء النار بالليل أثناء النوم

ذكر أبو ماجه الحديثين التاليين فى هذا الموضوع[5]:

---

(١) عناية الإسلام بالصحة البدنية – كاملة الأنوار ص ٤٥ .

(٢) صحيح مسلم ج١ ص ٢٣٤ ، ٢٣٥ كتاب الطهارة باب حكم ولوغ الكلب .

(٣) أى : دلكوه .

(٤) بتصرف من الإعجاز الطبى فى القرآن د. السيد الجميلى ص ١٥٧ .

(٥) ج٤ ص ٣٦٣ كتاب الأدب باب فى إطفاء النار بالليل .

- عن سالم عن أبيه عن النبى : ﷺ

(لا تتركوا النار فى بيوتكم حين تنامون)[1].

- عن ابن عباس قال : جاءت فأرة فأخذت تجر الفتيلة فجاءت بها فألقتها بين يدى رسول الله ﷺ على الخمرة التى كان قاعدا عليها ، فأحرقت منها مثل موضع الدرهم ، فقال : " إذا نمتم فأطفئوا سرجكم فإن الشيطان بدل مثل هذه على هذا فتحرقكم " .

وجاء أيضا فى سنن ابن ماجه[2]:

- عن أبى موسى ؛ قال : احترق بيت بالمدينة على أهله ، فحُدِّثَ النبى ﷺ بشأنهم فقال : " إنما هذه النار عدو لكم فإذا نمتم فأطفئوها عنكم " .

- عن أبي الزبير عن جابر ؛ قال : أمرنا رسول الله ﷺ ونهانا . فأمرنا أن نطفئ سراجنا .

فهذه الأحاديث وغيرها مما ورد في كتب السنة وبخاصة الصحاح منها ، يدعونا إلى الإلتزام بما أمرنا به رسول الله ﷺ، حتى نتفادى كثيرا من الحرائق التي تحدث حاليا ، والتي نسمع عنها بين حين وحين ، والتي من أسبابها ، الإهمال وترك موقد الغاز مثلا مشتعلا بالليل ، وعليه أواني الطعام والشراب ويحدث أن يفيض السائل التي بها فيُطفئ الغاز ويختنق النائمون به ، أو تحدث الحرائق بسببه أو بسبب سخان الغاز الذي يترك أيضا مشتعلا طوال الليل . . وما أحوجنا دائما وأبدا إلى الإلتزام بهدي الحبيب المصطفى ﷺ لنسلم في الدنيا والآخرة .

٦- النهي عن القعود بين الظل والشمس

نهى رسول الله ﷺ أصحابه عن البقاء في المكان الذي يفصل بين الظل والشمس ، أي إذا كانوا في الظل ثم جاءت الشمس بحيث أصبح جزء منهم في الشمس والآخر في الظل أو إذا كانوا في الشمس ثم جاء الظل في المكان المتواجدين فيه ، ليغطي جزءا منهم ، فعليهم في الحالتين أن يتحولوا عن هذا المكان حتى لا يمكثوا وجزء منهم في الشمس والآخر في الظل ، وما يسري على الجلوس والقعود يسري أيضا على الوقوف والنوم إلى غير ذلك من الأوضاع التي يكون عليها الإنسان .

---

(١) رواه أيضا ابن ماجه ج٢ ص ١٢٣٩ باب إطفاء النار عند المبيت . (٢) المرجع السابق .

وهذا التوجيه النبوي ، من سيدنا رسول الله ﷺ من العلوم اللدنية التي علمه إياها العليم الخبير ، وقد يكتشف العلم الحديث في يوم من الأيام ، مضار المكوث بين الظل والشمس ، ولكن يبقى السبق الكبير للرسول الكريم منذ أكثر من خمسة عشر قرنا من الزمان بدون إجراء تجارب أو بناء معامل وأجهزة متطورة إلى آخر ما توصل إليه العلم الحديث من تقدم وتطور .

فعن محمد بن المنكدر ، قال حدثني من سمع أبو هريرة يقول : قال أبو القاسم ﷺ:

"إذا كان أحدكم في الشمس - وقال مخلد " في الفيء " - فَقَلَصَ عنه الظل وسار بعضُهُ في الشمس وبعضه في الظِّلِّ فليقم " [1] .

وعن إبن بريدة عن أبيه أن النبي ﷺ (نهى أن يقعَدَ بين الظل والشمس) [2] .

٧ـ الصحة فى تنظيم النوم ، وتجنب الأرق

أ- تنظيم النوم : النوم آية من آيات الله ، وسر من أسراره ، إذا أحسن المرء تنظيمه استطاع أن يباشر عباداته وأعماله بقوة ونشاط وحيوية ، وعلى العكس من ذلك ، إذا لم يحصل على القسط الكافى من النوم والراحة ، وقد قال تعالى مصداقا لذلك :

﴿ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله إن فى ذلك لآيات لقوم يسمعون ﴾ [3] الروم : ٢٣ .

"فالنوم ضرورى للحياة كالطعام والشراب ، بل وربما يصبر الإنسان على الجوع ، ولكنه لايصبر على الحرمان من النوم ، حيث تهدأ العمليات الحيوية فى الجسم أثناء النوم ، ولكنها لاتتوقف لتستريح الأعضاء والأنسجة من نشاطها طول اليوم ، حتى تستأنف نشاطا جديدا ، وأكثر أجزاء الجسم حاجة إلى الراحة هو المخ ، وقد أثبتت التجارب أن الأرق المستمر لمدة ثلاثين إلى ستين ساعة يؤدى إلى الهياج وفقدان الذاكرة وانفصام الشخصية " [4] .

---

(١) أبو داود ج٤ ص ٢٥٧ باب الجلوس بين الظل والشمس حديث رقم ٤٨٢١ .

(٢) ابن ماجة ، باب الجلوس بين الظل ج٢ ص ١٢٢٧ .

(٣) سورة الروم الآية ٢٣ .

(٤) الطب في ضوء الإسلام د. غريب جمعة ص ١٠٩ .

ولأهمية النوم - وفقا لما ذكرنا - فقد ورد عن الرسول ﷺ، كثير من آداب النوم والإضطجاع ، فعن البراء بن عازب رضى الله عنهما قال : كان رسول الله ﷺ إذا أوى إلى فراشه نام على شقه الأيمن ، ثم قال :

"اللهم أسلمت نفسى إليك ، ووجهت وجهى إليك ، وفوضت أمرى إليك وألجأت ظهرى إليك ، رغبة ورهبة إليك ، لاملجأ ولا منجا منك إلا إليك ، آمنت بكتابك الذى أنزلت ، ونبيك الذى أرسلت " [1].

ويأمر الرسول ﷺ أيضا بالنوم على الجنب الأيمن مع الوضوء ، فعن البراء بن عازب رضى الله عنهما أنه قال : قال لى رسول الله ﷺ:

"إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن . . "[2].

وعن حذيفة رضى الله عنه قال : كان النبى ﷺ إذا أخذ مضجعه من الليل وضع يده تحت خده ، ثم يقول : اللهم باسمك أموت وأحيا وإذا استيقظ قال : الحمد لله الذى أحيانا من بعد ما أماتنا وإليه النشور " [3]، مما يدل على استحباب وضع اليد اليمنى تحت الخد الأيمن ، مع الدعاء بالذكر الوارد عن الرسول ﷺ.

وقد نهى الرسول ﷺ عن النوم على البطن ، فعن يعيش بن طفخة الغفارى رضى الله عنهما قال : قال أبى : بينما أنا مضطجع فى المسجد على بطنى إذا رجل يحركنى برجله ، فقال : " إن هذه ضجعة يبغضها الله " قال : فنظرت فإذا رسول الله ﷺ» [4].

وأمر رسول الله ﷺ بالحرص على ذكر الله عند القعود والاضجاع ، فعن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال [5]:

---

(١) البخاري - كتابي الأدب والدعوات باب النوم على الشق الأيمن ، رياض الصالحين ج١ ص ٦٤٤ .

(٢) البخاري كتاب الوضوء باب من نام على الوضوء ، مسلم كتاب الذكر باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع ، رياض الصالحين ج١ ص ٦٤٤ .

(٣) البخاري كتاب الدعوات باب وضع اليد اليمنى تحت الخد الأيمن ، أبو داود ج٤ ص ٣١١ كتاب الأدب باب ما يقال عند النوم ورياض الصالحين ج١ ص ٦٤٥ .

(٤) أبو داود كتاب الأدب باب في الرجل ينبطح على بطنه ج٤ ص ٣٠٩ وابن ماجة ج٢ ص ١٢٢٣ ورياض الصالحين ج١ ص ٦٤٦ .

(٥) أبو داود كتاب الأدب باب كراهية أن يقوم الرجل من مجلسه ولا يذكر الله تعالى ج٤ ص ١٣٤ ورياض الصالحين ج١ ص ٦٤٦ .

"من اضطجع مضجعا لم يذكر الله تعالى فيه إلا كان عليه ترة[1] يوم القيامة ، ومن قعد مقعدا لم يذكر الله تعالى فيه إلا كان عليه ترة يوم القيامة " .

من الأحاديث النبوية الشريفة التى أشرنا إليها ، يتضح أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، كان ينصح بالنوم على الشق الأيمن ، وهو ماأكده علم الطب الحديث إذ أن " النوم على الجانب الأيسر يزيد العبء على القلب والرئة اليمنى ، وكذلك النوم على الصدر - أو البطن - غير مريح صحيا " [2].

وجاء فى سنن ابن ماجه الحديثين التالين [3] :

- عن أبى ذر قال : مر بى النبى ﷺ وأنا مضطجع على بطنى فركضنى برجله وقال : ياجنيدب ! إنما هذه ضجعة أهل النار " .

- وعن أبى أمامة قال : مر النبى ﷺ عل رجل نائم فى المسجد منبطح على وجهه فضربه برجله وقال " قم واقعد ، فانها نومة جهنمية " .

ب ـ تجنب الأرق :

يعلمنا رسول الله ﷺ كيفية تجنب الأرق ، حتى نصحو من نومنا فى صحة وحيوية فعن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال " شكوت إلى رسول الله ﷺ أرقا أصابنى فقال " قل اللهم غارت النجوم وهدأت العيون وأنت حى قيوم لاتأخذك سنة ولا نوم ياحى ياقيوم أهدئ ليلى وأنم عينى " فقلتها فأذهب الله عز وجل عنى ماكنت أجد " [4].

وعن بريدة رضى الله عنه قال : شكا خالد بن الوليد رضى الله عنه إلى النبى ﷺ فقال : يارسول الله ، ماأنام الليل من الأرق ، فقال النبى ﷺ : إذا أويت إلى فراشك فقل : اللهم رب السموات السبع وما أظلت ، ورب الأرضين وما أقلت ، ورب الشياطين وما أضلت ، كن لى جارا من شر خلقك كلهم جميعا أن يفرط على أحد منهم، وأن يبغى على ، عز جارك وجل ثناؤك ولا إله غيرك ، ولا إله إلا أنت " [5].

---

(١) أي : نقص ، وقيل : التَّبعة .

(٢) بتصرف من الطب في ضوء الإسلام ص ١١٢ .

(٣) ج٢ ص ١٢٢٧ ، ١٢٢٨ كتاب الأدب باب النهي عن الإضطجاع على الوجه .

(٤) الأذكار للنوي ص ٩١ .

(٥) المرجع السابق والحديث رواه الترمذي .

وقد حاول الطب الحديث علاج الأرق ، ببعض النصائح الطبيعية ، وأحيانا بالأدوية التى يعترف أنها قد تفيد فى بعض الحالات دون الأخرى ، ولكنها فى كل الأحوال لها آثار جانبية ، ففى مقال طبى بعنوان : " كيف نتخلص من الأرق " يقول المؤلف[1] : " البعض يعانون من الأرق وعدم القدرة على النوم ، ويفكرون فى تناول الحبوب المسكنة التى تساعد فى بعض الحالات العارضة على النوم ، فإن الأطباء يشككون فى مدى فائدتها الفعلية ، علاوة على أن لها أعراضا جانبية كثيرة ، وبخاصة إذا استمر تناولها لمدة ٣ أسابيع متوالية ، فضلا عما يسببه من دوار وجفاف بالفم والحلق واضطراب بالمعدة ويتحتم على السيدة الحامل الامتناع تماما عنها ، لأضرارها بها ، وما قد تؤدى إلى تشويه الجنين .

وربما كان التأثير الناتج عن تناول الحبوب المنومة راجعا إلى " الإيحاء النفسى " بتوقع تأثيرها السحرى ، مما يؤدى إلى النوم فعلا .

كما أن مفعول هذه الحبوب يقل مع استمرار استخدامها ، بل إن الذى يعتاد على تناولها سوف يدمنها بعد فترة ، وبالتالى يكون من العسير عليه التخلص منها إلا بعد فترة يعانى خلالها من القلق والتوتر .

وقد قدم البحث عدة نصائح لتفادى الأرق ، منها :

- أداء بعض التمرينات الرياضية فى فترة مابعد الظهر أو فى المساء .

- عدم تناول المشروبات التى تحتوى على مادة " الكافيين " قبل ميعاد النوم بست ساعات .

- تناول وجبة خفيفة قبل خلودك إلى النوم .

- التوجه إلى الطبيب المتخصص إذا لم تجد الأساليب السالفة فى جلب النعاس .

جـ- تجنب الفزع عند النـــــوم :

جاء فى سنن أبى داود والترمذى وابن السنى وغيرها عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ ، كان يعلمهم من الفزع كلمات " أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وشر عباده ، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون " وفى رواية ابن السنى " جاء رجل إلى النبى ﷺ فشكا أنه يفزع فى منامه ، فقال رسول الله ﷺ :

---

(١) مجلة طب نفسك العدد ٨٢ .

"إذا أويت إلى فراشك فقل : أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه ومن شر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون ، فقالها فذهب عنه " [١].

وهكذا يعلمنا رسول الله ﷺ مايصلح لنا أبداننا ويساعد على راحتنا ، ويهيء لنا سبل الراحة بالليل والنهار ، فننام نوما هادئا ، ونستيقظ بنشاط وحيوية ، متجنبين الهواجس والكوابيس والأرق ، إلى غير ذلك من الأمور ، التى تشغل صاحبها وتمنعه عن ممارسة أمور حياته بيقظة وانتباه ، فصلاة الله وسلامه عليك يارسول الله ، وصدق من وصفك بأنك " بالمؤمنين رءوف رحيم " .

(١) الأذكار للنووي ص ٩٢ .

ثانياً: وصايا صحية نبوية

١ ـ الرضاعة الطبيعية

من الأمور التي أمر بها الإسلام ، للمحافظة على صحة الأم والطفل ، الرضاعة الطبيعية .

فمن مظاهر عناية الله بخلقه ـ وبخاصة الإنسان ـ توفير السبل التي تحفظ للجنين حياته ، حتى يحين موعد ولادته ، ثم توفير الغذاء المناسب له بعد ولادته ، بإدرار اللبن من ثدي أمه ، يكون له طعاما وشرابا ، يقتاته إلى أن يكبر ، ويكتفي بتناول الطعام العادي .

وقد اتفق الفقهاء على أن الرضاع يجب على الأم ديانة[١]، لأن الله تعالى أمر الوالدات بإرضاع أولادهن ، في قوله تعالى : ﴿ والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين ﴾[٢] البقرة : ٢٣٣ ، وإن كان الأمر جاء في صورة الخبر ، إلا أنه خبر في معنى الأمر ، فعلى الأم أن تقوم بإرضاع طفلها وبخاصة (اللّبأ) وهو أول اللبن النازل بعد الولادة ؛ لأن الولد لا يقوى ، ولا تشتد بنيته ، إلا به ، ولتواتر أهل المعرفة والعلم على أهمية (اللّبأ) الصحية والغذائية للطفل .

فعلى الأم ـ ديانة ـ أن ترضع طفلها من لبنها الذي جعله الله له غذاء مفيدا ، أفضل من أي غذاء آخر ، سواء أكانت زوجة لأبي الصغير أم معتدة منه أم أجنبية عنه ، فإن امتنعت عن إرضاع الطفل ، رغم مقدرتها على ذلك ـ وثبوت عدم تضررها أو تضرر الطفل من إرضاعه بلبنها ـ فإنها تكون آثمة أمام الله ﷻ ، يحاسبها على امتناعها .

---

(١) الأحوال الشخصية – محمد أبو زهرة من ص ٤٧٠ إلى ص ٤٧٣ بتصرف ، الأحوال الشخصية (حقوق الأولاد والأقارب) محمد الحسيني الطبعة الثانية ص ١٢٤ .

(٢) سورة البقرة الآية ٢٣٣ .

أ ــ مدة الرضاعة :

تمت الإشارة إلى مدة الرضاعة في قوله تعالى: ﴿ والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة ﴾ وقال الرسول ﷺ .. ": فإنما الرضاعة من المجاعة "[1].

أي أن الرضاعة التي تثبت بها الحرمة ، وتحل بها الخلوة ، هي حيث يكون الرضيع طفلا ، يسد اللبن جوعته .

والمقصود من تحديد مدة الرضاعة الوارد في هذه الآية القرآنية هو " قطع التنازع بين الزوجين ، إذا تنازعا في مدة الرضاع ، فإن أراد الأب أن يفطمه قبل الحولين ولم ترض الأم، لم يكن له ذلك ، وكذلك الحال ، لو كان على العكس ، أي أرادت الأم الفطام ورفض الأب ، أما إذا اتفقا على أن يفطما الطفل قبل تمام الحولين فلهما ذلك بعد المشاورة مع أرباب التجارب ؛ وذلك لأن الوالدين قلما يتوافقان عل الإضرار بالولد ، لغرض النفس ثم بتقدير توافقهما اعتبرت المشاورة مع غيرهما ، وعند ذلك يبعد أن تحصل موافقة الكل على ما يكون فيه إضرار بالولد ، فعند إتفاق الكل ، يدل على أن الفطام قبل الحولين لا يضره البتة ، فانظر الى إحسان الله تعالى بهذا الطفل الصغير ، كم شرط فى جواز إفطامه من الشرائط ، دفعا للمضار عنه ، ثم عند إجتماع كل هذه الشرائط ، لم يصرح بالإذن بل قال : ﴿ فلا جناح عليهما ﴾وهذا يدل على أن الإنسان، كلما كان أكثر ضعفا ، كانت رحمة الله معه أكثر ، وعنايته به أشد [2].

وقد روى عن ابن عباس ، أنه قال [3]:

التى تضع لستة أشهر ، لا ترضع حولين كاملين ، فإن وضعت لسبعة أشهر أرضعت ثلاثة وعشرين شهرا وحجة ابن عباس ، قوله تعالى : ﴿ وحمله وفصاله ثلاثون شهرا ﴾ [4] الأحقاف : ١٥ ، وإن هذه الآية دلت على أن زمان هاتين الحالتين ، هو هذا القدر من الزمان ، وقدره ثلاثون شهرا ، فكلما ازداد فى مدة إحدى الحالتين انتقص من مدة الحالة الأخرى .

---

(١) صحيح مسلم ج٢ ص ١٠٧٨ والمجاعة مفعلة من الجوع .

(٢) بتصرف من التفسير الكبير للفخر الرازى ج٦ ص ١١٨ .

(٣) سورة الأحقاف الآية ١٥ .

(٤) المرجع السابق ص ١٢٣ .

وقال آخرون : الحولان هما المدة اللازمة ، لإتمام ارضاع كل مولود ، وقد أشار القرطبى[1] إلى أن مدة الرضاع التى ذكرت فى القرآن الكريم ، فى قوله تعالى ﴿ حولين كاملين ﴾[2] ليس المقصود بها حولا كاملا وبعض حول آخر ، لأن القائل قد يقول : أقمت عند فلان حولين وهو يريد حولا وبعض حول آخر ، قال الله تعالى ﴿ فمن تعجل فى يومين ﴾[3] البقرة : ٢٠٣ ، وإنما يتعجل فى يوم وبعض الثانى .

ب ـ فوائد الرضاعة الطبيعية البدنية :

من الحقائق العلمية التى لا يختلف عليها الباحثون والعلماء والأطباء أن ليس هناك غذاء يمكن أن يقوم مقام لبن الأم ، وقد أكدت التجارب العديدة التى أجريت بهذا الشأن ، أهمية لبن الأم وفائدته البدنية والنفسية للطفل ، علاوة على أنه لذيذ الطعم معتدل الحرارة دون زيادة ولا نقصان .

وقد اكتشف العلماء أن ثدي الأم ، يفرز في الأيام الأولى من ولادة الطفل ، سائلا أبيض يميل إلى الصفرة ، لزجا سميكا ، يعرف (بالكلستروم) أي (اللّبَأ) أو (المسمار) ، يحتوي على قيمة غذائية كبيرة لا غنى له عنها ، ولا بديل لها بأي شئ صناعي آخر ، إذ يحتوي على تركيزات عالية من بروتينات خاصة ، مضادة لنمو الميكروبات التي تسبب الأمراض .

كما أنه تبين أن لبن الأم ، يتناسب مع جنس المولود ، ونوعه ، وعمره ، وأن مكوناته تختص بنمو المخ والأعصاب ، والقدرات الذهنية بالدرجة الأولى ، ثم العضلات والجهاز الحركي ، في المرتبة الثانية .

وقد لوحظ أن الأطفال الذين يتناولون ألبانا صناعية ، يكونون أكثر عرضة لأمراض سوء التغذية والإسهال المصحوب بالجفاف ، إذ إن لبن الأم ، يحتوي على المواد الغذائية اللازمة للطفل ، وبنسب معينة ، تلائم حاجة الطفل في مختلف مراحل فترة رضاعته ، ولهذا فقد سمى العلماء لبن الأم بـ " الدم الأبيض " ، لأنه يحتوي على جميع مكونات الدم الذي يجري في عروق الإنسان ، (بل ويؤدي نفس الوظائف المطلوبة منه ، من غذاء شامل للبروتينات ، والدهنيات ، والسكريات ، والمعادن ،

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ج٦ ص١٦١ .

(٢) سورة البقرة الآية ٢٣٣ .

(٣) سورة البقرة الآية ٢٠٣ .

والأملاح ، والفيتامينات ، بل ويتضمن عوامل المناعة ، ومقاومة الميكروبات الفتاكة ، والخلايا الحية التي تفترس البكتريا، قبل اغتيال الرضيع)[1].

ويختلف لبن الأم ، عن اللبن الحيواني ، إذ تقل فيه الزلال والأملاح عن اللبن الحيواني ، مما يجعله أكثر فائدة للطفل ، فالمواد التي تتركب منها ألبان الحيوانات ، (أعسر هضما ، وأقل قيمة غذائية ، من اللبن الآدمي ، علاوة على أنها عرضة للتلوث بالميكروبات ، مثل السل ، والتيفود ، والدفتريا)[2].

وما أشرنا إليه ، يكفي لبيان أهمية وفوائد لبن الأم ، أما الإحاطة بكافة فوائده للطفل ، فهي عديدة ، وتزداد معرفتنا بها ، كلما تقدمت العلوم والمعارف ، إذ يكتشف الإنسان مكونات عديدة ، وفوائد لم يكن يعرفها من قبل ، وصدق الله العظيم القائل: ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾[3].

جـ ـ فوائد الرضاعة الطبيعية من الناحية النفسية :

من المشاهد ، أن الأم عندما ترضع طفلها ، فإنها تضمه إليها ، فيشعر بالدفء والحنان ، وقد لاحظ العلماء أن الطفل عند الرضاعة ، يسمع دقات قلب أمه ، مما يحدث له نوعا من الاطمئنان والراحة ، وقد أوصى العلماء القائمين على دور الحضانة، بأن يسجلوا هذه الضربات على شرائط تسجيل ؛ ليسمعها الطفل حين الرضاعة ، فتحقق له راحة نفسية ، تقارب تلك التي يشعر بها الطفل الرضيع من أمه ، كما قيل إن هزات القلب المنتظمة ، تؤدي إلى نمو خلايا معينة في مخ الطفل ، تجعله أكثر سلامة من الناحيتين، الصحية والنفسية .

فالأم علاوة على استطاعتها إرضاع طفلها اللبن الذي وهبه الله له ، تحمل بين جوانبها عاطفة فياضة ، وهي عاطفة الأمومة التي لا غنى للطفل عنها ، وهي تظهر وتكون أكثر وضوحا ، أثناء الرضاعة ، إذ تضم الأم الطفل إليها وإلى صدرها ، فيشعر بالدفء والحنان والحب ، مما يهدئ من أعصابه ، ويجعله أكثر اطمئنانا وراحة وسكينة.

وكذلك الحال بعد الرضاعة ، إذ ينصح الأطباء بحمل الطفل ، والربت على ظهره،

---

(١) من بحث غير منشور للدكتور أحمد مصطفى عيسى عن الرضاعة الطبيعية .

(٢) رعاية الأم والطفل ص ٥٩ ، ٦٨ ، د/ زكي شعبان ، وآخران .

(٣) سورة الإسراء ، الآية ٨٥ .

ليتجشأ ويخرج الهواء من المعدة ، ليتفادى الإصابة بالغازات ، أو المغص ، أو غير ذلك ، من المنغصات التي قد تحدث بالجهاز الهضمي ، فإذا تجشأ الطفل استراح بدنيا ، واستراح نفسيا ؛ لعدم شعوره بما يتعبه أو يؤلمه ، وبخاصة إذا لاعبته الأم ، أو بقيت معه قليلا ، لأنه بذلك سيكون في سرور كبير ، وراحة نفسية بالغة ، لأن حاجته إلى الغذاء قد تمت ، وكذلك حاجته إلى الحب والملاعبة .

ولا شك أن ما يؤثر في صحة الطفل البدنية أو النفسية في الصغر ، يكون له تأثير عليه في الكبر ، والملاحظ أن الطفل الذي ينشأ في أسرة كثيرة الشجار والخصام ، يشب غير مستقر نفسيا ، بخلاف الذي ينشأ في أسرة هادئة ، تعيش في سلام ووئام ، وكذلك الحال مع الطفل الذي لا يلقى المعاملة الحسنة في صغره ، ويعامل بقسوة وجفوة ، فإنه غالبا ما ينشأ وفيه بعض من هذه الصفات السيئة .

والطفل الذي لاترضعه أمه ، وتتركه للغير ليناوله رضعته ، يكون عرضة لسوء المعاملة من هذا الغير ، رغم أنه قد يكون قريبا أو صديقا ، إذ إنه لا يوجد أحد أكثر من الأم تحملا للطفل ، وصبرا عليه إذا بكى ، أو غضب ، أو أخطأ .

فلا مناص من الالتزام بالحق والصواب ، والرجوع إلى ما أمر به الله ورسوله ، من وجوب رعاية الأم لطفلها ، والحرص على إرضاعه لبنها ، لأن التهاون في أحد المهام ، يؤدي إلى التهاون في أمور أخرى ، فيزداد الإثم ، وتتوالى الأخطاء التي تظهر نتيجتها السيئة ، إن عاجلا أو آجلا .

د ـ الرضاعة الطبيعية رحمة من الله للأم وللطفل :

أوصى القرآن الكريم خيرا بوالدي الطفل ، وطلب عدم إلحاق أي ضرر بالوالد أو الوالدة ، بسبب الطفل ، وهذا من باب الرعاية والرحمة بالوالدين ، علاوة على أن الضرر الذي يصيب أحدهما ، غالبا ما يصل إلى الصغير ، ويؤدي إلى الإضرار به أيضا؟ ، فلا ينبغي للأم أن تحاول النكاية بالأب ، والإضرار به ، عن طريق الإضرار بالوالد ، بامتناعها عن إرضاعه ، رغم عدم تقصير الأب في القيام بواجبات النفقة والرزق والكسوة ، ولا ينبغي للأب ، أن يحاول الإضرار بالأم ، دون النظر إلى ما قد يصيب الطفل من ضرر ، فينزع الولد منها ، مع رغبتها في إمساكه ، وشدة محبتها له ، ورغبتها في إرضاعه ، فلا يكون هدف الوالدين غيظ أحدهما للآخر ، عن طريق

حرمان الولد من أحد والديه ، لأن ذلك يؤدي إلى الإضرار بالولد الذي لا ذنب له في ذلك [١].

وقد أمر الله بالتوسعة في النفقة على الأمهات المرضعات ، على قدر سعة الأب ، فقال تعالى: ﴿ ... على الموسع قدره وعلى المقتر قدره ... ﴾[٢]، ﴿ لينفق ذو سعة من سعته﴾[٣] ، ﴿ لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها ﴾[٤] أي ما أعطاها من الرزق ، فإن الأم عندما تصلها نفقتها ، تستطيع أن تتناول الطعام والغذاء الذي تحتاجه ، مما يجعل اللبن الذي يتناوله الطفل مغذيا ، محتويا على كافة العناصر الغذائية التي يحتاجها جسمه .

كما أنه لا ينكر أحد ، تأثير الحاله النفسية على صحة الإنسان ، فكلما كانت الحالة النفسية للأم طيبة ، كانت صحتها طيبة ، وكان اللبن الذي تعطيه لإبنها مفيدا ، وهذا ما يعرفه أجدادنا ، بخبرتهم ومشاهدتهم التي تناقلوها أبا عن جد ، وهذا ما يؤكده أيضا العلم الحديث ، لهذا أوصى الله بالأم خيرا ؛ بمعاملتها ، وبالإنفاق عليها ، لأن ذلك يؤدي أيضا إلى تحقيق الخير ، والفائدة للطفل .

إن الله سبحانه وتعالى رحيم بالطفل ، وقد يسر له كافة السبل التي توفر وصول اللبن إليه ، في راحة وبدون مشقة ، ويحقق له الغذاء المفيد ، بطعم حلو المذاق ، ففي الوقت الذي يكون الجنين في رحم أمه ، ينصب من الدم نصيب وافر إليه ، حتى يصير مادة لنمو أعضاء ذلك الولد وازدياده ، فإذا انفصل ذلك الجنين عن الرحم ينصب ذلك النصيب إلى جانب الثدي ؛ ليتولد منه اللبن الذي يكون غذاء له ، فإذا كبر الولد لم ينصب ذلك النصيب لا إلى الرحم ، ولا إلى الثدي ، بل ينصب على مجموع بدن المتغذي ، فانصباب ذلك الدم في كل وقت إلى عضو آخر ، انصبابا موافقا للمصلحة والحكمة لا يتأتى إلا بتدبير الفاعل المختار الحكيم .

وعند تولد اللبن في الضرع ، أحدث الله تعالى في حلمة الثدي ، ثقوبا صغيرة ومساما ضيقة ، وجعلها بحيث إذا اتصل المص أو الحلب بتلك الحلمة ، إنفصل اللبن عنها في تلك المسام الضيقة ، ولما كانت تلك المسام ضيقة جدا ، فحينئذ لا يخرج منها إلا ما كان في غاية الصفاء واللطافة ، وأما الأجزاء الكثيفة فإنه لا يمكنها الخروج من

---

(١) بتصرف من التفسير الكبير للفخر الرازي ج٦ ص١٢١ .

(٢) سورة البقرة من الآية ٢٣٦ .

(٣) سورة الطلاق من الآية ٧ .

(٤) سورة الطلاق من الآية ٧ .

تلك المنافذ الضيقة ، فتبقى في الداخل ، والحكمة في إحداث تلك الثقوب الصغيرة ، والمنافذ الضيقة في رأس حلمة الثدي أن يكون ذلك كالمصفاة ، فكل ما كان لطيفا خرج ، وكل ما كان كثيفا ، إحتبس في الداخل ، ولم يخرج ، فبهذا الطريق يصير ذلك اللبن خالصا ، موافقا لبدن الصبي ، سائغا للشاربين .

كما أنه تعالى ، ألهم ذلك الصبي إلى المص ، فإن الأم كلما ألقمت حلمة الثدي في فم الصبي ، فإنه في الحال يأخذ في المص ، فلولا أن الفاعل المختار ألهم ذلك الصبي الصغير ، ذلك العمل المخصوص ، لما حصل الإنتفاع بتخليق ذلك اللبن في الثدي "[1] .

ومن رحمة الله بالطفل وأمه ، أنه أخر إنبات الأسنان إلى أن يكبر الطفل ، ويحتاج إليها في تقطيع الطعام ومضغه ، أما إنبات الأسنان قبل ذلك ، فإنه يؤذي الأم ، ولا يفيد الطفل في شيء ، إذ إن الأسنان تؤلم الأم عند إرضاع الطفل ، وقد أشاد إلى ذلك ابن قيم الجوزية عند ذكر نصائحه التي يوجهها للوالدين ، لرعاية طفلهما الصغير ، فقال[2] :

"وينبغى أن يقتصر بهم على اللبن وحده إلى نبات أسنانهم ، لضعف معدتهم وقوتهم الهاضمة من الطعام ، فإذا أنبتت أسنانه ، قويت معدته ، وتغذى بالطعام ، فإن الله سبحانه وتعالى أخر إنباتها إلى وقت حاجته إلى الطعام ، لحكمته ولطفه ، ورحمة منه بالأم وحلمة ثديها ، فلا يعضه الولد بأسنانه " .

وإذا كانت الأديان حفية بالأمومة ، حفيظة عليها ، فهى بالأم الحامل ، أو المرضع ، أحفل وأشد حفاظا ، فهى تحمل بين أحشائها أعظم مخلوقات الله ، لذلك كان الإسلام ، فى أحكامه التشريعية ، يقوى عزيمتها ، ويشد أزرها ، ويخفف عنها فى العبادات ، إذ يبيح لها الفطر فى رمضان ، ويخفف عنها فى الصلاة ، ولكنه فى نفس الموضع ، وإلحاقا لتوصية الإنسان بوالديه ، يشير إلى حق الوليد فى أن يرضع من ثدى أمه ، ذلك الينبوع الطاهر ، الغنى بالعطف والحنان والغذاء والشفاء .

وحين ينص القرآن الكريم ﴿ والوالدات يرضعن أولدهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة ....﴾[3] إنما يشير إلى أن ذلك حق مقدس للطفل ، وهو أول خطوات التربية

---

(١) بتصرف من التفسير الكبير للفخر الرازي ج ٢٠ ص٦٦ .

(٢) تحفة المودود بأحكام المولود - ابن قيم الجوزية ص١٨١ .

(٣) سورة البقرة ، من الآية ٢٣٣ .

البدنية ، والنفسية ، والذهنية السليمة ، ومن الظلم ، تقديم بدائل أخرى لهذا الوليد البرئ ، العاجز عن التعبير عن رغباته وحقوقه ، وإذا كان هذا حقا للطفل ، فإنه حق وواجب على الأم فى الوقت نفسه ، حق فى التمتع بأمومتها ، وإشباع رغبتها فى أنوثتها ، وإرضاء غريزتها ، والتمتع بثمرة معاناتها شهورا طويلة ، كما أنه واجب عليها أن تؤديه بما يرضى الله ، ولولا حجم المسألة لما قال : سبحانه وتعالى﴿ وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه... ﴾ [١] " [٢] .

كما أنه من رحمة الله تعالى بالأم ، أن الطب الحديث أكد أن نسبة المصابين بمرض سرطان الثدى تزداد بين غير المرضعات ، أما من يقمن بالرضاعة الطبيعية ، فإنهن نادرا ما يصبن بهذا المرض ، وقد أكدت الإحصائيات ذلك ، وهذا يدعونا إلى التمسك بالإرضاع من الأم ، لأنه يحقق لها الصحة البدنية ، مع الأخذ فى الأعتبار أن فوائد الرضاعة ، ليست هى فقط التى تم توصل العلم الحديث إليها ، بل هى ما تم التوصل إليه وما سيتم التوصل إليه ، بل وغيره أيضا مما لم يكشفه الله لنا ، قال تعالى : ﴿ وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ﴾[٣] .

٢- اجتناب الخمر والمواد المخدرة والمحرمة الخبيثة

خلق الله سبحانه وتعالى لنا الكثير من المأكولات والمشروبات الطيبة التى تغذى أجسامنا وتمدها بالطاقة والحيوية والنشاط ، قال تعالى : ﴿ ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾[٤] ، ولذا فقد حرم الله – عز وجل -كل ما يسبب الضرر والأذى من المأكولات كالدم ولحم الخنزير والطيور والحيوانات الجارحة ، كما حرم المواد التى تؤثر على العقل والجسم تأثيرات ضارا كالمخدرات والمسكرات [٥] والمفترات [٦] وغيرها من المشروبات التى تؤثر تأثيرا سيئا

---

(١) سورة القصص ، من الآية ٧ .

(٢) من محاضرة ألقاها الأستاذ الدكتور / أحمد مصطفى عيسى في المؤتمر التاسع عن حقوق الطفل العربى " التربية الإسلامية للطفل " فى نوفمبر ١٩٨٤ .

(٣)سورة النحل الآية ١٨ . (٤) الأسراء : ٧٠ .

(٥) المسكرات : المواد التى تؤدى الى السكر كالخمر .

(٦) المفترات : المواد التى يؤدى تعاطيها إلى فتور وهبوط فى الجسم كالمخدارات والسجائر ، وإن كانت بعض أنواع المخدرات تعطى إحساسا لصاحبها ببعض النشاط المؤقت ولفترة وجيزة يعقبها فتور وخمور وهمود .

وضارا على كثير من جوانب حياة من يتعاطاها بل إن أثرها يتعدى ذلك ليشمل أيضا أفراد أسرته بالمعنى الضيق أو الواسع .

أ ــ الخمر والمخدرات وما شابهها :

حرم الإسلام ذلك تحريما قاطعا ، على جميع المسلمين ، ووردت آيات قرآنية وأحاديث نبوية تؤكد ذلك فتعاطى هذه المواد الضارة يؤدى إلى العديد من المضار والمشاكل المتشابكة والمتشعبة الجوانب والآثار ، لأنها تؤثر على حالة الفرد الصحية والنفسية ، وتؤثر على أحواله الاقتصادية وقدرته الإنتاجية كما أن الإحصائيات تؤكد ارتباط العديد من المشاكل الاجتماعية بتعاطى هذه المخدرات وإدمانها ، كتفكك الأسرة وتشريد الأطفال وارتفاع معدلات الجريمة ، ويؤثر كل ذلك بالطبع على المجتمع والدولة كلها لأنهما يتكونان من الأفراد ، وكلما عاش الأفراد فى حالة صحية ونفسية واجتماعية واقتصادية طيبة ازدهرت الدولة وتقدمت وتحسن إنتاجها من ناحية النوع والكم[١] .

لهذه الأسباب كلها ، ولغيرها من أسباب أخرى يعلمها الله سبحانه وتعالى الحكيم العليم الخبير فقد حرم الإسلام الخمر وكل مسكر ، وذلك على لسان الحبيب المصطفى ﷺ فيما أعلمه له من لدنه من تحريمها ، وبما نزل من آيات القرآن الكريم ، بتحريم الخمر وما شابههما فى التحريم من الميسر والأنصاب والأزلام واعتبارها رجسا من عمل الشيطان وذلك فى قوله تعالى : ﴿ **إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون** ﴾[٢] .

ووردت أحاديث نبوية عديدة تنهى عن شرب الخمر وكل مسكر ، منها :

ـ عن ابن بريدة عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ ": كنت قد نهيتكم عن الأشربة فى ظروف الأدم ، فاشربوا فى كل وعاء غير أن لا تشربوا مسكرا "[٣] .

عن السيدة عائشة رضى الله عنها قالت : سئل رسول الله ﷺ عن البتع[٤]؟ فقال : " كل شراب أسكر فهو حرام " [٥] .

---

(١) الإسلام وتحريم المخدرات والمسكرات والمفترات للمؤلف ص ٨ ، ٩ .　　(٢) المائدة/ ٩٠ .

(٣) صحيح مسلم ج٣ص ١٥٧٣ باب بيان أن كل مسكرا خمرا ، وأن كل خمر حرام - موطأ مالك ج٢ص ٨٤٥ وذكر المحقق ان الحديث ورد أيضا فى البخارى كتاب الأشربة باب الخمر من العسل ، وفى الترمذى باب ما جاء فى كل مسكر حرام ج٤ص ٦٩١ .

(٤) البتع : نبيذ العسل ، وهو شراب أهل اليمن .　　(٥) المرجع السابق .

– عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ": ماأسكر كثيره فقليله حرام "[1].

– عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ": لعن الله الخمر وشاربها وبايعها ومبتاعها وعاصرها ومتصرها وحاملها والمحمولة إليه " [2].

ورغم التحريم الصريح الوارد فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، لكل ما هو مسكر ، قليله وكثيره ، وعلى مختلف أنواعه ، فقد وردت أحاديث نبوية أخرى تنهى عن التداوى بالخمر فعن علقمة بن وائل الحضرمى ، عن طارق بن سويد الحضرمى ؛ قال : قلت يا رسول الله ! إن بأرضنا أعنابا نعتصرها . فنشرب منها ؟ قال " لا " فراجعته، قلت : إنا نستشفى به للمريض . قال " إن ذلك ليس بشفاء ، ولكنه داء " [3].

– وقد سأل أحد الصحابة النبى ﷺ عن الخمر ، فنهاه ، ثم سأله فنهاه ، فقال له : يا نبى الله ، إنها دواء ، قال النبى ﷺ " لا ، ولكنها داء " [4]وفى رواية أخرى للترمذى قال ﷺ ": إنها ليست بدواء ولكنها داء [5].

– وعن أم الدرداء ، عن أبى الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ:

"إن الله أنزل الداء والدواء وجعل لكل داء دواء ، فتداووا ولا تداووا بحرام "[6].

ب ـ النهى عن الأطعمة والأشربة المحرمة والخبيثة :

نهى الاسلام عن تناول بعض المأكولات والمشروبات لحكمته سبحانه وتعالى ولتقديره الخير للإنسان ، وقد كشف العلم الحديث جانبا من حكمة الله عز وجل، فى تحريمه لتلك المواد ، ألا هى أضرارها الصحية والبدنية .

ورغم أننا مأمورون بطاعة الله سبحانه وتعالى وطاعة رسوله الكريم ﷺ حتى ولو لم نعلم حكمة الأوامر التى توجه إلينا ، إلا إنه من فضل الله عز وجل، أن أنعم علينا بمنه وكرمه ، ووفقنا إلى معرفة جوانب هامة لحكمته فى تحريم بعض المطعومات والمشروبات

---

(١) صحيح مسلم ج ٣ ٣٢٧ ، الترمذي ج٤ ص ٢٩٢ .

(٢) رواه أبو داود ص ٢٩٢ .

(٣) ابن ماجة ج٢ ص ١١٥٧ .

(٤) أبو داود ج٤ ص٧ باب في الأدوية المكروهة رقم ٣٨٧٣ .

(٥) ج٤ ص ٣٨٧ .

(٦) المرجع السابق حديث رقم ٣٨٧٤ .

لنزداد يقينا وحبا لله عز وجل الذى اختار لنا الخير والصواب ونهانا عن الشر والخطأ ، تفضلا منه وإحسانا .

ومن الآيات القرآنية التى حرمت بعض المطعومات ، قوله سبحانه وتعالى:

﴿حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم﴾[1] المائدة : ٣ .

﴿ إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزر ﴾[2] البقرة : ١٧٣ ، النحل : ١١٥ .

﴿قل لا أجد فى ما أوحى إلىّ محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتا أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فإنه رجس ﴾[3] الأنعام : ١٤٥ .

فهذه الآيات القرآنية الكريمة بينت بما لايدع مجالا للشك ، تحريم كافة المأكولات التى أشارت اليها ، وأن من يأكل أيا منها يكون قد ارتكب محرما وفسق عن أمر الله ، ومن الأحاديث التى وردت عن رسول الله ﷺ، عن جابر بن عبد الله ، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول عام الفتح ، وهو بمكة " إن الله ورسوله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام " فقيل يارسول الله أرأيت شحوم الميتة فإنه يطلى بها السفن ويدهن بها الجلود ويستصبح بها الناس ؟ فقال " لا . هو حرام " ثم قال رسول الله ﷺ عند ذلك " قاتل الله اليهود ، إن الله عز وجل لما حرم عليهم شحومها أجملوه[4]، ثم باعوه فأكلوا ثمنه "[5].

فالإمتناع عن تناول هذه المأكولات واجب على كل مسلم ومسلمة ، بصرف النظر عن معرفة أية فوائد لهذا الإمتناع ، إنما اكتشف العلم الحديث الكثير من المضار الصحية التى يتعرض لها من يأكل هذه المحرمات .

فذكاة الحيوان قبل موته تخلصه من الدم الذى يضر آكله " فوجود الدم فى جسم الحيوان الميت يساعد على نمو الميكروبات فى الجسم وسرعة فساد اللحم . . . ووجود الدم بكثرة فى أمعاء الإنسان يساعد على تكوين مركبات نوشادرية تؤثر على المخ ،

---

(١) الميتة : ما مات من الحيوانات من غير ذبح ولا اصطياد، والمنخنقة : هي التي خنقت أو اتخنقت حتى ماتت، والموقوذة : هي التي ماتت نتيجة ضربها بشيء، والمتردية : هي التي ماتت لوقوعها من مكان عالى، والنطيحة : هي التي ماتت بسبب نطح غيرها لها .

(٢) سورة البقرة الآية ١٧٣ ـ سورة النحل الآية ١١٥ .

(٣) سورة الأنعام الآية ١٤٥ .

(٤) أي أذابوه .

(٥) صحيح مسلم ج٣ ص ١٢٠٧ .

وتحدث تغيرات مرضية قد تصل إلى حد فقد الإحساس والغيبوبة ، وهذا مايحدث نتيجة بلع الإنسان لكميات كبيرة من دمه نتيجة نزف من المرئ أو المعدة أو الأمعاء ، كما أن هضم كرات الدم البيضاء يزيد من حمض البوليك فى الدم وما يترتب على ذلك من أمراض "[1] .

أما لحم الخنزير فقد أثبت العلم الحديث كثيرا من الأمراض التى يسببها منها " احتواء عضلة لحم الخنزير على الطور المعدى من أطوار الدودة الشريطية " تينيا سويلم " ، وتقبع اليرقة فى عضلات الخنزير وتنتقل للإنسان خلال الغذاء به ، وحين يبلع الإنسان البيضة تتحرر اليرقة فى الأمعاء والتى تذيب صدفية البويضة العصارة المعدية ثم تخترق مخاطية الأمعاء وتسرى فى الدم ، وقد تصل إلى المخ وتتحوصل فيه ، ومن ثم تصيب الشخص من جرائها بتشنج عصبى ونوبات صرع .

ونتيجة هذه الدورة الآثمة يتولد فى الإنسان المريض الإحساس المستمر بالجوع الذى يصل به أحيانا إلى درجة الصرع من شدة الشره على الأكل ، ومع اطراد التلهف على الأكل ، يشكو المريض من نقص مطرد فى الوزن ، وتصيبه الأنيميا ويتوقف جسمه عن النمو تماما إن كان فى سن الشباب ، وينتاب المريض بين حين وحين حالات من الإسهال متبادلة مع حالات من الإمساك ، كما قد يصاب المريض بانسداد معوى من جراء الكتل الهائلة من الديدان المتراصة فى القناة الهضمية ، والتى تتآكل من التصاق أشواكها وممصاتها ، وتصيب جدر المعى بالتهتك والإلتهاب . . كما أن الديدان حين تصل للدم سمومها ، فإنها تهيج الخلايا العصبية للمخ ، ويشكو المريض من صداع حاد واضطراب فى التفكير وتبلد الذهن "[2] .

– وعند تفسير قوله تعالى : **﴿ يا أيها الناس كلوا مما فى الأرض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين ﴾**[3] البقرة : ١٦٨ .

قال المفسرون[4] :

(الخطاب عام لجميع البشر أى كلوا مما أحله الله لكم من الطيبات حال كونه مستطابا فى نفسه غير ضار بالأبدان والعقول ولا تقتدوا بآثار الشيطان فيما يزينه لكم من المعاصى والفواحش لأنه عظيم العداوة لكم وعداوته ظاهرة لا تخفى على عاقل) .

---

(١) مدخل إلى الطب الإسلامي د. على مطاوع ص ١٥٠ .

(٢) الإعجاز الطبي في القرآن – د. السيد الجميلي ص ٧١ .

(٣) سورة البقرة الآية ١٦٨ . (٤) صفوة التفاسير ج١ ص ١١٤ .

- وعن ابن عباس قال [1]: قال : تليت هذه الآية عند النبى ﷺ :

"يا أيها الناس كلوا مما فى الأرض حلالا طيبا " فقام سعد بن أبى وقاص فقال يا رسول الله : أدع الله أن يجعلنى مستجاب الدعوة ! فقال : " يا سعد ! أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة والذى نفس محمد بيده إن الرجل ليقذف اللقمة الحرام فى جوفه ما يتقبل منه أربعين يوما ، وأيما عبد نبت لحمه من السحت والربا فالنار أولى به " أخرجه الحافظ بن مردويه .

وقد استثنى رسول الله ﷺ من الميتة المحرمة نوعان : هما السمك والجراد لقوله : "أحلت لنا ميتتان ودمان ، فالميتتان السمك والجراد والدمان الكبد والطحال " رواه الدار قطنى .

وسئل ابن عباس عن الطحال فقال : كلوه فقالوا : إنه دم ، فقال : إنه حرم عليكم الدم المسفوح [2].

- ومما حرم الإسلام أكل لحوم الحمر الأهلية ، لما ورد عن أبى ثعلبة الخثنى قال[3]: حرم رسول الله ﷺ لحوم الحمر الأهلية ، وعن البراء بن عازب قال : نهانا رسول الله ﷺ يوم خيبر عن لحوم الحمر الأنسية ، نضيجا ونيا .

- كما حرم الإسلام أكل كل ذى ناب من السباع وذى مخلب من الطير ، لما ورد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : نهى رسول الله ﷺ عن كل ذى ناب من السباع وكل ذى مخلب من الطير[4]، وعن أبى ثعلبة الخثنى أن رسول الله ﷺ قال : " كل ذى ناب من السباع فأكله حرام " [5].

- كما نهى رسول الله ﷺ عن الدواء الخبيث ويدخل فى ذلك كل المواد المخدرة قليلة أو شديدة المفعول والتأثير ، تحت وهم أنها تبعث النشاط أو القوة الجسمية أو الجنسية ، يشمل ذلك أيضا المواد السامة التى تؤدى للوفاة ، وحذر الرسول ﷺ من ذلك ، أيما تحذير ، ووعده بالعذاب الشديد المستمر فى الآخرة ، فعن أبى هريرة ؛ قال : نهى رسول الله ﷺ عن الدواء الخبيث يعنى السُّمَّ ، وعنه أيضا ؛ قال : قال رسول الله ﷺ ": من شرب سما ، فقتل نفسه ، فهو يتحساه فى نار جهنم ، خالدا مخلدا فيها أبدا " [6].

---

(١) المرجع السابق ج١ ص ١١٦ .
(٢) ابن كثير ج ٢ ص٧ .
(٣) متفق عليه ، نيل الأوتار ج٨ ص ٢٨١ .
(٤) رواه الجماعة إلا البخاري والترمذي ونيل الأوتار ج٨ ص ٢٨٤ .
(٥) رواه الجماعة إلا البخاري وأبا داود .
(٦) الحديثان وردا فى ابن ماجه ج٢ ص ١١٤٥ باب النهى عن الدواء الخبيث.

كما أورد الترمذى عدة أحاديث فى هذا الباب نشير إليها فيما يلى[1] :

- عن أبى هريرة أراه رفعه قال : من قتل نفسه بحديدة جاء يوم القيامة وحديدته فى يده يتوجأ بها فى بطنه فى نار جهنم خالدا مخلدا أبدا ، ومن قتل نفسه بسم فسمه فى يده يتحساه فى نار جهنم خالدا مخلدا أبدا .

عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : " من قتل نفسه بحديدة فحديدته فى يده يتوجأ بها فى بطنه فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا ، ومن قتل نفسه بسم فسمه فى يده يتحساه فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا ، ومن تردى من جبل فقتل نفسه فهو يتردى فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا " . . . هكذا روى غير واحد هذا الحديث عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة عن النبى ﷺ.

عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : " من قتل نفسه بسم عذب فى نار جهنم ولم يذكر فيه خالدا مخلدا فيها أبدا " وهكذا رواه أبو الزناد عن الأعرج .

عن أبى هريرة عن النبى ﷺ وهذا أصح ، لأن الروايات إنما تجئ بأن أهل التوحيد يعذبون فى النار ثم يخرجون منها ولم يذكر أنهم يخلدون فيها .

عن أبى هريرة قال : نهى رسول الله ﷺ عن الدواء الخبيث ، قال أبو عيسى : يعنى السم .

فكل ما أمر به صلوات الله وسلامه عليه أو نهى عنه ، علينا أن نلتزم به ، لأنها من أوامر الله سبحانه وتعالى وقد قال فى محكم كتابه واصفا رسولنا الكريم ﷺ **﴿ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث﴾** [2] الأعراف : ١٥٧ .

٣ـ اجتناب التدخين[3]

تدخين السجائر وما شابهها لم يكن معروفا فى زمن الرسول ﷺ لذا فليست فيه أحاديث صريحة ، إلا أن الرأى الغالب لدى الفقهاء حاليا - بعد أن اكتشف العلم الحديث المضار الشديدة والمتنوعة للتدخين - أصبح يميل الى حرمته ، إذ أن كل الآيات

---

(١) الترمذى ج٤ ص ٣١٦ ، ٣١٧ ما جاء فيمن قتل نفسه بسم أو غير .

(٢) سورة الأعراف الآية ١٥٧ .

(٣) الإسلام وتحريم المخدرات والمسكرات والمفترات للمؤلف من ص٤٤/ ٥٠ ، ٧٠ - ٧١ .

القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة التى تنهى عن إلحاق الضرر بالنفس، يصحح الإستناد إليها فى إثبات أضرار التدخين وحرمته .

أما الذين قالوا بإباحة التدخين أو كراهته من الفقهاء فى الماضى استناداً إلى قاعدة (أصل الأشياء الإباحة) ، قد يكون لهم بعض العذر لكون الطب لم يكشف فى زمنهم عن أضراره ، أما بعد أن كشف الطب عن أضراره الجسمية والنفسية ، وأبان المختصون عن خطره البالغ على الفرد والمجتمع ، فلا مجال للتردد فى القول بحرمته أو عدم حرمته ، بل الحرمة فى تناوله ظاهرة والإثم بالإعتياد عليه متحقق [١] .

وأعتقد أن هذا الرأى أصبح يميل إليه كل أو جل الفقهاء الحاليين بعد أن ثبتت أضرار وأخطار التدخين ، ومن هؤلاء الدكتور يوسف القرضاوى الذي تكلم عن حرمة التدخين تحت عنوان (كل ما يضر مأكله أو شربه حرام) فقال [٢] :

(وهنا قاعدة عامة مقررة فى شريعة الإسلام ، وهى أن لا يحل للمسلم أن يتناول من الأطعمة أو الأشربة شيئاً يقتله بسرعة أو ببطء - كالسم بأنواعه - أو يضره ويؤذيه ، ولا أن يكثر من طعام أو شراب يمرض الإكثار منه ، فإن المسلم ليس ملك نفسه وإنما هو ملك دينه وأمته ، وحياته وصحته وماله ، نعم الله كلها عليه وديعة عنده ، ولا يحل له التفريط فيها ، قال تعالى :

﴿ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما ﴾ [٣] النساء : ٢٩ .

﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾ [٤] البقرة : ١٩٥ .

وقال رسول الله ﷺ : « لا ضرر ولا ضرار » [٥] .

ووفقاً لهذا المبدأ نقول : إن تناول التبغ (الدخان) ما دام قد ثبت أنه يضر متناوله، فهو حرام ، وخاصة إذا قرر ذلك طبيب مختص بالنسبة لشخص معين ، ولو لم يثبت ضرره الصحى لكان إضاعة للمال فيما لا ينفع فى الدين والدنيا .

ويتأكد النهى إذا كان محتاجا إلى ما ينفقه من مال لنفسه أو عياله .

---

(١) بتصرف من : تربية الأولاد فى الإسلام - عبد الله ناصح علوان ج١ ص ٢٢٦ .

(٢) الحلال والحرام - دكتور يوسف القرضاوى ص ١٧٦ .

(٣) سورة النساء الآية ٢٩ .

(٤) سورة البقرة الآية ١٩٥ .

(٥) رواه أحمد .

وقد قيل أيضاً فى أسباب تحريم التدخين عدة وجوه ، كل منها يصح أن يناط به الحكم بتحريم التدخين ، منها ما يلى[1] :

١ - كون رائحته الكريهة تؤذى الناس الذين لا يستعملونه ، وعلى الخصوص فى مجامع الصلاة ونحوها ، بل وتؤذى الملائكة المقربين .

وقد روى الشيخان عن جابر مرفوعاً : (من أكل بصلا أو ثوماً فليعتزل مسجدنا وليقعد فى بيته) ، ومعلوم أن رائحة الدخان لا تقل عن رائحة البصل .

وفى الصحيحين أيضا عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما : (أن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه الناس)[2] .

وروى الطبرانى فى الأوسط عن أنس بإسناد حسن ، أن النبى ﷺ قال : " من آذى مسلماً فقد آذانى ، ومن آذانى فقد آذى الله " .

٢ - الدخان خبيث ومعدود من الخبائث عند ذوى الطباع السليمة ، وقد قال تعالى فى وصف الرسول ﷺ ": يحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث " . وخبثه من خبث مذاقه المر ، ورائحته الكريهة .

٣- شرب الدخان مناف لقاعدة ترشيد الإنفاق ، وشراء هذا الخبيث تبذير ، وقد وردت عدة آيات كريمة وأحاديث نبوية شريفة تأمر بترشيد الإنفاق ، بمعنى عدم الإسراف فيه .

٤ - المصلحة تتطلب تحريم تعاطي أو شرب الدخان ، حفظا للمقصود الشرعي في الحفاظ على النفس والصحة والمال .

٥ - الدخان مفتر ، وفي حديث أم سلمة : (نهى الرسول ﷺ عن كل مسكر ومفتر) .

وهناك آيات عديدة في القرآن الكريم تؤكد أن الله سبحانه وتعالى : أحل لنا الطيبات وحرم علينا الخبائث ، ولا يأمرنا إلا بالمعروف ، ولا ينهانا إلا عن المنكر ، فإدمان المخدرات والمسكرات والمفترات من الخبائث ومن المنكر ، لأنه ليست له أية فائدة ، إنما هو يضر بالصحة وبالجسم ، ويؤدي إلى إنفاق الأموال في غير وجهها الصحيح ، ويقضي في كثير من الأحيان إلى مفاسد أخرى أكثر ضررا .

---

(١) حكم تناول المخدرات والمفترات وتداولها فى التشريع الإسلامى والقانون ، من ص ١٢٢ إلى ص ١٢٤ بتصرف .
(٢) نزهة المتقين ، شرح رياض الصالحين ج٢ ص ١١٦٣ .

يقول الله : سبحانه وتعالى﴿ ورحمتي وسعت كل شئ فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون . الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ﴾ [1] الأعراف : ١٥٦ ، ١٥٧ .

قال ابن القيم في تفسيره عن المعروف والطيبات والخبائث ما يلي [2] :

(دلت الآية على أن الله سبحانه وتعالى أمرهم بالمعروف الذي تعرفه العقول وتقر بحسنه الفطر ، فأمرهم بما هو معروف في نفسه عند كل عقل سليم ، ونهاهم عما هو منكر في الطباع والعقول ، بحيث إذا عرض أمره ونهيه على العقل السليم قبله أعظم قبول ، وشهد بحسنه ، كما قال بعض الأعراب ، وقد سئل : بم عرفت أنه رسول الله؟ فقال ما أمر بشيء فقال العقل : ليته ينهى عنه ، ولا نهى عن شيء ، فقال : ليته أمر به ومما يدل على صحة ذلك قوله تعالى : ﴿ ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث﴾[3]، وهذا صريح في أن الحلال كان طيبا قبل حله ، وأن الخبيث كان خبيثا قبل تحريمه) .

ومن هذه الآيات أيضا ، قوله تعالى : ﴿ وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين ﴾ [4] البقرة : ١٩٥ .

ومضمون الآية الأمر بالإنفاق في سبيل الله في سائر وجوه القربات ووجوه الطاعات ، وخاصة صرف الأموال في قتال الأعداء وبذلها فيما يقوى به المسلمون على عدوهم ، والإخبار عن ترك فعل ذلك بأنه هلاك ودمار لمن لزمه واعتاده ، ثم عطف بالأمر بالإحسان ، وهو أعلى مقامات الطاعة ، فقال : ﴿ وأحسنوا إن الله يحب المحسنين﴾ [5] .

فإنفاق الأموال على التدخين والمسكرات والمخدرات لا يدخل ضمن أي وجه من وجوه القربات والطاعات ، إنما هو إهدار لهذه الأموال وعدم وضعها في الموضع الصحيح ، وقد أيد هذا التفسير أيضا الفخر الرازي فقال[6] : (وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا ذلك الإنفاق في التهلكة والإحباط) .

---

(١) سورة الأعراف الآية (١٥٦ ـ ١٥٧) . (٢) التفسير القيم لابن القيم ص ٢٧٨ ، ٢٧٩ .
(٣) سورة (الاعراف) الآية (١٥٧) .
(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج١ ص ٢٢٩ . سورة البقرة الآية ١٩٥ .
(٥) التفسير الكبير للفخر الرازي ج٥ ص ١٣٨ .

وأي تهلكة وإحباط أكثر من أن يضع الشخص أمواله في دخان يتطاير في الهواء فيزيده تلوثا ، يؤذي به غيره ويؤذي به نفسه ، وصحته ، أو في مواد يتعاطاها ، تضر بصحته ضررا كبيرا ، وتؤثر على عقله وتفكيره ، بحيث يصبح مشتت الذهن ، عديم التفكير ، وتهدد حياته العائلية والإجتماعية ، ليفقد بذلك كل القيم والمثل العليا ، ولا يبقى له إلا المحافظة على إدمانه الذي يدمر حياته وحياة أسرته وكل المشمولين برعايته .

وإذا رجعنا إلى رأي المذاهب الأربعة في التدخين ، نجد أن كثيرا من فقهائها وأتباعها يرون تحريم التدخين ، نشير إليهم فيما يلي [1] :

الشافعية : منهم ابن علان شارح رياض الصالحين ، وله رسالة في إعلام الإخوان بتحريم تناول الدخان . ومنهم الشيخ عبد الرحيم الغزي وابراهيم بن جمعان وتلميذه أبو بكر الأهدل والقليوبي والبحيري وكثيرون غيرهم .

المالكية : الأكثرون من المتأخرين على المنع والتشديد ، قائلين إن الذي ينبغي إعتماده ، ويرجع إليه في صلاح الدين والدنيا ، أن الدخان حرام الإستعمال لاعتراف كثيرين ممن لهم تمييز وتجربة ، بأنه يحدث تفتيرا ، ومنهم الشيخ إبراهيم اللقاني وشيخه الشيخ سالم السنهوري .

الحنفية : منهج الشيخ محمد العيني ، وله رسالة في تحريمه ، وقد ذكر تحريمه من أربعة أوجه :

١ـ خبيث ومعدود من الخبائث .

٢ـ أنه مسكر ، بالنسبة لمن يتناوله أول مرة ، ولمن تركه مدةثم عاد إليه ، وهذا كاف في القول بحرمته ، ولا يلزم في الحكم بتحريمه أن يكون مسكرا لكل فرد يتعاطاه ولا سيما المدمنين منهم .

٣ـ أنه مفتر (إسترخاء الأطراف وصيرورتها إلى وهن وانكسار) .

٤ـ كونه مفترا ومضرا بالصحة بإخبار الأطباء المعتبرين ، وكل ما كان كذلك يحرم استعماله اتفاقا .

كما قال أبو الحسن البصري الحنفي وغيره من الفقهاء : الآثار النقلية الصحيحة والدلائل العقلية الصحيحة تعلن تحريم الدخان .

---

(١) حكم تناول المخدرات والمفترات وتداولها في التشريع الإسلامي والقانوني ، من ص ١٢٤ إلى ص ١٢٧ .

الحنابلة : اتفق الحنابلة على تحريم الدخان إلا القليل منهم ، ومن فقهاء الحنابلة الذين قرروا التحريم : الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد عبد الوهاب والشيخ بن ناصر بن معمر رحمه الله تعالى .

وقد سئل أحد الصالحين[1] عن رأيه في الدخان والمدخنين ، فقال (إنني لا أحب التدخين وأحب من يدخن) ، وقد فهم كثير من مريدي هذا الشيخ الجليل - الذي لم يكن يدخن قط - أنه قد رفع الحرج عن المدخنين منهم ، تاركا الباب مفتوحا ، فمن شاء أقلع عن التدخين ، ومن لم يستطع فلا محل للمؤاخذة ، أو الإلزام ، ما داموا يؤدون حقوق ربهم دون تقصير[2] .

ولكن من يتدبر هذا الرد البليغ ، يرى أن صاحبه قد قطع بعدم حبه للتدخين ، وهذا واضح لا لبس فيه ، ويؤكد ذلك عدم قيامه هو نفسه بالتدخين ، أما قوله : (وأحب من يدخن) فهو تقرير منه بأنه لا يكره إخوانه من المدخنين .

فعلى مستمع أو قارئ هذا الرد ألا يفصل بين شقيه الأول والآخر ، فلا يترك الشق الأول وهو : (إنني لا أحب التدخين) ، ويأخذ بالشق الثاني وهو : (وأحب من يدخن) فمن يدخن فقد أتى فعلا غير محبوب بإطلاق ، بل هو مكروه كراهة شديدة عند بعض العلماء ، وحرام عند الغالبية منهم ، ولكنه رغم ذلك لا يتسبب في أن يكره الأخ أخاه ولا أن يكره الوالدان إبنهما .

فالوالدان يكرهان أن يدخن إبنهما ، ويكرهان الدخان الذي يدخنه ، ولكنهما بالطبع لا يكرهانه هو شخصيا من أجل التدخين ، إنما يتمنيان أن يترك هذه الأمور التي لا تنفع ولا تفيد صاحبها .

والحريص على حب الله ورسوله ، والمتمسك بأوامر الدين الإسلامي الحنيف ، عليه أن يمتنع عن كل ما يكرهانه ، أو نهيانا عنه ، فهكذا يكون حسن الإتباع وحسن الإقتداء ، أما الإدعاء بالحب دون التأسي بالمحبوب ومخالفته ، فهو حياد عن الحق والصواب .

وهناك آيات عديدة في القرآن الكريم وأحاديث نبوية شريفة ، تؤكد أن الله سبحانه وتعالى أحل لنا الطيبات وحرم علينا الخبائث ، ولا يأمرنا إلا بالمعروف ولا ينهانا إلا

---

(١) وهو الشيخ محمد أبو خليل رضى الله عنه شيخ الطريقة الخليلية المتوفى عام ١٩٢٠ م .

(٢) المناقب الخليلية ص ٧٨ .

عن المنكر ، والتدخين من الخبائث ، ومن المنكر ، لأنه ليست له أية فائدة ، إنما هو يضر بالصحة وبالجسم ، ويؤدي إلى انفاق الأموال في غير وجهها الصحيح ويفضي في كثير من الأحيان إلى مفاسد أخرى أكثر ضررا .

وقد أجملت الموسوعة الطبية الحديثة أضرار التدخين ، فقالت من محتويات التدخين وأضراره [1] :

يحتوى دخان التبغ على عدد من المواد المضرة والسموم ، منها النيكوتين ومواد مهيجة ومواد مسببة للسرطان . . وهناك أيضا احتمال حدوث سرطان الشفتين واللسان والفم، ويشعر مدمنو التدخين بأثره الضار فى صحتهم ، إذ يشكون جميعا ضيق التنفس والسعال ، كما يشكون دائما الإجهاد ، ويتعرضون لأمراض سرطان الرئة ، والحنجرة والالتهاب الشعبى المزمن ، وللتدخين أثره أيضا فى نقص كفاية الشريان التاجى ومرض القلب الناتج عن ارتفاع ضغط الدم وكذلك قرحة المعدة ومرض برجر (بأوعية الأطراف) وسرطان المثانة ، ويؤثر التدخين كذلك فى أمراض أخرى غير هذه الأمراض .

ويتوقف مدى الإصابة بهذه الأمراض على عدد اللفافات التى تستهلك يوميا ، وعلى طولها ، ومدة إدمان التدخين ، ولا شك فى أن أعمار مدمنى التدخين أقصر كثيرا من غيرهم .

وفى مجلة طبية أخرى ، نجدها تشير إلى علاقة التدخين بأمراض القلب ، فتقول[2] :

"إن العلاقة بين التدخين والإصابة بأمراض القلب علاقة واضحة ومفهومة لكل منا ، فمن الطبيعى أنه نتيجة لتلف الرئة بسبب التدخين تقل فاعلية الرئة فى تحمل الاكسجين للدم ، وبالتالى يحاول القلب تعويض ذلك بزيادة عدد ضرباته مما يؤدى إلى زيادة العبء على القلب ، بل ومن الممكن أن تؤدى إلى الإصابة بأمراض القلب "

وبعد هذا الحديث المختص عن أضرار التدخين ، ومما يسببه من أمراض عديدة يجب على كل مدخن الاقتداء برسول الله ﷺ ، والاقلاع فورا عن كل مل يضر البدن ، حفاظا على صحته ، وفى الوقت نفسه ، الامتناع عن إيذاء الغير الذى يستنشق هذا الدخان الضار .

---

(١) ج٣ ص ٤١٠ " بتصرف "

(٢) طبب نفسك ص ٩٢ ، ٩٣ مقالة تحت عنوان : (التدخين يقتل ١٠٪ من السكان) .

٤ـ هديه ﷺ فى الأكل والشرب

أ ـ النهى عن الأكل متكئا :

عن على بن الأقمر عن أبى جحيفة قال[1] :

كنت عند النبى ﷺ فقال لرجل عنده : " لاآكل وأنا متكئ " .

وقد ذكر ابن حجر العسقلانى[2] أنه ورد فى رواية أخرى عن النبى ﷺ " : إنى لاآكل متكئا " ، وقال الكرمانى " اللفظ الثانى أبلغ من الأول فى الإثبات ، وأما فى النفى فالأول أبلغ ، وكان سبب هذا الحديث قصة الأعرابى المذكور فى حديث عبد الله بن يسر عند ابن ماجه والطبرانى باسناد حسن ، قال : أهديت للنبى ﷺ شاة ، فجثا على ركبتيه يأكل فقال له أعرابى : ماهذه الجلسة ؟ فقال : إن الله جعلنى عبدا كريما ولم يجعلنى جبارا عنيدا ، قال ابن بطال : إنما فعل النبى ﷺ ذلك تواضعا لله ، ثم ذكر من طريق أيوب عن الزهيرى قال : أتى النبى ﷺ ملك لم يأته قبلها فقال : إن ربك يخيرك بين أن تكون عبدا نبيا أو ملكا نبيا ، فقال : فنظر إلى جبريل كالمستشير له فأومأ إليه أن تواضع ، فقال : بل عبدا نبيا ، قال : فما أكل متكئا .

وأخرج أبو داود من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص : قال ماروي النبي ﷺ يأكل متكئا قط . وأخرج ابن أبي شيبة عن مجاهد قال : ما أكل النبي ﷺ متكئا إلا مرة ثم نزع فقال : اللهم إني عبدك ورسولك . . وأخرج ابن شاهين في ناسخه من مرسل بن عطاء بن يسار " أن جبريل رأى النبي ﷺ يأكل متكئا فنهاه " . . ومن حديث أنس : أن النبي ﷺ لما نهاه جبريل عن الأكل متكئا لم يأكل متكئا بعد ذلك .

واختلف في صفة الإتكاء فقيل : أن يميل على أحد شقيه وقيل أن يعتمد على يده اليسرى من الأرض .

قال الخطابي : تحسب العامة أن المتكئ هو الآكل على أحد شقيه وليس كذلك ، بل هو المعتمد على الوطاء الذي تحته . . . ومعنى الحديث : إني لا أقعد إلا متكئا على الوطاء عند الأكل ، فعل من يستكثر من الطعام ، فإني لا آكل إلا البلغة من الزاد فلذلك أقعد مستوفزا .

---

(١) فتح البارى ج ٢٠ ص ٢٣٨ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٣٨ ، ٢٣٩ ورواه الترمذى بلفظ " أما أنا فلا آكل متكئا " ج ٤ ص ٢٧٣ كتاب الأطعمة باب ما جاء فى كراهية الأكل متكئا .

قد أشار النووي[1] إلى كلام الخطابي ، ثم ذكر أن البعض يرى أن المتكئ هو المائل على جنبه . والله أعلم .

وحكى ابن الأثير في النهاية : أن من فسر الإتكاء بالميل على أحد الشقين تأوله على مذهب الطب بأنه لا ينحدر في مجاري الطعام سهلا ولا يسيغه هنيئا وربما تأذى به . . . وقال البيهقي : فإن كان بالمرء مانع لا يتمكن معه من الأكل متكئا لم يكن في ذلك كراهة . . وأقوى ما قيل في علة الكراهة ما أخرجه ابن أبي شيبة من طريق ابراهيم النخعي قال : كانوا يكرهون أن يأكلوا اتكاءة مخافة أن تعظم بطونهم . "

وذكر ابن قيم الجوزية كثيرا من المضار الصحية للأكل متكئا ، ونهى الرسول ﷺ عن الأكل في أوضاع مختلفة حفاظا على الصحة ، فقال[2]:

روى ابن ماجة في سننه أن رسول الله ﷺ نهى أن يأكل الرجل وهو منبطح على وجهه ، وفسر بالإتكاء على الشئ وهو الإعتماد عليه وفسر بالإتكاء على الجنب والأنواع الثلاثة من الإتكاء فنوع منها يضر بالأكل وهو الإتكاء على الجنب فإنه يمنع مجرى الطعام الطبيعي عن هيأته ويعوقه عن سرعة نفوذه إلى المعدة ويضغط المعدة فلا يستحكم فتحها للغذاء ، وأيضا فإنها تميل ولا تبقى منتصبة فلا يصل الغذاء إليها بسهولة ، وأما النوعان الآخران فمن جلوس الجبابرة المنافي للعبودية .

ويذكر عنه ﷺ أنه كان يجلس للأكل متوركا على ركبتيه ويضع بطن قدمه اليسرى على ظهر قدمه اليمنى تواضعا لربه عز وجل وأدبا بين يديه واحترما للطعام وللمواكل فهذه الهيأة أنفع هيئات الأكل وأفضلها لأن الأعضاء كلها تكون على وضعها الطبيعي الذي خلقها الله سبحانه عليه مع ما فيها من الهيأة الأدبية وأجود ما اغتذى الإنسان إذا كانت أعضاؤه على وضعها الطبيعي ، ولا يكون كذلك إلا إذا كان الإنسان منتصبا الإنتصاب الطبيعي ، وأردأ الجلسات للأكل الإتكاء على الجنب لما تقدم من أن المرئ وأعضاء الازدراد تضيق عند هذه الهيأة والمعدة لا تبقى على وضعها الطبيعي لأنها تنعصر مما يلي البطن بالأرض ومما يلي الظهر بالحجاب الفاصل بين آلات الغذاء وآلات النفس " .

---

(١) رياض الصالحين ص ١٩٣ .

(٢) زاد المعاد ج٣ ص ١٣٦ .

ب ـ النهي عن الأكل والشرب قائما :

وردت عن الرسول ﷺ أحاديث كثيرة تنهى عن الأكل والشرب قائما ، منها ما ورد في صحيح مسلم نشير إليها فيما يلي(١) :

– عن أنس ، عن النبي ﷺ؛ أنه نهى أن يَشربَ الرجلُ قائما . قال قتادة : فقلنا : فالأكل ؟ فقال : ذاك أشرّ أو أخبث .

– عن أبي سعيد الخُدْريّ ، أن النبيﷺ زجر عن الشرب قائما .

– عن أبي هريرة ، أن رسول الله ﷺ قال : " لا يشربن أحد منكم قائما . فمن نسي فليستقئ " .

وفي باب في الشرب من زمزم قائما ، جاء في صحيح مسلم روايات عن الرسول ﷺ نشير إليها فيما يلي(٢) :

– عن ابن عباس . قال : سقيت رسول الله ﷺ من زمزم . فشرب وهو قائم ، وعنه أيضا : أن النبي ﷺ شرب من زمزم ، من دلو منها ، وهو قائم ، وعنه أيضا أنه قال : سَقَيْتُ رسول الله ﷺ من زمزم ، فشرب قائما . واستسقى وهو عند البيت(٣) .

وقد جمع ابن قيم الجوزية بين ما ورد في الأحاديث النبوية الشريفة بين النهي أو جواز الأكل والشرب قائما ، ثم قال(٤) :

وكان من هديه ﷺ الشرب قاعدا ، هذا كان هديه المعتاد وصح عنه أنه نهى عن الشرب قائما وصح عنه أنه أمر الذي شرب قائما أن يستقئ ، وصح عنه أنه شرب قائما . قالت طائفة هذا ناسخ للنهي ، وقالت طائفة بل مبين أن النهي ليس للتحريم بل للإرشاد وترك الأولى وقالت طائفة لا تعارض بينهما أصلا فإنه إنما شرب قائما للحاجة فإنه جاء إلى زمزم وهم يسقون منها فاستقى فناولوه الدلو فشرب وهو قائم ، وهذا كان موضع حاجة .

وللشرب قائما آفات عديدة منها أنه لا يحصل به الري التام ولا يستقر في المعدة حتى يقسمه الكبد على الأعضاء ، وينزل بسرعة إلى المعدة فيخشى منه أن يبرد حرارتها

(١) ج٣ ص ١٦٠٠ ، ١٦٠١ ، الترمذي ج٤ ص ٣٠٠ ، ٣٠١ كتاب الأشربة .

(٢) المرجع السابق ج٣ ص ١٦٠١ ، ١٦٠٢ ، الترمذي ج٤ ص ٣٠٠ ، ٣٠١ كتاب الأشربة .

(٣) أي طلب ﷺ، وهو عند البيت ، ما يشربه . والمراد بالبيت الكعبة .

(٤) ج٣ ص ١٣٩ .

ويشوشها ويسرع النفوذ إلى أسافل البدن بغير تدريج وكل هذا يضر بالشارب ، وأما إذا فعله نادرا أو لحاجة لم يضره ولا يعترض بالعوائد على هذا ، فإن العوائد طبائع ثوان ولها أحكام أخرى ، وهي بمنزلة الخارج عن القياس عند الفقهاء .

جـ- عدم الإكثار من الطعام :

قال ﷺ ": ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطن ، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ، فإن كان لابد فاعلا ، فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه "[1] ، كما روي عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : " قال رسول الله ﷺ[2] ":يأكل المسلم في معي واحد ، والكافر يأكل في سبعة أمعاء " .

وعن ابن عمر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ[3] ":المؤمن يأكل في معي واحد ، والكافر يأكل في سبعة أمعاء " .

وقد ذكر ابن حجر العسقلاني في شرحه لهذه الأحاديث النبوية ، فقال[4] :

معنى المؤمن يأكل في معي واحد أي يزهد في الدنيا فلا يتناول منها إلا قليلا ، والكافر في سبعة أي يرغب فيها فيستكثر منها ، وقيل المراد حض المؤمن على قلة الأكل إذا علم أن كثرة الأكل صفة الكافر ، فإن نفس المؤمن تنفر من الاتصاف بصفة الكافر ، ويدل على أن كثرة الأكل من صفة الكافر ، قوله تعالى : ﴿ **والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام**﴾ [5] ، وقيل : إن من شأن المؤمن التقلل من الأكل لاشتغاله بأسباب العبادة ، ولعلمه بأن مقصود الشرع من الأكل ما يسد الجوع ويمسك الرمق ، ويعين على العبادة .

وذكر ابن قيم الجوزية عن أضرار الإكثار من الطعام وإدخال الطعام على الطعام ما يلي[6] :

"الأمراض نوعان أمراض مادية تكون عن زيادة مادة أفرطت في البدن حتى أضرت بأفعاله الطبيعية وهي الأمراض الأكثرية وسببها إدخال الطعام على البدن قبل هضم الأول والزيادة في القدر الذي يحتاج إليه البدن وتناول الأغذية القليلة النفع

---

(١) رواه الترمذي وحسنه ج٤ ص ٥٩٠ كتاب الزهد ، والنسائي وابن ماجه .

(٢) فتح الباري ج ٢٠ ص ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، صحيح مسلم ج٣ ص ١٦٣١ .

(٣) المرجع السابق ص ٢٣٤ ، ٢٣٥ . (٤) المرجع السابق ص ٢٣٤ ، ٢٣٥ .

(٥) سورة محمد الآية ١٢ . (٦) زاد المعاد ج٣ ص ٦٨ .

البطيئة الهضم والإكثار من الأغذية المختلفة التراكيب المتنوعة فإذا ملأ الآدمي بطنه من هذه الأغذية واعتاد ذلك أورثته أمراضا متنوعة منها بطيء الزوال وسريعة فإذا توسط في الغذاء وتناول منه قدر الحاجة وكان معتدلا في كميته وكيفيته كان انتفاع البدن به أكثر من انتفاعه بالغذاء الكثير " .

وقد نصح رسول الله ﷺ أصحابه الذين سألوه عما يفعلون وهم يأكلون كثيرا ولا يشبعون فنصحهم بالإجتماع على الطعام وذكر الله .

فقد روى أبو داود وابن ماجه عن وحشى بن حرب رضى الله عنه أن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا : يا رسول الله إنا نأكل ولا نشبع ، قال : " فلعلكم تفترقون " قالوا : نعم ، قال : " فاجتمعوا على طعامكم واذكروا اسم الله يبارك لكم فيه "

د ـ وقوع الذباب في الطعام والشراب :

كثير من الناس إذا وقع الذباب في إناء أحدهم عند الطعام أو الشراب ، يفزعون ولا يتناولونه إنما يلقون به مع الفضلات في حين أن سيدنا رسول الله ﷺ، أرشدنا إلى الصواب والحق عند حدوث مثل ذلك ، (ففي الصحيحين من حديث أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال : " إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فامقلوه فإن في أحد جناحيه داء وفي الآخر شفاء) وفي سنن ابن ماجة عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺقال : " أحد جناحي الذباب سم والآخر شفاء فإذا وقع في الطعام فامقلوه فإنه يقدم السم ويؤخر الشفاء " . . . وقال أبو عبيد معنى امقلوه إغمسوه ليخرج الشفاء منه كما خرج الداء . . واعلم أن في الذباب قوة سمية يدل عليها الورم والحكة العارضة عن لسعه وهي بمنزلة السلاح ، فإذا سقط فيما يؤذيه اتقاه لسلاحه ، فأمر النبى ﷺ أن يقابل تلك السمية بما أودعه الله سبحانه فى جناحه الآخر من الشفاء ، فيغمس كله فى الماء والطعام فيقابل المادة السمية المادة النافعة فيزول ضررها ، وهذا طب لايهتدى إليه كبار الأطباء وأئمتهم بل هو خارج من مشكاة النبوة ، مع هذا فالطبيب العالم العرف الموفق يخضع لهذا العلاج ويقر لمن جاء به بأته أكمل الخلق على الاطلاق وأنه مؤيد بوحى إلهى خارج عن القوى البشرية ، وقد ذكر غير واحد من الأطباء أن لسع الزنبور والعقرب إذا دلك موضعه بالذباب تقع منه نفعا بينا وسكنه ، وما ذاك إلا للمادة التى فيه من الشفاء ، وإذا دلك به الورم الذى يخرج فى شعر العين المسمى شعرة بعد قطع رؤس الذباب أبرأه[1] .

---

(١) زاد المعاد ج٣ ص ٩٩ ، ١٠٠ ، والحديثين وردا في صحيح ابن ماجة ج٢ ص ١١٥٩ باب يقع الذباب في الإناء .

هـ ـ آداب متنوعة وهديه ﷺ في المأكل :

– ذكر ابن قيم الجوزية في هديه ﷺ في المأكل والمشرب ، " أنه ما كان يأكل وحده ، ولم يجمع قط بين لبن وسمك ولا بين لبن وحامض ولا بين غذاءين حارين ولا باردين ولا لزجين ولا قابضين ولا سهلين ولا غليظين ولا مرضيين ولا مستحيلين الى خلط واحد ولا بين مختلفين كقابض ومسهل وسريع الهضم وبطيئه ولا بين شوى وطبيخ ولا بين طرى وقديد ولا بين لبن وبيض ولا بين لحم ولبن ، ولم يكن يأكل طعاما في وقت شدة حرارته ولا طبيخا بائتا يسخن له بالغد ، ولا شيئا من الأطعمة الصفته والمالحة كالكوامخ والمخللات والملوحات وكل هذه الأنواع ضار مولد لأنواع من الخروج عن الصحة والاعتدال ، وكان يصلح ضرر بعض الأغذية ببعض ، إذا وجد إليه سبيلا ، فيكسر حرارة هذا ببرودة هذا ويبوسة هذا برطوبة هذا كما فعل في القثاء والرطب ، وكما كان يأكل التمر بالسمن ، وكان يأمر بالعشاء ولو بكف من تمر ، ويقول ﷺ (ترك العشاء مهرمة) ، ذكره الترمذي في جامعه وابن ماجة في سننه ، وذكر أبو نعيم عنه أنه كان ينهى عن النوم على الأكل ويذكر أنه يقسي القلب ، ولهذا في وصايا الأطباء لمن أراد حفظ الصحة أن يمش بعد العشاء خطوات ولو مائة خطوة ولا ينام عقبه فإنه مضر جدا ، وقال مسلموهم أو يصلي عقيبة ليستقر الغذاء بقعر المعدة ، فيسهل هضمه . . . ويكره شرب الماء عقيب الرياضة والتعب وعقيب الجماع وعقيب الطعام وقبله وعقيب أكل افاكهة وإن كان الشرب عقيب بعضها أسهل من بعض ، وعقب الحمام وعند الانتباه من النوم فهذا كله مناف لحفظ الصحة " (١) .

– ومن هديه ﷺ أنه يشرب على ثلاث مرات يتنفس خلالها مرتين ، فعن ابن عباس أن النبي ﷺ كان إذا شرب تنفس مرتين(٢) .

– ومن هدي ﷺ كراهية النفخ في الشراب ، فعن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ نهى عن النفخ في الشرب . فقال رجل : القذاة أراها في الإناء ؟ قال أهرقها . قال : فإني لا أروى من نفس واحد ؟ قال : فَأَبِنِ القدح إذن عن فيك(٣) .

– ومن هديه ﷺ كراهية التنفس في الإناء ، فعن عبد الله بن أبي قتادة عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال : إذا شرب أحدكم فلا يتنفس في الإناء (٤) .

---

(١) زاد المعاد ج٣ ص ١٣٧ .

(٢) الترمذي ج٤ ص ٣٠٣ ، ٣٠٤ كتاب الأشربة .

(٣) المرجع السابق .

(٤) الترمذي ج٤ ص ٣٠٤ كتاب الأشربة .

ومن هديه ﷺ الوضوء قبل وبعد الأكل إلتماسا للبركة والخير ، فعن زادان عن سلمان قال : قرأت فى التوراة أن بركة الطعام الوضوء بعده ، فذكرت ذلك للنبى ﷺ فأخبرته بما قرأت فى التوراة ، فقال رسول الله ﷺ:

"بركة الطعام الوضوء قبله والوضوء بعده " (١).

ولا يخفى على فطنة القارئ أن إتباع هدى سيدنا محمد ﷺ فى هذه الأمور التى أشرنا إليها ، فيه محافظة على صحة الشارب والآكل وصحة من أكل وشرب بعده ، وفيه مايسمى الآن بالصحة الوقائية ، أى وقاية النفس والغير من أن تصل إليه العدوى من بعض الأمراض ، التى أثبت العلم والطب الحديث أنها يمكن أن تنتقل عن طريق النفس أو الرزاز الذى يخرج من الفم أو الأنف .

و- عدم إكراه المريض على الطعام :

الإنسان في حاجة إلى الطعام والشراب ، ليستطيع التحرك والتفكير ، وممارسة حياته بصفة طبيعية ، أما إن أصابه مرض ما ، فأحيانا يجد أن نفسه قد عافت الطعام والشراب ، بل إن مذاقها فى فمه قد يصبح مختلفا فلا يستسغيها ، وقد عرف الطب الحديث أن امتناع المريض عن الطعام أثناء مرضه يكون أحيانا من عوامل الشفاء ، وهذا ما أمرنا الحبيب المصطفى ﷺ، فعن عقبة بن عامر الجهنى ، قال : قال رسول الله ﷺ: " لا تكرهوا مرضاكم على الطعام والشراب . فإن الله يطعمهم ويسقيهم " (٢).

أما إذا اشتهى المريض شيئا من الطعام ، فيجب علينا العمل على إطعامه ما يشتهيه ، إلا إذا ذكر أهل الخبرة من الطب أن هذا الطعام بالذات أو أية أنواع أخرى ؛ ضررها شديد ، فيجب الامتناع عن مؤكد الضرر ، وقد قال ﷺ فى هذا المعنى :

- عن ابن عباس ؛ ان النبى ﷺ عاد رجلا . فقال له : " ما تشتهى؟ " فقال : أشتهى خبز بُر . فقال النبى ﷺ (٣) :

"من كان عنده خبز بر ، فليبعث إلى أخيه " ثم قال النبى ﷺ" : إذا اشتهى مريضُ أحدكم شيئا فليطعمه " .

- وعن أنس بن مالك ؛ قال : دخل النبى ﷺ على مريض يعوده قال " أتشتهى شيئا ؟ " قال : أشتهى كعكا . قال " نعم " فطلبوا له .

(١) الترمذي ج٤ ص ٢٨١ ، ٢٨٢ كتاب الأطعمة باب ما جاء فى الوضوء قبل الطعام وبعده .

(٢) ابن ماجة ج٢ ص ١١٣٩ كتاب الطب ، الترمذي ج٤ ص ٣٨٤ كتاب الطب .

(٣) ابن ماجة ج٢ ص ١١٣٨ كتاب الطب باب المريض يشتهي شيئا .

٥ ـ آداب نبوية عن الجماع

أ ـ عدم الوطء أثناء فترة الحيض :

قال تعالى : ﴿ ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ﴾ (١) البقرة : ٢٢٢ .

فقد أمر الله سبحانه وتعالى ، بعدم جماع الرجل لزوجته فترة الحيض ، لأنه أذى " أي هو شئ تتأذى به المرأة وغيرها ، أي برائحة دم الحيض ، والأذى كناية عن القذر على الجملة ، ويُطلق على القول المكروه ؛ ومنه قوله تعالى : ﴿ لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى ﴾ (٢) أي بما تسمعه من المكروه " .

وقد نهى الله عز وجل عن إتيان النساء في حالة الحيض لأن شئ مستقذر ومعاشرتهن في هذه الحالة فيه أذى للزوجين ، لهذا أمر الأزواج بعدم مجامعة الزوجات حتى ينقطع عنهن دم الحيض ويغتسلن ، والمراد التنبيه على أن الغرض عدم المعاشرة لا عدم القرب منهن وعدم مؤاكلتهن ومجالستهن كما كان يفعل اليهود إذا حاضت عندهم المرأة (٣) .

وقد وردت أحاديث نبوية كثيرة في مباشرة الرسول ﷺ لزوجته الحائض فوق الإزار منها ما ورد في صحيح مسلم (٤) :

– عن عائشة ، قالت : كان إحدانا إذا كانت حائضا ، أمرها رسول الله ﷺ فتأتزر بإزار ، ثم يباشرها . . . وأضافت في رواية أخرى " وأيكم يملك إرْبَهُ كما كان رسول الله ﷺ يملك إربَهُ (٥) " .

– عن ميمونة ؛ قالت : كان رسول الله ﷺ يباشر نساءه فوق الإزار ، وهن حُيَّض .

والطب الحديث يؤكد أضرار الجماع وقت الحيض ، لأسباب عديدة اكتشفها وما زال يتوصل إلى أسباب أخرى كلما تقدم العلم ، مصداقا لما أوصانا به رسول الله ﷺ ومن ذلك ما ورد في بعض المراجع الطبية التي نشير إليها فيما يلي :

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٢٢ . (٢) الجامع لأحكام القرآن – القرطبي ج٣ ص ٨٥ سورة (البقرة) الآية (٢٦٤)

(٣) بتصرف من صفوة التفاسير ج٢ ص١٤١ . (٤) ج١ ص ٢٤٢ ، ٢٤٣ كتاب الحيض .

(٥) إربه : العضو الذي يستمتع به أي الفرج ، والمقصود أملككم لنفسه فيأمن مع هذه المباشرة الوقوع في المحرم ، وهو مباشرة فرج الحائض .

- "المواقعة فترة الحيض يمقتها الطب وينفر منها علم النساء والتوليد ، لأن في المحيض يحتقن الجهاز التناسلي للأنثى ويصبح أكثر عرضة للإلتهابات ، وفيه تصل المقاومة للعدوى إلى مراتبها الدنيا في المرأة إذ تصبح أكثر عرضة للأمراض المختلفة .

لذلك فنرى في أكثر الأحايين ما يصيب الأنثى من أضرار بالغة وخسائر جسيمة من اللقاء الجنسي أثناء فترة الحيض ، وتظهر في صورة التهابات مهبلية ورحمية ، وقد تصل الإلتهابات إلى قنوات فالوب أو إلى المبيضين ، كما قد تصل هذه الميكروبات إلى الذكر فتحدث التهابات بمجرى البول ، ومنه إلى المثانة فالحالبين فالكليتين ، ولعل انبعاث رائحة كريهة من المرأة قد ينفر زوجها منها مما يصيبه بالملل واليأس والسآمة ، وقد يجعله مصابا بعقدة نفسية ، مما يصرفه عنها إلى غيرها .

إضافة جديدة قيل فيها إن مرض الجذام ينتقل وينجم عن المباضعة في المحيض "[1] .

- "تبدأ الدورة الشهرية بإفراز أحمر قرمزي مكون من دم ومخاط وغني بكرات الدم البيضاء ويتكون الدم من إفرازات الفرج وعنق الرحم ونزيف الغشاء المبطن للرحم وهو في حالة الإفراز والبكتريا ، وتكون لها رائحة مميزة نتيجة نشاط البكتريا وتحلل الأنسجة ، وحوالي ٥٠٪ من النساء يشعرن بألم في أسفل البطن والحوض والظهر قبل وأثناء الحيض ، وفي الغالب تشعر المرأة بالتعب والاكتئاب أو العصبية والصداع وعدم القدرة على التركيز وثقل في الحوض . . . " [2] .

ب ـ عدم الوطء فى الدبر :

قال تعالى : **﴿ نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم وقدموا لأنفسكم واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه وبشر المؤمنين ﴾** [3] البقرة : ٢٢٣ .

وقد ورد القرطبى فى تفسيره لهذه الآية [4] :

(روى الأئمة واللفظ لمسلم عن جابر بن عبد الله قال : كانت اليهود تقول : إذا أتى الرجل امرأته فى دُبُرها فى قُبُلها كان الولدُ أحولَ ؛ فنزلت الآية **﴿ نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم ﴾** زاد فى رواية عن الزهرى : إن شاء مُجَبِّيَةً [5] وإن شاء غير مجبية غير أن ذلك فى صمام واحد . وروى : فى سِمَام واحد بالسين ؛ قاله الترمذى .

---

(١) الإعجاز الطبي في القرآن - د. السيد الجميلي ص ١٣٦ ، ١٣٧ .

(٢) مجلة طبيبك الخاص العدد ١٢ ديسمبر ١٩٧١ ص ٤٦ ، ٤٧ بعنوان : الدورة الشهرية .

(٣) سورة البقرة الآية ٢٢٣ . (٤) الجامع لأحكام القرآن ج٣ ص ٩١ .

(٥) مجبية : أى منكبة على وجهها ؛ تشبيها بهيئة السجود . سورة البقرة الآية ٢٢٣ .

وقال ابن عمر : أى يأتيها فى قُبُلها .

وعن ابن عباس قال : جاء عمر إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله هلكت ! قال : " وما أهلك " قال : حولت رحلى الليلة ؛ قال : فلم يَرُدَّ عليه رسول الله ﷺ شيئا ؛ قال : فأوحى إلى رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿ نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم ﴾ أقبل وأدبر واتق الدبر والحيضة " .

ثم ذكر القرطبى أن الحق فى هذه المسألة ، أن إباحة الإتيان مختصة بموضع الحرث لقوله تعالى : ﴿ فأتوا حرثكم ﴾ ولأن الحكمة فى خلق الأزواج بث النسل ، فغير موضع النسل لا يناله ملك النكاح وقد قال أصحاب أبى حنيفة : إنه عندنا ولائط الذكر سواء فى الحكم ؛ ولأن القذر والأذى فى موضع النجو[1] أكثر من دم الحيض ، فكان أشنع .

قال الشيخ الامام فخر الاسلام أبو بكر محمد بن أحمد بن الحسين :

وقد حرم الله تعالى الفرج حال الحيض لأجل النجاسة العارضة فأولى أن يحرم الدُبُر لأجل النجاسة اللازمة .

وقد جاء فى صحيح الترمذى عن عبد الله بن محمد بن عقيل انه سمع جابرا يقول[2] :

قال رسول الله ﷺ ": إن أخوف ما أخاف على أمتى عمل قوم لوط " .

وقد أورد القرطبى عدة أحاديث نبوية تنهى عن الوطء فى الدبر نشير اليها فيما يلى[3] :

- عن خزيمة بن ثابت قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : " أيها الناس إن الله لا يستحى من الحق لا تأتوا النساء فى أعجازهن " ومثله عن على بن طلق .

- عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : " من أتى إمرأة فى دُبُرِها لم ينظر الله تعالى إليه يوم القيامة " .

- وروى أبو داود الطيالسى فى مسنده عن قتاده عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن عبد الله بن عمرو عن النبى ﷺ قال : " تلك اللوطية الصغرى " .

---

(١) النجو : ما يخرج من البطن من ريح وغائط .

(٢) ج ٤ ص ٥٨ كتاب الحدود باب ما جاء فى حد اللوطى .

(٣) المرجع السابق ج٣ص ٩٥ .

وورد عن ذلك أيضا فى زاد المعاد ما يلى[1] :

(أما الدبر فلم يبح قط على لسان نبى من الأنبياء ومن نسب الى بعض السلف إباحة وطء الزوجة فى دبرها فقد غلط عليه ، وفى سنن أبى داود عن أبى هريرة قال ، قال رسول الله ﷺ ": ملعون من أتى المرأة فى دبرها " وفى لفظ لأحمد وابن ماجه " لا ينظر الله الى رجل جامع امرأته فى دبرها " وفى لفظ الترمذى وأحمد "من أتى حائضا أو امرأة فى دبرها أو كاهنا فصدقه فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ " ، وفى لفظ للبيهقى "من أتى شيئا من الرجال والنساء فى الأدبار فقد كفر " .

ثم تكلم ابن القيم بعد ذلك عن مضار الوطء فى الدبر فقال[2] :

(إذا كان الله حرم الوطء فى الفرج لأجل الأذى العارض ، فما الظن بالحش الذى هو محل الأذى اللازم مع زيادة المفسدة بالتعرض لانقطاع النسل ، والذريعة القريبة جدا من أدبار النساء إلى أدبار الصبيان ، وأيضا فللمرأة حق على الزوج فى الوطء ، ووطؤها فى دبرها يفوت حقها ولا يقضى وطرها ولا يحصل مقصودها ، وأيضا فإن الدبر لم يتهيأ لهذا العمل وانما الذى هيئ له الفرج فالعادلون عنه إلى الدبر خارجون عن حكمة الله وشرعه جميعا .

وأيضا فإن ذلك مضر للرجل ولهذا ينهى عنه عقلاء الأطباء من الفلاسفة وغيرهم لأن الفرج خاصية فى اجتذاب الماء المحتقن وراحة الرجل منه ، والوطء فى الدبر لا يعين على اجتذاب جميع الماء ، ولا يخرج كل المحتقن لمخالفته للأمر الطبيعى .

وأيضا يضر من وجه آخر وهو إحواجه إلى حركات متعبة جدا لمخالفته للطبيعة .

وأيضا فإنه محل القذر والنجو فيستقبله الرجل بوجهه ويلابسه .

وأيضا فإنه يضر بالمراة جدا لأنه وارد غريب بعيد الطباع منافر لها غاية المنافرة .

وأيضا فإنه يحدث الهم والغم والنفرة عن الفاعل والفعول .

وأيضا فإنه يسود الوجه ويظلم الصدر ويطمس نور القلب ويكسو الوجه وحشة تصير عليه كالسيماء يعرفها من له أدنى فراسة .

وأيضا يوجب النفرة والتباغض الشديد والتقاطع بين الفاعل والمفعول .

---

(١) زاد المعاد بن القيم ص ١٤٨ .

(٢) المرجع السابق ص ١٤٩ .

وأيضا فانه يفسد حال الفاعل والمفعول فسادا لا يكاد يرجى بعده صلاح إلا أن يشاء الله بالتوبة النصوح .

وأيضا فإنه يذهب بالمحاسن منهما ويكسوهما ضدهما كما يذهب بالمودة بينهما ويبدلهما بها تباغضا وتلاعنا .

وأيضا فإنه من أكبر أسباب زوال النعم فإنه يوجب اللعنة والمقت من الله واعراضه عن فاعله وعدم نظره إليه ، فأى خير يرجوه بعد هذا وأى شر يأمنه ، وكيف حياة عبد قد حلت عليه لعنة الله ومقته وأعرض عنه بوجهه ولم ينظر إليه .

وأيضا فإنه يذهب بالحياء جملة والحياء هو حياة القلوب فإذا فقدها القلب استحسن القبيح واستقبح الحسن ، وحينئذ فقد استحكم فساده .

وأيضا فإنه يحيل الطباع عما ركبها الله ويخرج الإنسان عن طبعه الى طبع لم يركب الله عليه شيئا من الحيوان بل هو طبع منكوس وإذا نكس الطبع انتكس القلب والعمل والهدى فيستطيب حينئذ الخبيث من الأعمال والهيآت ويفسد حاله وعمله وكلامه بغير اختياره .

وأيضا فإنه يورث من الوقاحة والجرأة ما لا يورثه سواه .

وأيضا فإنه يورث من المهانة والسفال والحقارة ما لا يورثه غيره .

وأيضا فإنه يكسو العبد من حلة المقت والبغضاء وازدراء الناس له واحتقارهم إياه واستصغارهم له ما هو مشاهد بالحس .

فصلاة الله وسلامه على من سعادة الدنيا والآخرة فى هديه واتباع ما جاء به وهلاك الدنيا والآخرة فى مخالفة هديه وما جاء به .

وعلاوة على الأضرار الصحية والنفسية التى أشرنا إليها آنفا نتيجة الوطء فى الدبر (اللواط) ، (فقد تم التعرف لأول مرة عام ١٩٨١ م ، على فيروس خطير لمرض مميت يسمى (فقدان المناعة المكتسبة) واشتهر باسم (الإيدز) كما سمى مجازا (طاعون الشاذين) إذ بلغت نسبة الذين أصيبوا بهذا المرض عن طريق الشذوذ الجنسى ٧٣٪ من حالات الإيدز ، حيث يحتوى المليمتر الواحد من السائل المنوى للمصابين على ما يزيد على مليون وحدة فيروس .

وهذا المرض يؤدى إلى تلف جهاز المناعة فى الجسم ، وانهيار الوسائل الدفاعية التى

استودعها الله عز وجل فى الجسم ، لتدفع عنه الجراثيم التى تهاجمه ، فإذا انهارت مناعته، وقع فريسة سهلة لكل الجراثيم ، فيصاب بالعديد من الأمراض التى تؤدى بحياته)[1].

ومرض الإيدز يسمى أيضا (المرض الخبيث) ، لأن المريض به قد يعيش سنوات بدون أن يعرف مرضه ، وفى خلال هذه الفترة قد يتسبب فى إصابة كثيرين غيره بهذا المرض ، وبخاصة المقربين منه .

ومما يدعو إلى التأمل ، أن القرآن الكريم سمى أعمال قوم لوط (اللواط أو الشذوذ الجنسى) الخبائث[2]وذلك فى قوله تعالى : ﴿ **ولوطا آتيناه حكما وعلما ونجيناه من القرية التى كانت تعمل الخبائث إنهم كانوا قوم سوء فاسقين** ﴾ [3] الأنبياء : ٧٤ .

كما أشار إلى ذلك سيدنا رسول الله ﷺ فيما روي عن عبد الله بن عمر ، قال : أقبل علينا رسول الله ﷺ فقال : " يا معشر المهاجرين ! خمس إذا ابتليتم بهن ، وأعوذ بالله أن تدركوهن : لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها ، إلا فشى فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا . . . " [4].

فهذا الحديث يدل على تنبؤ الرسول ﷺ بظهور أمراض جديدة لم تكن موجودة من قبل ولم تعرفها البشرية وذلك إذا ما فشت الفاحشة بين الناس وأصبح أصحابها يعلنونها ولا يستحون منها ، ومن هذه الأمراض التي انتشرت وأصيب بها ملايين المرضى في العالم مرض الإيدز الذي احتار الأطباء والعلماء في مواجهته رغم التقدم النسبي للعلم ، إلى درجة أن البعض توهم أن العلم أصبح قادرا على شفاء جميع الأمراض ، إلى أن تم إكتشاف هذا المرض الخبيث الذي أظهر عجز العلماء وأنه ليس لديهم من العلم إلا قليلا .

وهكذا يكتشف العلم دوما ، صدق ما جاء به الحبيب المصطفى ﷺ وحسن إتباعه والإلتزام بكل ما أمر به ، لأنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى ، والإنسان لا يستطيع ان يحصى فوائد الأمور التى أمر بها الشرع ، وليس مطلوبا منه ذلك ، إنما

---

(١) من نشرة توضيحية من إعداد : اللجنة العلمية فى الجمعية الطبية الإسلامية ، الإيدز كتاب اليوم الطبى د. رفعت كمال .

(٢) الجامع لأحكام القرآن - للقرطبى ج ١١ص ٢٠٦ .

(٣) سورة الأنبياء الآية ٧٤ .

(٤) رواه ابن ماجة ج٢ ص ١٣٣٢ ، ١٣٣٣ كتاب الفتن باب العقوبات ورواه الحاكم والبزار .

يجب عليه أن يقول كما قال السلف الصالح سمعنا وأطعنا ، وحينئذ سيجد الخير كل الخير ، فى تنفيذ كل ما أمر به الله عز وجل ورسوله الكريم ﷺ.

٦- الإكتحال بالاثمد

عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ ": إن خير ما تداويتم به اللدود والسعوط والحجامة والمشى وخير ما اكتحلتم به الإثمد فإنه يجلو البصر وينبت الشعر " ، وكان لرسول الله ﷺ مكحلة يكتحل بها عند النوم ثلاثا فى كل عين [١] .

وقد تكلم البخارى عن الكحل فى باب : الإثمد والكحل من الرمد ، وقد ذكر ابن حجر أنه من أسباب الرمد [٢] .

(إنصباب أحد الاخلاط أو أبخرة تصعد من المعدة إلى الدماغ ، فإن اندفع إلى الخياشيم أحدث الزكام ، أو إلى العين أحدث الرمد ، أو إلى اللهاة والمنخرين أحدث الخنان بالخاء المعجمة والنون ، أو إلى الصدر أحدث النزلة ، أو إلى القلب أحدث الشوصة . وإن لم ينحدر وطلب نفاذا فلم يجد أحدث لصداع) .

وحديث أم عطية مرفوعا : " لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر تحد فوق ثلاث إلا على زوج فإنها لا تكتحل " تقدم فى أبواب المعدة ، لكن لم أر فى شئ من طرقه ذكر الإثمد ، فكأنه ذكره لكون العرب غالبا إنما تكتحل به ، وقد ورد التنصيص عليه فى حديث ابن عباس رفعه : " اكتحلوا بالإثمد فإنه يجلو البصر وينبت الشعر " أخرجه الترمذى وحسنه واللفظ له . وابن ماجه وصححه ابن حبان ، واخرجه الترمذى من وجه آخر عن ابن عباس فى الشمائل وفى الباب عن جابر عند الترمذى فى الشمائل وابن ماجه وابن عدى من ثلاث طرق عن ابن المنكدر عنه بلفظ : " عليكم بالإثمد فإنه يجلو البصر وينبت الشعر " وعن على عند ابن أبى عاصم والطبرانى ولفظه : " عليكم بالإثمد فإنه منبتة للشعر . مذهبة للقذى . مصفاة للبصر " وسنده حسن . وعن ابن عمر بنحوه عند الترمذى فى الشمائل وعن أنس فى غريب مالك للدار قطنى بلفظ : " كان يأمرنا بالإثمد " . وهو عند أبى داود من حديثه بلفظ : " إنه أمر بالإثمد للروح عند النوم " .

---

(١) الترمذى ج٤ ص ٣٨٨ ، ٣٨٩ كتاب الطب باب ما جاء فى السعوط وغيره . واللدود : الدواء المسقى فى أحد لديدى الفم ، وهما شقاه ، والسعوط : كل ما يوضع فى الأنف من الدواء .

(٢) فتح البارى ج ٢١ ص ٢٧٥ باب الإثمد والكحل من الرمد .

وعن أبى رافع " أن النبى ﷺ كان يكتحل بالإثمد " أخرجه البيهقى وفى سنده مقال . وعن عائشة : " كان لرسول الله ﷺ الإثمد يكتحل به عند منامه فى كل عين ثلاثا " أخرجه أبو الشيخ فى كتاب أخلاق النبى ﷺ بسند ضعيف . والإثمد : حجر معروف أسود يضرب إلى الحمرة يكون فى بلاد الحجاز وأجوده يؤتى من أصبهان . واختلف : هل هو اسم الحجر الذى يتخذ منه الكحل ؟ أو هو نفس الكحل ذكر ابن سيده وأشار إليه الجوهرى . وفى هذه الأحاديث إستحباب الإكتحال بالإثمد) .

وقد كان من هديه ﷺ أن يكتحل فى عينيه ولذلك للمحافظة على سلامة العينين ولتقوية البصر ، ففي الكحل (حفظ لصحة العين وتقوية للنور الباصر وجلاء لها وتلطيف للمادة الرديئة واستخراج لها مع الزينة فى بعض أنواعه ، وله عند النوم مزيد فضل لاشتماله على الكحل ، وسكونها عقيبة عن الحركة المضرة بها وخدمة الطبيعة لهـا ، وللأثمـد[1] من ذلك خاصية) وفى سنن ابن ماجه عن سالم عن ابيه يرفعه : (عَلَيكُم بالإثمد فَإنَّهُ يَجلُو البَصرَ وَيُنْبتُ الشَّعرَ) ، وفى كتاب أبى نعيم : (فإنه منبته للشعر مذهَبةَ لَلقَذى[2]، مصفاة للبصر) ، وفى سنن ابن ماجه أيضا عن ابن عباس رضى الله عنهما يرفعه " خَيرُ أكحَالكُمُ الإثمدُ يَجْلُو البَصرَ ويُنبتُ الشَّعرَ " [3].

وقد وردت أحاديث عديدة عن رسول الله ﷺ تؤكد حرصه على الاكتحال ، مع إيثار العين اليمنى – فى بعض الروايات – بزيادة عدد مرات الاكتحال، منها :

– عن ابن عباس رضى الله عنهما ، قال : قال رسول الله ﷺ:

(البسوا من ثيابكم البياض فإنها من خير ثيابكم ، وكفنوا فيها موتاكم ، وإن خير أكحالكم الأثمد : يجلو البصر ، وينبت الشعر)[4] .

– وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : (كانت للنبي ﷺ مُكْحلَة يكتَحِلُ منها ثلاثا في كُلِّ عَيْن)[5].

---

(١) الأثمد : حجر يتخذ منه الكحل ؛ وقيل : ضرب من الكحل ؛ وقيل : هو نفس الكحل .

(٢) القذى : قذيت العين ، أي صار فيها الوسخ (المصباح المنير ج٢ ص ٦٧٩) ، لسان العرب ج٥ ص ٣٥٦٢ .

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد ج٣ ص ١٥٦ والحديثين وردا في سنن ابن ماجة ج٢ ص ١١٥٦ ، ١١٥٧ باب الكحل بالأثمد .

(٤) سنن أبي داود ج٤ ص٨ باب في الأمر بالكحل .

(٥) رواه ابن ماجة ج٢ ص ١١٥٧ باب من اكتحل وترا .

وعن ابى هريرة ؛ أن النبى ﷺ قال :

(من اكتَحَل ، فليوتِر . مَنْ فَعَلَ ، فقد أحسنَ . ومن لا . فلا حَرَجَ) [١].

– وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : " كانت للنبى ﷺمكحلة يكتحل بها كل ليلة ثلاثة فى هذه وثلاثة فى هذه " [٢].

---

(١) المرجع السابق .

(٢) الجامع الصحيح (سنن الترمذي) ج٤ ص ٢٣٤ باب ما جاء في الاكتحال .

ثالثاً: الطب العلاجي النبوي

١- العلاج بالمواد الطبيعية

أ ـ عسل النحل:

عسل النحل من أكثر الأغذية التى ورد عنها نصوص قرآنية ونبوية عديدة ، تبين فضله فى الشفاء من الأمراض فقد قال تعالى :

﴿ وأوحى ربك الى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون ﴾ [١] النحل : ٦٨ ، ٦٩ .

وقد جاء فى كتب السنة الصحاح كثير من الأحاديث النبوية الشريفة ، ما يؤكد أن فى عسل النحل شفاء ، منها :

– عن أبى سعيد قال : جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال : إن أخى استطلق بطنه ، فقال : " اسقه عسلا " فسقاه ثم جاء فقال : يا رسول الله قد سقيته عسلا فلم يزده إلا استطلاقا ، فقال رسول الله ﷺ ": اسقه عسلا " فسقاه ثم جاءه فقال : يا رسول الله قد سقيته عسلا فلم يزده إلا استطلاقا ، قال : فقال رسول الله ﷺ ": صدق الله وكذب بطن أخيك ، اسقه عسلا " فسقاه عسلا فبرأ .

وجاء فى ابن ماجه عدة أحاديث[٢] منها :

– عن أبى هريرة ؛ قال : قال رسول الله ﷺ ": من لعق العسل ثلاث غدوات ، كل شهر ، لم يصبه عظيم من البلاء " .

---

(١) سورة النحل الآية (٦٨ ، ٦٩) .

(٢) ج٢ ص ١١٤٢ كتاب الطب باب العسل الأحاديث أرقام من ٣٤٥٠ الى ٣٤٥٢ .

- عن جابر بن عبد الله ؛ قال : أُهدى للنبى ﷺ عسل . فقسم بيننا لُعْقَةً لُعْقَةً ، فأخذت لُعقتى ، ثم قلت : يا رسول الله أزداد أخرى ؟ قال " نعم "

- عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ " عليكم بالشفاءين : العسل والقرآن " .

- عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال[1] : " الشفاء في ثلاث شربة عسل وشرطة محجم . . . " .

- عن جابر بن عبد الله قال سمعت النبي ﷺ يقول[2] : " إن كان في شئ من أدويتكم خير ففي شربة عسل أو . . . " .

- عن عائشة رضي الله عنها قالت [3] : " كان النبي ﷺ يُعجبُه الحلواءُ والعسلُ" وقد تكلم ابن حجر العسقلاني عن أقوال المفسرين لمعنى قوله تعالى : ﴿فيه شفاء للناس﴾ فقال[4] : " إن الضمير فيها للعسل وهو قول الجمهور . وزعم بعض أهل التفسير أنه للقرآن . وذكر ابن بطال أن بعضهم قال إن قوله تعالى : ﴿ فيه شفاء للناس﴾[5]أي لبعضهم وحمله على ذلك أن تناول العسل قد يضر ببعض الناس كمن يكون حار المزاج لكن لا يحتاج إلى ذلك لأنه ليس فى حمله على العموم ما يمنع أنه قد يضر ببعض الأبدان بطريق العرض .

والعسل يذكر ويؤنث وأسماؤه تزيد على المائه ، وفيه من المنافع ما لخصه الموفق البغدادى وغيره فقالوا : يجلو الأوساخ التى فى العروق والأمعاء ، ويدفع الفضلات ، ويغسل خمل المعدة ويسخنها تسخينا معتدلا ، ويفتح أفواه العروق ، ويشد المعدة والكبد والكلى والمثانة والمنافذ ، وتحليل للرطوبات أكلا وطلاء وتغذية ، وفيه حفظ المعجونات ، وإذهاب لكيفية الأدوية المستكرهة ، وتنقية الكبد والصدر ، وإدرار البول والطمث ونفع للسعال الكائن من البلغم ، ونفع لأصحاب البلغم والأمزجة الباردة ، وإذا أضيف إليه الخل نفع أصحاب الصفراء ، ثم هو غذاء من الأغذية ، ودواء من الأدوية ، وشراب من الأشربة ، وحلوى من الحلاوات وطلاء من الأطلية ، ومفرح من المفرحات ، ومن منافعه أنه إذا شرب حارا بدهن الورد نفع من نهش الحيوان ، وإذا شرب وحده بماء نفع من عضه الكلب وإذا جعل فيه اللحم الطرى حفظ طراوته ثلاثة

(١) البخاري ج ٢٠ ص ٢٠٥ كتاب الطب باب الشفاء في ثلاث .

(٢) المرجع السابق ص ٢١٦ .

(٣) البخاري ج ٢٠ ص ٢٠٦ - وفتح الباري ج ص ٢٥٥ أو ٣٥٥ باب الدواء بالعسل .

(٤) فتح الباري ج ص ٢٥٥ . (٥) الآية ٦٩ من سورة النحل .

أشهر ، وكذلك الخيار والقرع والباذنجان والليمون ونحو ذلك من الفواكه ، وإذا لطخ به البدن للقمل قتل القمل والصئبان وطول الشعر وحسنه ونعمه ، وإن اكتحل به جلا ظلمة البصر ، وإن استن به صقل الأسنان وحفظ صحتها ، وهو عجيب فى حفظ جثث الموتى فلا يسرع إليها البلى ، وهو مع ذلك مأمون الغائلة قليل المضرة ، ولم يكن يعول قدماء الأطباء فى الأدوية إلا عليه ولا ذكر للسكر فى أكثر كتبهم أصلا ، وقد أخرج أبو نعيم فى الطب النبوى بسند ضعيف من حديث أبى هريرة رفعه وابن ماجه بسند ضعيف من حديث جابر رفعه : " من لعق العسل ثلاث غدوات فى كل شهر لم يصبه عظيم بلاء " والله أعلم .

وذكر ابن حجر العسقلانى فى تفسيره لقول الرسول ﷺ": صدق الله وكذب بطن أخيك " أن أهل الحجاز يطلقون الكذب فى موضع الخطأ ، يقال كذب سمعك أى زل فلم يدرك حقيقة ما قيل له ، فمعنى كذب بطنه أى لم يصلح لقبول الشفاء بل زل عنه ، وقد اعترض بعض الملاحدة فقالوا العسل مسهل ، فكيف يوصف لمن وقع به الإسهال؟ والجواب أن ذلك جهل من قائله ، بل هو كقوله تعالى : ﴿ بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ﴾ [1]يونس : ٣٩ ، فقد اتفق الأطباء على أن المرض الواحد يختلف علاجه باختلاف السن والعادة والزمان والغذاء المألوف والتدبير وقوة الطبيعة ، وعل أن الإسهال يحدث من أنواع منها الهيضة التى تنشأ عن التخمة : واتفقوا على أن علاجها بترك الطبيعة وفعلها ، فإن احتاجت إلى مسهل معين أعينت ما دام بالعليل قوة ، فكأن هذا الرجل كان استطلاق بطنه عن تخمة أصابته فوصف له النبى ﷺ العسل لدفع الفضول المجتمعة فى نواحى المعدة والأمعاء لما فى العسل من الجلاء ودفع الفضول التى تصيب المعدة من أخلاط لزجة تمنع استقرار الغذاء فيها .

وللمعدة خمل كخمل المنشفة فإذا علقت بها الأخلاط اللزجة أفسدتها وأفسدت الغذاء الواصل إليها فكان دواؤها باستعمال ما يجلو تلك الأخلاط ، ولا شئ فى ذلك مثل العسل لا سيما إن مزج بالماء الحار ، وإنما لم يفده فى أول مرة لأن الدواء يجب أن يكون له مقدار وكمية بحسب الداء ، إن قصر عنه لم يدفعه بالكلية ، وإن جاوزه أوهى القوة وأحدث ضررا آخر ، فكأنه شرب منه أولا مقدارا لا يفى بمقاومة الداء فأمره بمعاودة سقية ، فلما تكررت الشربات بحسب مادة الداء برأ بإذن الله تعالى : وفى قوله

(١) سورة يونس الآية ٣٩ .

ﷺ":وكذب بطن أخيك " إشارة إلى أن هذا الدواء نافع ، وأن بقاء الداء ليس لقصور الدواء فى نفسه ولكن لكثرة المادة الفاسدة ، فمن ثم أمره بمعاودة شرب العسل لاستفراغها فكان كذلك وبرأ بإذن الله .

قال الخطابى : والطب نوعان : طب اليونان وهو قياسى ، وطب العرب والهند وهو تجاربى ، وكان أكثر ما يصفه النبى ﷺ لمن يكون عليلا على طريقة طب العرب ، ومنه ما يكون مما اطلع عليه بالوحى ، وقد قال صاحب كتاب المائة فى الطب : إن العسل تارة يجرى سربعا إلى العروق وينفذ معه جل الغذاء ويدر البول فيكون قابضا ، وتارة يبقى فى المعدة فيهيجها بلدغها حتى يدفع الطعام ويسهل البطن فيكون مسهلا ، فإنكار وصفه للمسهل مطلقا قصور من المنكر : وقال غيره : طب النبى ﷺ متيقن البرء لصدوره عن الوحى ، وطب غيره أكثره حدس أو تجربة ، وقد يتخلف الشفاء عن بعض من يستعمل طب النبوة وذلك لمانع قام بالمستعمل من ضعف اعتقاد الشفاء به وتلقيه بالقبول .

وأظهر الأمثلة فى ذلك القرآن الذى هو شفاء لما فى الصدور ، ومع ذلك فقد لا يحصل لبعض الناس شفاء صدره لقصوره فى الاعتقاد والتلقى بالقبول ، بل لا يزيد المنافق إلا رجسا إلى رجسه ومرضا إلى مرضه ، فطب النبوة لا يناسب إلا الأبدان الطيبة ، كما أن شفاء القرآن لا يناسب إلا القلوب الطيبة ، والله أعلم

وقد أسهب القرطبى فى تفسيره لقوله تعالى ﴿ فيه شفاء للناس ﴾ [1]وقد رأينا إيراد ذلك بدون إختصار ، لأهمية كل من المضمون والمتكلم عنه فيما يلى :

- قوله تعالى : ﴿ فيه شفاء للناس ﴾ الضمير للعسل ؛ قال الجمهور ، أى فى العسل شفاء للناس ، وروى عن ابن عباس والحسن ومجاهد والضحاك والفراء وابن كيسان : الضمير للقرآن ؛ أى فى القرآن شفاء ، النحاس : وهذا قول حسن ؛ أو فيما قصصنا عليكم من الآيات والبراهين شفاء للناس ، وقيل : العسل فيه شفاء ، وهذا القول بين أيضا لأن أكثر الأشربة والمعجونات التى يتعالج بها أصلها العسل ، قال القاضى أبو بكر العربى : من قال إنه القرآن بعيد ما أراه يصح عنهم ، ولو صح نقلا لم يصح عقلا ؛ فإن مساق الكلام كله للعسل ، ليس للقرآن فيه ذهب قوم من أهل الجهالة إلى أن هذه الآية يراد بها أهل البيت وبنو هاشم ، وأنهم النحل ، وأن الشراب القرآن والحكمة ،

---

(١) سورة النحل الآية ٦٩ .

وقد ذكر هذا بعضهم في مجلس المنصور أبي جعفر العباسي ، فقال له رجل ممن حضر : جعل الله طعامك وشرابك ممايخرج من بطون بني هاشم ، فأضحك الحاضرين وبهت الآخر وظهرت سخافة قوله .

اختلف العلماء في قوله تعالى : ﴿ فيه شفاء للناس ﴾ هل هو على عمومه أم لا ؛ فقالت طائفة : هو على العموم في كل حال ولكل أحد ، فروى عن ابن عمر أنه كان لا يشكو قرحة ولا شيئا إلا جعل عليه عسلا ، حتى الدمل إذا خرج عليه طلى عليه عسلا ، وحكى النقاش عن أبي وجرة أنه كان يكتحل بالعسل ويستمشي بالعسل ويتداوى بالعسل ، وروى أن عوف بن مالك الأشجعي مرض فقيل له : ألا نعالجك ؟ فقال : ائتوني بالماء ، فإن الله تعالى يقول : ﴿ ونزلنا من السماء ماء مباركا ﴾[1] ق : ٩ ، ثم قال : ائتوني بعسل ، فإن الله تعالى يقول : ﴿ فيه شفاء للناس ﴾ وائتوني بزيت ، فإن الله تعالى يقول : ﴿ من شجرة مباركة ﴾ [2] النور : ٣٥ ، فجاءوه بذلك كله فخلطه جميعا ثم شربه فبرئ ، ومنهم من قال : إنه على العموم إذا خلط بالخل ويطبخ فيأتي شرابا ينتفع به في كل حالة من كل داء ، وقالت طائفة : إن ذلك على الخصوص ولا يقتضي العموم في كل علة وفي كل إنسان ، بل إنه خبر عن أنه يشفي كما يشفي غيره من الأدوية في بعض وعلى حال دون حال ؛ ففائدة الآية إخبار منه في أنه دواء لما كثر الشفاء به وصار خليطا ومعينا للأدوية في الأشربة والمعاجين ؛ وليس هذا باول لفظ خصص فالقرآن مملوء منه ولغة العرب يأتي فيها العام كثيرا بمعنى الخاص والخاص بمعنى العام ، ومما يدل على أنه ليس على العموم أن " شفاء " نكرة في سياق الاثبات ، ولا عموم فيها باتفاق أهل اللسان ومحققي أهل العلم ومختلفي أهل الأصول ، لكن قد حملته طائفة من أهل الصدق والعزم على العموم ، فكانوا يستشفون بالعسل من كل الأوجاع والأمراض ، وكانوا يشفون من عللهم ببركة القرآن وبصحة التصديق والإيقان ، ابن العربي : ومن ضعفت نيته وغلبته على الدين عادته أخذه مفهوما على قول الأطباء ، والكل من حكم الفعال لما يشاء .

- إن قال قائل : قد رأينا من ينفعه العسل ومن يضره ، فكيف يكون شفاء للناس؟ قيل له : الماء حياة كل شئ وقد رأينا من يقتله الماء إذا أخذه على ما يضاده من علة في البدن ، وقد رأينا شفاء العسل في أكثر هذه الأشربة ؛ قال معناه الزجاج ، وقد اتفق

---

(١) سورة ق الآية ٩ .

(٢) سورة النور الآية ٣٥ .

الأطباء عن بكرة أبيهم على مدح عموم منفعة السكنجبين[1] فى كل مرض ، وأصله العسل وكذلك سائر المعجونات ، على أن النبى ﷺ قد حسم داء الإشكال وأزاح وجه الاحتمال حين أمر الذى يشتكى بطنه بشرب العسل ، فلما أخبره أخوه بأنه لم يزده إلا استطلاقا أمره بعود الشراب له فبرئ ؛ وقال : " صدق الله وكذب بطن أخيك " .

ـ اعترض بعض زنادقة الأطباء على هذا الحديث فقال : قد أجمعت الأطباء على أن العسل يسهل فكيف يوصف لمن به الإسهال ؛ فالجواب أن ذلك القول حق فى نفسه لمن حصل له التصديق بنبيه عليه السلام ، فيستعمله على الوجه الذى عينه وفى المحل الذى أمره بعقدنية وحسن طوية ، فإنه يرى منفعته ويدرك بركته ، كما قد اتفق لصاحب هذا العسل وغيره كما تقدم ، وأما ما حكى من الاجماع فدليل على جهله بالنقل حيث لم يقيد وأطلق ، قال الامام أبو عبد الله المازرى : ينبغى أن يُعلم أن الإسهال يعرض من ضروب كثيرة ، منها الإسهال الحادث عن التخم والهيضات[2]؛ والأطباء مجمعون فى مثل هذا على أن علاجه بأن يترك للطبيعة وفعلها ، وإن احتاجت الى معين على الإسهال أعينت ما دامت القوة باقية ، فأما حبسها فضرر ، فإذا وضح هذا قلنا : فيمكن أن يكون ذلك الرجل أصابه الإسهال عن امتلاء وهيضة فأمره النبى ﷺ بشرب العسل فزاده إلى أن فنيت المادة فوقف الإسهال فوافقه شرب العسل ، فإذا خرج هذا عن صناعة الطب أذن ذلك بجهل المعترض بتلك الصناعة .

قال : ولسنا نستظهر على قول نبينا بأن يصدقه الأطباء بل لو كذبوه لكذبناهم ولكفرناهم وصدقناه ﷺ ؛ فإن أوجدونا بالمشاهدة صحة ما قالوه فتفتقر حينئذ إلى تأويل كلام رسول الله ﷺ وتخريجه على ما يصح إذ قامت الدلالة على أنه لا يكذب .

ب ـ الحبة السوداء:

في فضل الحبة السوداء ، وردت أحاديث نبوية عديدة ، في مختلف كتب السنة الصحيحة ، منها ما ورد في صحيح البخاري[3]، عن خالد بن سعد، قال : خرجنا ومعنا غالب بن أبجر فمرض في الطريق فقدمنا المدينة وهو مريض فعاده ابن أبي عتيق فقال لنا عليكم بهذه الحبيبة السوداء فخذوا منها خمسا أو سبعا فاسحقوها ثم أقطروها في أنفه بقطرات زيت في هذا الجانب وفي هذا الجانب فإن عائشة حدثتني أنها سمعت

---

(١) السكنجبين : شراب معرب ؛ أى خل وعسل (عن الألفاظ الفارسية المعربة) .

(٢) الهيضات : جمع هيضة ، وهى انطلا البطن .

(٣) صحيح البخاري شرح الكرماني ج ٢٠ ص ١٢٠ باب الحبة السوداء .

النبي ﷺ يقول إن هذه الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا من السام قلت وما السام قال الموت .

عن ابن شهاب قال أخبرني أبو سلمى وسعيد أبن المسيب أن أبا هريرة أخبرهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: " في الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا السام " قال ابن شهاب والسام الموت والحبة السوداء الشونيز .

وورد في صحيح ابن ماجة [1] عن أبو سلمة بن عبد الرحمن وسعيد بن المسَيَّب ، أن أبا هريرة أخبرهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: " إن في الحبة السوداء شفاء مَن كل داء إلا السام " . . . وعن عثمان بن عبد الملك ، قال: سمعت سالم بن عبدالله يحدث عن أبيه ؛ أن رسول الله ﷺ قال " عليكم بهذه الحبة السوداء . فإن فيها شفاء من كل داء إلا السام " [٢] .

وقد ذكر ابن حجر العسقلانى عند شرحه لأحاديث الرسول ﷺ عن الحبة السوداء " معنى كون الحبة شفاء من كل داء أنها لاتستعمل فى كل داء صرفا ، بل ربما استعملت مفردة وربما استعملت مركبة ، وربما استعملت مسحوقة وغير مسحوقة وربما استعملت أكلا وشربا وسعوطا وضمادا وغير ذلك ، وقيل إن قوله " كل داء " تقديره يقبل العلاج بها فإنها تنفع من الأمراض الباردة ، وأما الحارة فلا ، نعم قد تدخل فى بعض الأمراض الحارة اليابسة بالعرض فتوصل قوى الأدوية الرطبة الباردة إليها بسرعة تنفيذها واستعمال الحارة فى بعض الأمراض الحارة الخاصية فيه لايستنكر كالعنزروت فإنه حار ويستعمل فى أدوية الرمد المركبة مع أن الرمد ورم حار باتفاق الأطباء .

وقد قال أهل العلم بالطب : إن طبع الحبة السوداء حار يابس ، وهى مذهبة للنفخ نافعة من البلغم مفتحة للسدد والريح ، مجففة لبلة المعدة ، وإذا دفنت وعجنت بالعسل وشربت بالماء الحار أذابت الحصاة وأدرت البول والطمث ، وإذا دقت وربطت بخرقة من كتان وأديم شمها نفع من الزكام البارد ، وإذا نقع منها سبع حبات فى لبن إمرأة وسعط بها صاحب اليرقان أفاده ، وإذا شرب منها وزن مثقال بماء أفاد من ضيق النفس ، والضماد بها ينفع من الصداع البارد ، وإذا طبخت بخل وتمضمض به نفعت من وجع الأسنان الكائن عن برد ، وقد ذكر ابن البيطار وغيره ممن صنف فى المفردات فى منافعها هذا الذى ذكرته وأكثر منه .

---

(١) ج٢ ص ١١٤١ كتاب الطب - باب الحبة السوداء .

(٢) الحديث رواه أيضا الترمذى ج٤ ص ٣٨٥ كتاب الطب باب ماجاء فى الحبة السوداء ، باللفظ نفسه .

وقال الخطابى : " قوله من كل داء " هو من العام الذى يراد به الخاص لأنه ليس فى طبع شئ من النبات مايجمع جميع الأمور التى تقابل الطبائع فى معالجة الأدواء بمقابلها ، وإنما المراد أنها شفاء من كل داء يحدث من الرطوبة .

وقال أبو بكر بن العربى : العسل عند الأطباء أقرب إلى أن يكون دواء من كل داء من الحبة السوداء ، ومع ذلك فإن من الأمراض مالو شرب صاحبه العسل لتأذى به ، فإن كان المراد بقوله فى العسل ﴿ فيه شفاء للناس ﴾ [1] النحل : ٦٩ ، الأكثر الغالب فحمل الحبة السوداء على ذلك أولى . . . وقال غيره : كان النبى ﷺ يصف الدواء بحسب مايشاهده من حال المريض ، فلعل قوله فى الحبة السوداء وافق مرض من مزاجه بارد فيكون معنى قوله : " شفاء من كل داء " أى من هذا الجنس الذى وقع القول فيه ، والتخصيص بالحيثية كثير شائع ، والله أعلم .

وقال الشيخ أبو محمد بن أبى جمرة : تكلم الناس فى هذا الحديث وخصوا عمومه وردوه إلى قول أهل الطب والتجربة ، ولا خفاء بغلط قائل ذلك لأنا إذا صدقنا أهل الطب ومدار علمهم إنما هو التجربة التى بناؤها على ظن غالب ، فتصديق من لاينطق عن الهوى أولى بالقبول من كلامهم[2] .

جـ ـ الكمأة والعجوة:

الكمأة[3] والعجوة[4] من الأطعمة التى ذكر رسول الله ﷺ أن فيها شفاء وأوصى بالتداوى بها ، وذلك فى كثير من الأحاديث النبوية الشريفة نشير منها إلى ما يلى :

– عن عامر بن سعيد عن أبيه قال : قال النبى ﷺ ":من اصطبح كل يوم تمرات عجوة لم يضره سم ولا سحر ذلك اليوم إلى الليل وقال غيره : سبع تمرات " [5] .

– عن سعد رضى الله عنه ، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول :

"من تصبح سبع تمرات عجوة لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر " [6] .

---

(١) سورة النحل الآية ٦٩ .

(٢) فتح البارى شرح صحيح البخارى ج١٢ ص ٢٦٠ باب الحبة السوداء .

(٣) الكمأة : تكون فى وجه الأرض كما يكون الجدرى فى سطح الجسم وللدلك قالت العرب إنها جدرى الأرض (هامش الترمذى ج٤ص ٤٠٠) وقيل الكمأة : فى المنجد : نبات يقال له أيضا " شحم الأرض " يوجد فى الربيع تحت الأرض وهو أصل مستدير كالقلقاس ، لا ساق له ولا عرق ، لونه يميل إلى الغبرة (هامش ابن ماجه ج٢ص ١١٤٢) .

(٤) العجوة : صنف من تمر المدينة .

(٥) فتح البارى ج ١٢ ص ٣٥٠ ، ٣٥١ .

(٦) المرجع السابق ، أبو داود ج ٤ ص٧ باب في تمرة العجوة .

- عن أبى سعيد وجابر ، قالا : قال رسول الله[1] ﷺ:

"الكمـــأة مِنَ المنَّ ومـــاؤها شِفَاءُ للعَيْنِ . والعـــجـــوةُ من الجنَّةِ ، وهى شِفَاءُ مِنَ الجنَّة "[2].

- عن عمرو بن نُفَيلٍ عم الرسول ﷺ أنه قال[3]:

"الكمأة من المنِّ أنزل الله على بنى اسرائيل . وماؤها شفاء العين " .

- عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال [4]:

"الكمأة من المن . والعجوة من الجنة . وهى شفاء من السَّمِّ " .

- عن رافع بن عمرو المُزَنِىَّ ، أن الرسول ﷺ قال [5] :

"العجوة والصخرة من الجنة " .

- عن سعد ، قال : مرضت مرضا أتاني رسول الله ﷺ يعـودنى ، فـوضع يده بين ثَدْيَيَّ حتى وجدت بَرْدَهَا على فؤادي ، فقال : " إنك رجل مفؤد ، إئت الحارس بن كلدة أخا ثقيف فإنه رجل يتطيب فليأخذ سبع تمرات من عجوة المدينة فليجأهن بنواهن ثم لِيَلُدَّكَ بهن " [6].

وقد وردت الأحاديث النبوية السابقة في صحيح الترمذي بتقديم أو تأخير في بعض الألفاظ[7]، ثم أورد حديثا عن أبي هريرة أنه قال :

(أخذت ثلاثة أكمؤ أو خمسا أو سبعا فعصرتهن فجعلت ماءهن في قارورة فكحلت به جارية لي فبرأت)[8].

وفي الصحيحين من حديث سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه عن النبي ﷺ أن قال : " من تصبح بسبع تمرات عجوة لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر " [9].

وقد ذكر ابن قيم الجوزية عن فوائد التمر " وقد قيل إن هذا في عجوة المدينة وهي

---

(١) ابن ماجه ج٢ ص ١١٤٢ ، ١١٤٣ .
(٢) الجنة : الجن وأيضا الجنون .
(٣) المرجع السابق ص ١١٤٣ .
(٤) المرجع السابق .
(٥) المرجع السابق ، والصخرة : صخرة بيت المقدس .
(٦) أبو داود ج٤ ص٧ باب في تمرة العجوة ، مسلم ج٣ ص ١٦١٨ كتاب الأشربة باب فضل تمر المدينة .
(٧) ج٤ ص ٤٠٠ ، ٤٠١ .
(٨) المرجع السابق ص ٤٠٢ .
(٩) فتح الباري ج ١٢ ص ٣٥٠ ، ٣٥١ .

أحد أصناف التمر بها ومن أنفع تمر الحجاز على الإطلاق وهو صنف كريم ملذذ متين للجسم والقوة من ألين التمر وأطيبه وألذه " [1]، أما عن الكمأة فقد ذكر أن فيها ثلاثة أقوال[2]:

أحدها : أن ماءها يخلط في الأدوية التي يعالج بها العين لا أنه يستعمل وحده . ذكره أبو عبيد .

الثاني : أنه يستعمل بحتا بعد شيها واستقطار مائها لأن النار تلطفه وتنضجه وتذيب فضلاته ورطوبته المؤذية وتبقى المنافع .

الثالث : أن المراد بمائها الماء الذي يحدث به من المطر وهو أول قطر ينزل إلى الأرض فتكون الإضافة إضافة اقتران لا إضافة جزء . ذكره ابن الجوزي ، وهو أبعد الوجوه وأضعفها .

وقيل إن استعمل ماؤها لتبريد ما في العين فماؤها مجرد إشفاء وإن كان لغير ذلك فمركب مع غيره .

وقال الغافقي ماء الكمأة أصلح الأدوية للعين إذا عجن به الأثمد واكتحل به ويقوي أجفانها ويزيد الروح الباصرة قوة وحدَّة ويدفع عنها نزول النوازل " .

وهكذا تتعدد فوائد الكمأة والعجوة ، وتُكتشف مزايا جديدة لهما ، كلما ازداد العلم ، ويتأكد ذلك بالتجربة المقترنة باليقين في الشفاء ، ما دام قد أخبر عن ذلك الحبيب المصطفى ﷺ.

د ـ التداوى بالحناء:

عن على بن عبيد الله عن جدَّته سلمى ، وكانت تخدم النبى ﷺ قالت : ما كان يكون برسول الله ﷺ قُرْحَة ولا نكبَةٌ إلا أقرنى رسول الله ﷺ أن أضع عليها الحناء[3] .

وعن سلمى أم رافع ، مولاة رسول الله ﷺ ؛ قالت : كان لا يصيب النبي ﷺ قرحة ولا شوكة إلا وضع عليه الحناء [4].

وقد ذكر ابن قيم الجوزية ، كلاما طيبا عن فوائد الحناء فقال :

---

(١) زاد المعاد ج٣ ص ١٧٥ . (٢) المرجع السابق ج٣ ص ١٨٣ .

(٣) الترمذى ج٤ ص ٣٩٢ كتاب الطب باب ما جاء فى التداوى بالحناء .

(٤) ابن ماجة ج٢ ص ١١٥٨ كتاب الطب باب الحناء الحديث رقم ٣٥٠٢ .

(وقوة شجرة الحناء وأغصانها مركبة من قوة محللة اكتسبتها من جوهر فيها مائى جار باعتدال ومن قوة قابضة اكتسبتها من جوهر فيها أرضى بارد ومن منافعه أنه محلل نافع من حرق النار وفيه قوة موافقة للعصب إذا ضمد به وينفع إذا مضغ من قروح الفم والسلاق العارض فيه ويبرئ القلاع الحادث فى أفواه الصبيان والضماد به ينفع من الأورام الحارة الملهبة وإذا خلط نوره مع الشمع المصفى ودهن الورد ينفع من أوجاع الجنب ، ومن خواصه أنه إذا بدا الجدرى يخرج بصبى فخضبت أسافل رجليه بحناء فانه يؤمن على عينيه أن يخرج فيها شئ منه وهذا صحيح مجرب ولا شك فيه . . . وهو ينبت الشعر ويقويه ويحسنه ويقوى الرأس وينفع من النفاطات والبثور العارضة فى الساقين والرجلين وسائر البدن)[1] .

وقد اكتشف العلم الحديث أهمية الحناء للشعر ، وأنها أفضل كثيرا من المواد الكيميائية التى لها مضار جانبية وتؤذى الشعر وفروة الرأس ، فقد (نشرت مجلة العلوم الطبية الألمانية تقريرا علميا يقول إن صبغة الشعر مهما كان نوعها ومهما قيل فيها ، فإن تركيبها الكيميائى يتلف الشعر ، ويضعف قدرة الغدد على إفراز المواد الطبيعية المغذية للشعر ، وبالتالى فإن صبغة الشعر تسبب ضررا كبيرا له ، لأنها كلها من مركبات كيميائية ، والتى تستمر فى استعمالها مدة طويلة قد تصاب ببعض الأمراض الجلدية فى فروة الرأس مما يؤدى إلى ضعفها ، لأن المقاومة الطبيعية لبصيلات الشعر تموت)[2] .

وما ذكره ابن القيم وغيره فى فوائد الحناء يكون عن تجارب تتوارث نتائجها الأجيال ، أما ما ورد عن الرسول ﷺ ، فإنه حق ، وأولى بالقبول مما يرد عن غيره ، لأنه ﷺ لا ينطق عن الهوى ، إنما هو تعليم وإلهام من الله سبحانه وتعالى.

هـ ـ التداوى بالسنا والسنُّوت:

عن أسماء بنت عُمَيْس أن رسول الله ﷺ سألها بم تستمشين؟ قالت : بالشُّبْرُم ، قال : حَارٌّ جَارٌّ ، قالت : ثم استمشيتُ بالسَّنا ، فقال النبى ﷺ ": لو أن شيئا كان فيه شفاء من الموت لكان فى السنا " [3] .

---

(١) زاد المعاد فى هدى خير العباد ج٣ص ٩١ ، ٩٢ .

(٢) طبب نفسك ١٦/ ٣٠ تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٨٦ العدد ٨٦ - مقال بعنوان " الحناء الطبيعية " بتصرف .

(٣) الترمذى ج٤ص ٤٠٨ ، ٤٠٩ وفى الهامش أن السنا إنبات يتداوى به ، له إذا يبس زجل . وقيل : هو شجر كالعشرق وقيل : هو العشرق ، الواحدة سناق .

كما ورد أن الرسول ﷺ قال :

"عليكم بالسَّنَى والسَّنُّوت فإن فيهما شفاء من كل داء إلا السام " قيل : يا رسول الله وما السام ؟ قال : " الموت " [١].

وقد أشار ابن القيم إلى هذين الحديثين عن رسول الله ﷺ ، ثم قال إن معنى سؤاله ﷺ بنت عميس : " بم تستمشين أى تليين الطبع حتى يمشى ولا يصير بمنزلة الواقف فيؤذى باحتباس النجو ولهذا سمى الدواء المسهل مشيا وقيل لأن المسهول يكثر المشي " ، ثم تكلم بن القيم عن الشبرم والسنا والسنوت ، فقال :

"هو من الأدوية التى أوصى الأطباء بترك استعمالها لخطرها وفرط إسهالها وقوله ﷺ ": حار جار " ويروى حار يار فوصفه بالحرارة وشدة الاسهال . أما السنا فهو نبت حجازى أفضله المكى وهو دواء شريف مأمون الغائلة قريب من الاعتدال حار يابس فى الدرجة الأولى يقوى جرم القلب وهذه فضيله شريفة فيه وخاصيته النفع من الوسواس السوداوى ومن الشقاق العارض فى البدن ويفتح العضل وانتشار الشعر ومن القمل والصداع العتيق والجرب والبثور والحكة والصرع وشرب مائه مطبوخا أصلح من شربه مدقوقا ومقدار الشربة منه إلى ثلاثة دراهم ومن مائه الى خمسة دراهم . . أما السنوت ففيه أقوال أنه العسل ، حب يشبه الكمون ، الرَازَيانج ، الشبت ، التمر . . وقال بعض الأطباء أن الأقرب الى الصواب يخلط السناء مدقوقا بالعسل المخالط للسمن ثم يلعق فيكون أصلح من استعمال مفردا لما فى العسل والسمن من إصلاح السناء وإعانته على الاسهال . . . "[٢].

و- ألبان الإبل:

التداوى بألبان الإبل وأبوالها ورد فيه أحاديث نبوية كثيرة فى كتب الصحاح بروايات متعددة منها ما يلى :

– عن أنس أن ناسا كان بهم سقم قالوا : يا رسول الله آونا وأطعمنا فلما صحوا قالوا : إن المدينة وَخِمَة فأنزلهم الحَسرَّة[٣] في ذود[٤] له فقال : " اشربوا ألبانها . . . . "

---

(١) ابن ماجه ج٢ص ١١٤٤ .

(٢) زاد المعاد فى هدى خير العباد ج٣ص ٨٧ .

(٣) الحَسرَّة : أرض ذات حجارة سود معروفة بالمدينة ، وإنما ألقوا فيها لأنها قرب المكان الذي فعلوا فيه ما فعلوا .

(٤) الذود من الإبل ما بين الثلاثة إلى العشرة .

وعنه أيضا أن ناسا اجتووا[1] فى المدينة فأمرهم النبى ﷺ أن يلحقوا براعية يعنى الإبل فيشربوا من ألبانها وأبوالها فلحقوا براعية فشربوا من ألبانها وأبوالها حتى صلحت أبدانهم[2] .

وقد اختلف مفسرو الأحاديث فى السقم الذى أصاب هؤلاء الناس ، فقيل " إن الذى كان بهم أولا كان من الجوع أو من التعب ، فلما زال ذلك عنهم خشوا من وخم المدينة إما لكونهم أهل ريف فلم يعتادوا الحضر ، وإما بسبب ما كان بالمدينة من الحمى . . . ووقع فى رواية بهز بن أسد " بهم ضر وجهد " [3] .

وذكر الإمام ابن قيم الجوزية[4] بعد أن أشار الى هذا الحديث وورده فى الصحيحين قال : والدليل على أن هذا المرض كان الاستسقاء ما رواه مسلم فى صحيحه أنهم قالوا : إنا اجتوينا المدينة فعظمت بطوننا وارتهشت أعضاؤنا ، والجوى داء من أدواء الجوف والاستسقاء مرض مادى سببه مادة غريبة باردة تتخل الأعضاء فتربو بها إما الأعضاء الظاهرة كلها وإما المواضع الخالية من النواحى التى فيها تدبير الغذاء والأخلاط . . . ولما كانت الأدوية المحتاج إليها فى علاجه هى الأدوية الجالية التى فيها إطلاق معتدل وإدرار بحسب الحاجة وهذه الأمور موجودة فى أبوال الإبل وألبانها أمرهم النبى ﷺ بشربها فإن فى لبن اللقاح جلاء وتليينا وادرارا وتلطيفا وتفتيحا للسداد إذ كان أكثر رعيها الشيح والقيصوم والبابونج والأقحوان والأذخر وغير ذلك من الأدوية النافعة للاستسقاء ، وهذا المرض لا يكون إلا مع آفة فى الكبد خاصة أو مع مشاركة وأكثرها عن السدد فيها .

قال الرازى : لبن اللقاح يشفى أوجاع الكبد وفساد المزاج وقال الاسرائيلى : لبن اللقاح أرق الألبان وأكثرها مائية وحدة وأقلها غذاء فلذلك صار أقواها على تلطيف الفصول وإطلاق البطن وتفتيح السدد ويدل على ذلك ملوحته اليسيرة التى فيه لافراط حرارة حيوانية بالطبع ولذلك صار أخص الألبان بتطرية الكبد وتفتيح سددها وتحليل

---

(١) يقال اجتويت البلد إذا كرهت المقام فيه وإن كنت في نعمة وقيل هو مشتق في الجوي : داء البطن أو داء في الجوف ، وقيل إجتووها . . إستوخموها أي لم توافقهم وكرهوها لسقم أصابهم ، محمد فؤاد عبد الباقي صحيح مسلم ج٣ ص ١٢٩٦ .

(٢) شرح الكرماني لصحيح البخاري ج ٢٠ ص ٢٠٨ وفتح الباري شرح صحيح البخاري ج ٢١ ص ٢٥٧ إلى ٢٥٩ وصحيح مسلم ج٣ ص ١٢٩٦ باب حكم المحاربين والمرتدين ، ابن ماجة ج٢ ص ١١٥٨ ، الترمذي ج٤ ص ٣٨٥ وقال أبو عيسى : وفي الباب عن ابن عباس وهذا حديث حسن صحيح .

(٣) فتح الباري ج ٢١ ص ٢٥٧ .　　(٤) ج٣ ص ٧٨ .

ملوحته وتقطيعه القصول ، وإطلاقه البطن فان تعذر انحداره وإطلاقه البطن وجب أن يطلق بدواء سهل .

قال صاحب القانون : ولا يلتفت الى ما يقال أن طبيعة اللبن مضادة لعلاج الاستسقاء قال واعلم أن لبن النوق دواء نافع لما فيه من الجلاء برفق وما فيه خاصيته وأن هذا اللبن شديد المنفعة ، فلو أن إنسانا أقام عيه بدل الماء والطعام شفى به وقد جرب ذلك فى قوم دفعوا إلى بلاد العرب فقادتهم الضرورة الى ذلك فعوفوا وأنفع الأبوال بول الجمل الأعرابى وهو النجيب .

ز - المـــــاء:

لا يستغني الإنسان في حياته عن الماء والطعام ، فهما اللذان يمدانه بالطاقة والحيوية والنشاط ، وبغيرهما يصاب الإنسان بالضعف والوهن والهزال ، بل ويصل به الحال إلى الموت إن طال أمد منعهما عنه .

والإنسان يستطيع أن يصبر على عدم وجود الطعام لفترات قد تصل إلى أكثر من عشرين يوم ، أما الماء فلا يستطيع أي إنسان أن يحيا بدونه بعد عدة أيام قلائل . . وصدق الله العظيم القائل : ﴿ وجعلنا من الماء كل شئ حي ﴾ (١) .

وقد شاءت إرادة الله عز وجل ، أن تتنوع أنواع المياه على ظهر هذه الأرض وبالتالي تختلف عن بعضها البعض في بعض الخواص كالطعم أو فيما تحتويه من مواد أو في مدى تأثيرها على الصحة والبركة والشفاء . . . فهناك مياه المحيطات والبحار والبحيرات والأنهار، ومياه الأنهار ، ومياه الآبار . . . ومن أشهر الآبار التي جعل الله في مائها الخير والبركة والشفاء ماء بئر زمزم .

ماء بئر زمزم :

ماء بئر زمزم ، أفضل المياه قاطبة ، وهو - ببركة الله عز وجل وكرمه وقدرته - مازال يتدفق منذ أن فجره الله سبحانه وتعالى تحت قدمي سيدنا إسماعيل حتى الآن وهو " سيد المياه وأشرفها وأجلها قدرا وأحبها إلى النفوس وأغلاها ثمنا وأنفسها عند الناس وهو هزمة جبرائيل وسقيا اسماعيل وثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال

(١) سورة الأنبياء الآية ٣١.

لأبي ذر وقد أقام بين الكعبة وأستارها أربعين ما بين يوم وليلة وليس له طعام غيره فقال النبي ﷺ إنها طعام طعم وزاد غير مسلم باسناده وشفاء سقم وفي سنن ابن ماجة من حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : " ماء زمزم لما شرب له "(١) وقد ضعف هذا الحديث طائفة لعبد الله بن المؤمل راوية عن محمد بن المنكدر وقد روينا عن عبد الله بن المبارك أنه لما حج أتى زمزم فقال : اللهم ان ابن أبى الموالى حدثنا عن محمد بن المنكدر عن جابر رضى الله عنه عن نبيه ﷺ أنه قال " ماء زمزم لما شرب له " فإنى أشربه لظمأ يوم القيامة ، وابن أبى الموالى ثقة فالحديث إذاً حسن وقد صححه بعضهم وجعله بعضهم موضوعا وكلا القولين فيه مجازفة ، وقد جربت أنا وغيرى من الاستشفاء بماء زمزم أمورا عجيبة واستشفيت به من عدة أمراض فبرأت بإذن الله وشاهدت من يتغذى به الأيام ذوات العدد قريبا من نصف الشهر أو أكثر ولا يجد جوعا ويطوف مع الناس كأحدهم ، وأخبرنى أنه ربما بقى عليه أربعين يوما وكأن له قوة يجامع بها أهله ويصوم ويطوف مراراً "(٢) .

والحديث النبوى الشريف الذى أشرنا إليه آنفا " ماء زمزم لما شرب له " فيه إشارة صريحة وواضحة ودعوة إلى أن يحرص المسلم عند شربه من هذا الماء أن يدعو الله عز وجل بطلب الشفاء والصحة والعافية فى الدنيا والآخرة ، لأنه فى تحقيق ذلك عون له على عبادة الله سبحانه وتعالى ، وهى المهمة الأساسية التى خلقنا من أجلها ، لقوله تعالى : ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ (٣) ، ومن الدعاء الطيب الوارد عن الرسول ﷺ والمفيد فى هذه المناسبة – قول المسلم : " اللهم ارزقنى قلبا خاشعا وعلما نافعا ورزقا واسعا وشفاء من كل داء " صدق رسول الله ﷺ.

- ماء المطر :

ماء المطر أو الغيث كما سماه القرآن الكريم ، ماء مبارك ينزله الله عز وجل من السماء خيرا وبركة ورزقا للعباد ، قال تعالى :

﴿قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ﴾ (٤) يونس : ٣١ .

---

(١) رواه ابن ماجة ج٢ ص ١٠١٧ ، ١٠١٨ .

(٢) زاد المعاد فى هدى خير العباد – ابن قيم الجوزية ج٣ص١٩١ .

(٣) سورة الذاريات الآية ٥٦ .

(٤) سورة يونس الآية ٣١.

﴿أمن يبدؤ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض ﴾ [1] النمل : ٦٤ .

﴿ قل من يرزقكم من السموات والأرض قل الله ﴾ [2] سبأ : ٢٤ .

﴿ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد ﴾ [3] ق : ٩ .

وقد جاء فى الجامع لأحكام القرآن[4] فى تفسير الآية : ٩ من سورة (ق) ، أن المقصود من هذا الماء أنه ماء المطر النازل من السحاب وأنه كثير البركة .

وعن فضل ماء المطر وخواصه ذكر ابن قيم الجوزية[5]أن " الغيث مذكور فى القرآن فى عدة مواضع وهو لذيذ الاسم على السمع والمسمى على الروح والبدن تبتهج الاسماع بذكره والقلوب بوروده وماؤه أفضل المياه وألطفها وأنفعها وأعظمها بركة ، ولاسيما إذا كان من سحاب راعد واجتمع فى مستنقعات الجبال وهو أرطب من سائر المياه لأنه لم تطل مدته على الأرض فيكتسب من يبوستها وهو خال من الأبخرة الدخانية والغبار المخالط للماء ، وكل هذا يوجب لطفه وصفاءه وخلوه من مخالط . . . وكان ﷺ إذا رأى مطرا قال اللهم صيبا نافعا وكان يحسر ثوبه حتى يصيبه من المطر فسئل عن ذلك فقال لأنه حديث عهد بربه ، قال الشافعى رضى الله عنه أخبرنى من لاأتهم عن بريد بن الهاد أن النبى ﷺ كان إذا سال السيل قال اخرجوا بنا إلى هذا الذى جعله الله طهورا فنتطهر منه ونحمد الله عليه ، وأن عمر رضى الله عنه كان إذا سال السيل ذهب بأصحابه إليه وقال ماكان ليجئ من مجية أحد إلا تمسحنا به ، وعن أبى أمامة عن النبى ﷺ قال : تفتح أبواب السماء ويستجاب الدعاء فى أربعة مواطن عند التقاء الصفوف وعند نزول الغيث وعند إقامة الصلاة وعند رؤية الكعبة " .

وقد روى أن عوف بن مالك الأشجعى مرض ، فقيل له : ألا نعالجك ؟ قال : ائتونى بالماء ، فإن الله تعالى يقول : ﴿ ونزلنا من السماء ماء مباركا ﴾[6] ق : ٩ ، ثم قال : ائتونى بعسل فإن الله تعالى يقول : ﴿ فيه شفاء للناس ﴾[7] النحل : ٦٩ ، وائتونى بزيت فإن الله تعالى يقول : ﴿ من شجرة مباركة ﴾ النور : ٣٥ ، فجاؤه بذلك كله ، فخلطه جميعا ثم شربه فبرئ)[8] .

---

(١) سورة النمل الآية ٦٤ .
(٢) سورة سبأ الآية ٢٤ .
(٣) سورة سبأ الآية ٢٤ .
(٤) سورة ق الآية ٩ .
(٥) ج ١٧ ص٦ .
(٦) سورة ق الآية ٩ .
(٧) سورة النحل الآية ٦٩ .
(٨) ج٣ ص ١٧٦ ، ج١ ص ١٢٦ .

وقد سمى الله عز وجل الماء طهورا وجعل منه حياة الأجسام فقال تعالى : ﴿ وجعلنا من الماء كل شئ حى أفلا يؤمنون ﴾[1] الأنبياء : ٣٠ ، وجعله من آثار رحمة الله فقال تعالى : ﴿فانظر إلى آثار رحمت الله كيف يحيى الأرض بعد موتها ﴾[٣] الروم : ٥٠ ، وجعله الرزق فى قوله تعالى : ﴿ وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها﴾[٣] الجاثية/ ٥ ، ﴿ وفى السماء رزقكم وما توعدون ﴾[٤] الذاريات/ ٢٢ .

من كل ماسبق إيراده من آيات قرآنية كريمة وأحاديث نبوية شريفة يدعونا إلى المحافظة على مياة الأمطار ، والعمل على تجميعها ، كما تفعل بعض الدول الأجنبية ، فنحن أولى بذلك ، وبخاصة بعد أن عرفنا بركة وفضل هذه المياة التى أنزلها الله لنا من السماء بركة ورحمة وشفاء .

ـ ماء نهر النيل :

نهر النيل من الأنهار المباركة التى حدثنا عنها رسول الله ﷺ ، وقال إنها من أنهار الجنة ، وهذا يعنى أن ماءه ماء مبارك ، وتتوفر فيه كثير من الخواص الطيبة التى لاتتوافر فى كثير من غيره من مياه أنهار العالم ، وقد تكلم عن ذلك ابن قيم الجوزية فقال :

(إن جودة الماء تعتبر من عشرة طرق أحدها من لونه بأن يكون صافيا ، الثانى من رائحته بأن لايكون له رائحة البتة الثالث من طعمه بأن يكون عذب الطعم حلوه كماء النيل والفرات الرابع من وزنه بأن يكون خفيفا رقيق القوام الخامس من مجراه بأن يكون طيب المجرى والمسلك السادس من منبعه بأن يكون بعيد المنبع السابع من بروزه للشمس والريح بأن لا يكون مختفيا تحت الأرض فلا تتمكن الشمس والريح من قصارته الثامن من حركته بأن يكون سريع الجرى والحركة التاسع من كثرته بأن يكون له كثرة يدفع الفضلات المخالفة له العاشر من مصبه بأن يكون آخذا من الشمال الى الجنوب أو من المغرب الى المشرق وإذا اعتبرت هذه الأوصاف لم تجدها بكمالها الا فى الأنهار الأربعة النيل والفرات وسيحون وجيحون ، وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ " سيحان وجيحان والنيل والفرات كلها من أنهار الجنة . . . . . "[٥] .

(١) سورة الأنبياء الآية ٣٠ . (٢) سورة الروم الآية ٥٠ .
(٣) سورة الجاثية الآية ٥ . (٤) سورة الذاريات الآية ٢٢ . (٥) زاد المعادج ٣ ص ١٩٠ .

وما ذكرناه عن نهر النيل وبركته ، مما ورد عن الرسول ﷺ وهو ما لا ينطق عن الهوى ، وإن هو إلا وحى يوحى يدعونا إلى المحافظة عليه وعلى نظافته وعدم الإسراف فى استعمال مائه لأن الاسراف نفسه منهى عنه فى كل شئ وأن نعمل جاهدين فرادى وجماعات ، على أن يبقى ماء نهر النيل حلوا نظيفا طاهرا عذبا ، خاليا من أية مواد أو أشياء تعكر صفوه أو رائحته وألا نلقى فيه أية بقايا أو فضلات نريد أن نتخلص منها حتى يستمر هذا الماء صحة وشفاء وسائغا للشاربين .

٢- العلاج بالعبادات

أ ـ القرآن بركة وشفاء:

البركة والشفاء سران من أسرار الله سبحانه وتعالى ، ومن هداه الله إليهما فقد فاز لعمره وعلمه وماله ، ومن فقد السبيل إليهما ، فقد خيراً كثيراً .

فمخالفة أوامر الله ومعصيته من أهم أسباب فقدان البركة ، وتؤدى للمرض ، فالمعاصى تؤدى إلى محق بركة الرزق والأجل ؛ لأن الشيطان موكل بها وبأصحابها وكل شئ يتصل به الشيطان ويقارنه فبركته ممحوقة ، ولهذا شرع ذكر اسم الله تعالى عند الأكل والشرب واللبس والركوب والجماع ، لما فى مقارنة اسم الله من البركة وذكر اسمه ليطرد الشيطان فتحصل البركة ، ولا معارض لها ، وكل شئ لا يكون لله فبركته منزوعة ، فإن الرب هو الذى يبارك وحده والبركة كلها منه(١) .

بل إن الشخص الذى ينزع الله منه البركة ، يسلط عليه كثيراً من الأمور التى تستنزف خيراته من مأكل وملبس ومال وغير ذلك مما لديه ، حتى أن الرسول ﷺ يقول فيما ورد عن مالك عن أبى زناد عن الأعرج عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ":يأكل المسلم فى معى واحد ، والكافر يأكل فى سبعة أمعاء " (٢) .

وعن أبى هريرة ، أن رسول الله ﷺ ضافه ضيف كافر ، فأمر له رسول الله ﷺ بشاة ، فحلبت فشرب حلابها ، ثم أخرى فشربه ، ثم أخرى فشربه حتى شرب حلاب سبع شياه ، ثم إنه أصبح فأسلم ، فأمر له رسول الله ﷺ بشاة ، فحلبت فشرب

---

(١) الجواب الكافى لمن سأل عن الدواء الشافى ص ٨٥ ، ٨٦ .

(٢) موطأ مالك ص ٩٢٤ باب ما جاء فى معى الكافر ، أخرجه البخارى فى كتاب الأطعمه / باب المؤمن يأكل فى معى واحد .

حلابها، ثم أمر له بأخرى فلم يستتمها ، فقال رسول الله ﷺ " : المؤمن يشـرب فى معى واحد ، والكافر يشرب فى سبعة أمعاء " (١).

وهكذا فالبركة من الله سبحانه وتعالى ، يمنحها للمؤمن به ، جزاء له على أعماله الطيبة ، أما غيره فلا بركة فى أعماله ، لأنه لا يمتثل لأوامر الله كالطهارة فى الملبس والمأكل ، وذكر اسم الله عند الاستفتاح فى كل عمل ، وتحرى الحلال الخالص فى اكتساب الأموال ، إلى غير ذلك فى الكثير من الأمور التى يدعو إليها الشرع الإسلامى الحنيف .

والقرآن من الأسباب التى خلقها الله للشفاء ، إنما اختلف فى معنى هذا الشفاء ، وقد أشار إلى ذلك القرطبى فى معرض تفسيره للآية التالية : **﴿وننزل من القـرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا﴾** (٢) الإسراء : ٨٢ .

فقال : اختلف العلماء فى كونه شفاء على قولين(٣):

أحدهما : أنه شفاء للقلوب بزوال الجهل عنها وإزالة الريب أولكشف غطاء القلب من مرض الجهل لفهم المعجزات والأمور الدالة على الله تعالى .

الثانى : شفاء من الأمراض الظاهرة بالرقى والتعوذ ونحوه .

ولا شك فى قدرة القرآن الكريم على الشفاء من الأمراض ، سواء كانت بدنية أو قلبية ، وآيات القرآن صريحة فى ذلك ، منها الآية التى سبق أن أشرنا إليها ، ونشير أيضا إلى الآية الكريمة التالية : **﴿ فيه شفاء للناس ﴾** (٤) إشارة إلى الفوائد التى أودعها الله فى عسل النحل .

ويقول الرسول ﷺ " : شفاء أمتى فى ثلاث : آية من كتاب الله ، أو لعقة من عسل ، أو شرطة محجم " .

ويؤكد ابن القيم أهمية القرآن فى الشفاء ، فيقول :

قال تعالى : **﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين﴾**(٥) والصحيح أن " من "

---

(١) أخرجه مسلم فى كتاب الأشربة / باب المؤمن يأكل فى معى واحد .
(٢) سورة الإسراء الآية ٨٢ .
(٣) الجامع لأحكام القرآن ج ١٠ ص ١٧٨ .
(٤) سورة النحل الآية ٦٩ . (٥) سورة الاسراء الآية ٨٢ .

هنا لبيان الجنس لا للتبعيض ، وقال تعالى : ﴿ **يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور** ﴾ [1]، فالقرآن هو الشفاء التام من جميع الأدواء القلبية والبدنية وأدواء الدنيا والآخرة وما كل أحد يؤهل ولا يوفق للاستشفاء به وإذا أحسن العليل التداوى به ووضعه على دائه بصدق وإيمان وقبول تام واعتقاد جازم واستيفاء شروطه لم يقاومه الداء أبداً ، وكيف تقاوم الأدواء كلام رب الأرض والسماء الذى لو نزل على الجبال لصدعها أو على الأرض لقطعها ؟ فما من مرض من أمراض القلوب والأبدان إلا وفى القرآن سبيل الدلالة على دوائه وسببه والحمية منه لمن رزقه الله فهما فى كتابه[2] .

نتتقل الآن إلى بعض الأحاديث الواردة عن الرسول ﷺ فيما يلى :

روى الأئمة – واللفظ للدار قطنى – عن أبى سعيد الخدرى قال : بعثنا رسول الله ﷺ فى سرية ثلاثين راكباً قال : فنزلنا على قوم من العرب فسألناهم أن يضيفونا فأبوا ، قال : فلدغ سيد الحى ، فأتونا فقالوا : فيكم أحد يرقى من العقرب ؟ فى رواية ابن قتة : إن الملك يموت . قال : قلت أنا نعم ، ولكن لا أفعل حتى تعطونا . فقالوا : فإنا نعطيكم ثلاثين شاة . قال فقرأت عليه ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ [3] سبع مرات فبرأ .... إلى أن قال : حتى أتينا رسول الله ﷺ فأخبرته الخبر فقال : " وما يدريك أنها رقية " قلت : يا رسول الله شئ ألقى فى روعى . قال : " كلوا واطعمونا من الغنم " خرجه فى كتاب السنن .

وخرج فى (كتاب المديح) من حديث السرى بن يحيى قال : حدثنى المعتمر بن سليمان عن ليث بن أبى سليم عن الحسن عن أبى أمامة عن رسول الله ﷺ أنه قال : " ينفع بإذن الله تعالى من البرص والجنون والجذام والبطن والسل والحمى والنفس أن تكتب بزعفران أو بمشق – يعنى المغرة – أعوذ بكلمات الله التامة وأسمائه كلها عامة من شر السامة والغامة ومن شر العين اللامة ، ومن شر حاسد إذا حسد " ومن أبى فروة وما ولد " ، ثم تكتب فاتحة الكتاب وأربع آيات من أول البقرة والآية التى فيها تصريف الرياح وآية الكرسى والآيتين بعدها وخواتيم سورة البقرة من موضع ﴿ **لله ما فى السموات وما فى الأرض** ﴾[4] إلى آخرها وعشراً من أول آل عمران وعشرا من

(١) سورة يونس الآية (٥٧) .
(٢) زاد المعاد ص ١٧٨ .
(٣) سورة الفاتحة الآية ١ .
(٤) سورة البقرة الآية ٢٨٤ .

آخرها ، وأول آية من النساء وأول آية من المائدة وأول آية من الأنعام ، وأول آية من الأعراف ، والآية التى فى الأعراف ﴿ إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض ﴾ [1] حتى تختم ، والآية التى فى يونس من موضع ﴿ قال موسى ما جئتم به السحر إن الله سيبطله إن الله لا يصلح عمل المفسدين ﴾ [2] والآية التى فى طه ﴿ وألق ما فى يمينك تلقف ما صنعوا إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى ﴾ [3] وعشرا من أول الصافات و﴿قل هو الله أحد ﴾ [4]والمعوذتين تكعب فى إناء نظيف ثم تغسل ثلاث مرات بماء نظيف ثم يحثو منه الوجع ثلاث حثوات ثم يتوضأ منه كوضوئه للصلاة ويتوضأ قبل وضوئه للصلاة حتى يكون على طهر قبل أن يتوضأ به ثم يصب على رأسه وصدره وظهره ولا يستنجى به ثم يصلى ركعتين ثم يستشفى الله عز وجل ، يفعل ذلك ثلاثة أيام ، قدر ما يكتب فى كل يوم كتابا " [5] .

ويلاحظ أن هذا الحديث يحث على الاستشفاء بعدد معين من آيات القرآن الكريم ، وإذا حاولنا أن نعرف مجموع عدد هذه الآيات فسنجدها ٧٠ آية وفقا لما يلى :

(١) سورة الأعراف الآية ٥٤ . (٢) سورة يونس الآية ٨١ .
(٣) سورة طه الآية ٦٩ . (٤) سورة الأخلاص الآية ١ .
(٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ج ١٠ ص ٣١٦ ص ٣١٧ .

عدد الآيات

٧	سورة الفاتحة .
٤	أول سورة البقرة .
١	الآية التي فيها تصريف الرياح .
٣	آية الكرسي وآيتين بعدها .
٣	خواتم سورة البقرة .
١٠	أول سورة آل عمران .
١٠	من آخر سورة آل عمران .
١	أول آية من سورة النساء .
١	أول آية من سورة المائدة .
١	أول آية من سورة الأنعام .
١	أول آية من سورة الأعراف .
١	آية من سورة الأعراف ﴿ إن ربكم الذي خلق السماوات والأرض .. ﴾ .
١	آية من سورة يونس ﴿ قال موسى ما جئتم به السحر إن الله سيبطله ... ﴾ .
١	آية من سورة طه ﴿ وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا...﴾ .
١٠	من أول سورة الصافات .
٤	سورة الإخلاص .
١١	المعوذتان .
٧٠	آيــة .

ورد أيضـا أن تكرار بعض الدعـوات سـبع مـرات ، يؤدى إلى الشـفـاء من بـعض الأوجاع بقدرة الله تعالى ، فقد جاء فى موطأ مالك[1] :

(١) الموطأ ص ٩٤٢ / ٩ باب التعوذ والرقية فى المرض .

عن عثمان بن أبى العاص بأنه أتى رسول الله ﷺ ، قال عثمان : بى وجع قد كاد يهلكنى قال : قال رسول الله ﷺ " : امسحه بيمينك سبع مرات وقل أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد . قال : فقلت ذلك ، فأذهب الله ما كان بى فلم أزل آمر بها أهلى وغيرهم .

كما ورد فى تفسير ابن كثير[1] أن قراءة عشر آيات مخصوصة من سورة البقرة ، يفيد فى أمور كثيرة ، وكذا قراءة سورة البقرة ، وفقاً لما يلى :

قال عبد الله بن مسعود : من قرأ عشر آيات من سورة البقرة فى ليلة لم يدخل ذلك البيت شيطان تلك الليلة ، أربع من أولها وآية الكرسى وآيتان بعدها ، وثلاث آيات من آخرها ، وفى رواية : لم يقربه ولا أهله يومئذ شيطان ، ولا شئ يكرهه ولا يقرآن على مجنون إلا أفاق .

وعن سهل بن سعد قال : قال رسول الله ﷺ ": إن لكل شئ سناما وإن سنام القرآن البقرة وإن من قرأها فى بيته ليلا لم يدخله الشيطان ثلاث ليال ، ومن قرأها فى بيته نهاراً لم يدخله الشيطان ثلاثة أيام "

وعن أبى هريرة ؟ قال : جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله ما لقيت من عقرب لدغتنى البارحة ، قال : " أما لو قلت حين أمسيت أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ، لم تضرك " رواه مسلم والأربعة ، ولفظ الترمذى : من قال حين يمسى ثلاث مرات وفيه لم تضره حمة تلك الليلة . وفيه قال (سهيل) : فكان أهلنا تعلمونا فكانوا يقولونها كل ليلة ، فلدغت جارية منهم فلم تجد لها وجعاً ، ولابن خزيمة نحو هذاالسياق ، الحمة (بضم الحاء المهملة وتخفيف الميم) هو السم وقيل : لدغة كل ذى سم والله أعلم[2] .

جاء فى كتاب فتاوى رسول الله ﷺ ، تحت باب أفضل الدواء عن الرسول ﷺ أنه استفتاء عثمان بن أبى العاص – رضى الله عنه - وشكا إليه وجعا يجده فى جسده منذ أسلم ، فقال[3] : " ضع يدك على الذى يألم من جسدك وقل : " باسم الله ثلاثا " وقل سبع مرات ، أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر " ذكره مسلم .

---

(١) ابن كثير ج١ ص٣٣ .

(٢) الترغيب والترهيب ج١ ص ٢٢٦ .

(٣) للفتاوى للإمام الجليل الحافظ أبى عبد الله محمد بن أبى بكر المعروف بابن قيم الجوزية ص ١٢٣ .

وقد روى (أن عوف بن مالك الأشجعي مرض ، فقيل له : ألا نعالجك ؟ قال : ائتوني بالماء ، فإن الله تعالى يقول : ﴿ ونزلنا من السما ماء مباركا ﴾[1] ق : ٩ ، ثم قال : ائتوني بعسل فإن الله تعالى يقول : ﴿ فيه شفاء للناس ﴾[2] النحل : ٦٩ ، وائتوني بزيت ، فإن الله تعالى يقول : ﴿ فيه شجرة مباركة ﴾[3] فجاؤه بذلك كله ، فخلطه جميعا ثم شربه فبرئ)[4] .

والرسول ﷺ عندما زوج فاطمة من علي رضي الله عنهما وزفها استدعى بماء ودعا فيه بالبركة ثم رشه عليهما[5]، فقد سمى الله الماء مباركا فقال : ﴿ونزلنا من السماء ماء مباركا ﴾[6] ق : ٩ .

وسماه طهورا وجعل منه حياة الأجسام، فقال تعالى : ﴿ وجعلنا من الماء كل شئ حي أفلا يؤمنون ﴾[7] الأنبياء : ٣٠ .

وجعله من رحمة الله ، فقال تعالى : ﴿ فانظر إلى آثار رحمت الله كيف يحيي الأرض بعد موتها ﴾[8] الروم : ٥٠ .

وجعله الرزق في قوله تعالى : ﴿ وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها ﴾[9] الجاثية : ٥ ، ﴿ وفي السماء رزقكم وما توعدون ﴾[10] الذاريات : ٢٢ .

كما ورد أنه ﷺ أدخل يده في إناء فيه قليل من الماء ثم قال : " حي على الطهور المبارك والبركة من الله تعالى " ، فنبع الماء من بين أصابعه الشريفة وسقى عددا كبيرا من الصحابة رضوان الله عليهم[11] .

وقد وردت كلمة الشفاء ومشتقاتها في القرآن الكريم ٧ مرات نذكرها فيما يلي :

﴿قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ﴾[12] التوبة : ١٤ .

﴿ياأيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين ﴾[13] يونس : ٥٧ .

﴿ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون ﴾[14] النحل : ٦٩ .

(١) سورة ق الآية ٩ . (٢) سورة النحل الآية ٦٩ . (٣) سورة النور الآية (٣٥) .
(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ١٠ ص ١٣٦ . (٥) البركة في فضل السعي والحركة ص ٣٠٠ .
(٦) سورة ق الآية ٩ . (٧) سورة الأنبياء الآية ٣٠ . (٨) سورة الروم الآية ٥٠ .
(٩) سورة الجاثية الآية ٥ . (١٠) سورة الذاريات الآية ٢٢ . (١١) المرجع السابق ص ٣٠٤ .
(١٢) سورة التوبة الآية ١٤ . (١٣) سورة يونس الآية ٥٧ . (١٤) سورة النحل الآية ٦٩ .

﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا﴾ [1] الإسراء: ٨٢ .

﴿وإذا مرضت فهو يشفين﴾ [2] الشعراء: ٨٠ .

﴿ولو جعلناه قرءانا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته ءاعجمي وعربي قل هو للذين ءامنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد﴾[3] فصلت: ٤٤ .

﴿عليهم ثياب سندس خضر واستبرق وحلو أساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا﴾[4] الإنسان: ٢١ .

قد يعارض البعض في الإستشفاء بالقرءان محتجين بأن القرآن الكريم لم يكن المقصود منه علاج الأمراض البدنية، وإنما هو كتاب هداية وإرشاد وبخاصة أن الرسول ﷺ قد ورد عنه أحاديث تأمر بالتداوي بالعقاقير والأخذ بالأسباب العادية .

ونرى أن كتاب الله ، كونه كتاب هداية وإرشاد ، لا يمنع من إمكانية الإستفادة منه في أمور أخرى ، تدلنا إليها آيات قرآنية عديدة وأحاديث نبوية أشرنا إلى بعضها ، وكلها أحاديث صحيحة وردت في أمهات الكتب وفي كتب الأحاديث المعتمدة ، وتؤكدها التجربة ، لمن جرب ما ترويه هذه الأحاديث بإيمان واقتناع كامل بقدرة الله على الشفاء بآيات القرآن الكريم ، لأنها كلام الله الذي لا يدانيه أي شئ آخر ، وكذلك بالدعاء المأثور عن الرسول ﷺ ؛ لأنه لا ينطق عن الهوى وإن كل ما ينصحنا باتباعه فيه خير لنا وبخاصة لو التزمنا بكل تفاصيل ، لقول الله سبحانه وتعالى : ﴿وما ءاتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب﴾ [5] الحشر: ٧ .

ب ـ الصلاة رحمة وشفاء:

الصلاة ركن هام من أركان الاسلام الخمسة ، لقوله ﷺ [6]:

"بني الاسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان "

---

(١) سورة الأسراء الآية ٨٢ . (٢) سورة الشعراء الآية ٨٠ .

(٣) سورة فصلت الآية ٤٤ . (٤) سورة الإنسان الآية ٢١ . (٥) سورة الحشر الآية ٧ .

(٦) صحيح مسلم باب أركان الإسلام – كتاب الإيمان ج١ ص ٤٥ ، شرح صحيح البخاري للكرماني ج ١ ص ٧٨ كتاب الإيمان .

ـــ الرحمة :

وإذا نظرنا الى الأركان الخمسة التى بنى عليها الإسلام (نرى أن كل واحد يتعلق بجانب هام من الانسان ، وأن كل واحد فى زاوية يكون ركنا قويا وعمودا شديدا لبيت الاسلام الذى يأوى إليه المؤمن ، فكلمة الشهادة تستحوذ على القلب والصلاة تتعلق بجميع الأعضاء ، بالإضافة إلى كونها الصلة الوثيقة بين العبد وربه . . . وبالركن الثانى – وهو الصلاة – الذى بجسم الإنسان ، حيث يتطهر ويقف خاشعا بين يدى الله تعالى ، وقد استحوذ الخشوع على قلبه ، والذكر يجري على لسانه مخاطبا ربه خطاب الحضور : "إياك نعبد وإياك نستعين " وداعيا منه الهداية والصراط المستقيم ، وبقية الأعضاء مشدودة إلى خالقها ومستحضرة هيبة الوقوف واللقاء ، ثم يركع مسبحا ويسجد معظما وشاكرا ، ولسان حاله يقول : لن أركع ولن أسجد إلا لمن خلقني ورزقني وهداني ، وأن سجداتي لله تعالى ، قد أغنتني عن آلاف السجدات لغيره . . وهكذا تتأكد الصلة وتتقوى بين العبد وربه في كل يوم . . . " [1] .

فبقراءة المصلي للقرآن في صلاته وقيامه وركوعه وقعوده وسجوده وتسبيحه وتحميده ، يكون محلا لرحمة الله سبحانه وتعالى - والشفاء من الرحمة – وبخاصة إذا دعاه المصلي ، دعاءً مخلصا خاشعا ، مطمئنا إلى إجابة دعائه ، وقد قرن الله سبحانه وتعالى بين القرآن والصلاة وبين الرحمة في آيات قرآنية منها قوله عز وجل:

﴿وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون﴾ [2] الأعراف : ٢٠٤ .

﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون﴾ [3] النور : ٥٦ .

ـــ الشفاء :

عن أبي هريرة ؛ قال : هجر النبي ﷺ فهجرت . فصليت ثم جلست . فالتفت إلى النبي ﷺ فقال " أشكمت درد ؟ " قلت : نعم . يا رسول الله! قال " قم فصل ، فإن في الصلاة شفاء " [4] .

فالمصلي يقف بين يدي الله خاشعا محافظا على صلاته ، طالبا منه المعونة والرحمة

---

(١) من كتاب معنى لا إله إلا الله – للإمام بدر الدين محمد عبد الله الزركشي – دار النصر للطباعة الإسلامية سنة ١٩٨٢ صفحتي ٣٣ ، ٣٤ .

(٢) سورة الأعراف الآية ٢٠٤ . (٣) سورة النور الآية ٥٦ .

(٤) ابن ماجة ج٢ ص ١١٤٤ باب الصلاة شفاء – كتاب الطب .

والشفاء ، لأنه هو رب العالمين ، وخزائنه لاتنفد ، والله سبحانه وتعالى سميع مجيب قادر على إجابة الدعاء . . وفي هذا الحديث الشريف سأل الرسول - صلوات الله وسلامه عليه- أبا هريرة " اشكمت درد ؟ " [1] أي أتشتكي بطنك فلما أجابه بالإيجاب قال له ﷺ " قم فصل ، فإن في الصلاة شفاء " .

- الصلاة راحة نفسية وذهنية [2]:

الإنسان دائب الحركة طوال اليوم ، فى عمل أو دراسة أو مأكل أو رياضة أو لهو ، إلى غير ذلك من مختلف الأعمال التى يحتاجها ، والتى يتكرر معظمها فى كل يوم ، مما قد يشعر البعض بالملل والرتابة وعدم الراحة النفسية ، وبخاصة إذا قابلته الصعاب أو العقبات وهو نحو تحقيق أمل أو رغبة من رغباته .

وما أحوج الإنسان إلى دقائق خلال ساعات النهار ، يلتقط فيها أنفاسه ويريح فيها أعصابه من عناء ما أداه من أعمال خلال المدة المنصرمة من اليوم .

والصلاة وقوف بين يدى الله رب العلمين القوى العزيز ، فيها يقف المصلى طاهراً مستقبلا القبلة ، يسبح الله ويحمده على جميل نعمائه ، ثم يدعوه الهداية إلى الصراط المستقيم ، وطالبا منه تفريج كروبه أو تحقيق آماله ، وكان حقاً على الله الكريم الوهاب ألا يرد من طرق بابه دون خير يهبه إياه ، فيخرج المصلى من الصلاة وقد نال رضا ربه وحبه وعنايته ، مليئا بالثقة فى أن الله سبحانه وتعالى - إن عاجلا أو آجلا - سيحقق آماله ويخفف عنه ما قد يكون فيه من مشقة أو عناء ، إنه على كل شئ قدير .

والصلاة بما تستلزمه من الوضوء قبلها بإسباغ الماء على الأطراف والوجه ، تعطى شيئا من الإنتعاش والراحة ، خاصة لمن تأنى فيها ، وأداها بحقها ، فإنها تكون له نوراً وبركة وشفاء ، وتساعده على تخليص نفسه من العجز والكسل ، وتنظيف قلبه من الأمراض الباطنة التى قد تكون به مثل النفاق والرياء والكذب والحقد والحسد ، (فالصلاة الكاملة المبنية على الخشوع والخضوع تنير القلب وتهذب النفس وتعلم العبد آداب العبودية وواجبات الربوبية لله عز وجل ، بما يغرسه فى قلب صاحبها من جلال الله وعظمته، وإنها لتحلى المرء وتجمله بمكارم الأخلاق ، كالصدق والأمانة والقناعة والوفاء والحلم والتواضع والعدل والإحسان ، وتسمو بصاحبها وتوجهه إلى

---

(١) أشكم : أي بطن . ودرد : أي وجع والتاء للخطاب .

(٢) بتصرف من أهمية الصلاة فى حياة المسلم للمؤلف من ص ٣٢/ ٣٤ .

الله وحده ، فتكثر مراقبته لله وخشيته من الله ، حتى تعلو بذلك همته ، وتزكو نفسه، فيبتعد ويسمو عن الكذب والخيانة والشر والغدر والغضب والكبر ، ويترفع عن البغى والعدوان والدناءة والفسوق والعصيان ، فيتحقق بذلك قول الله تبارك وتعالى فى الصلاة :

﴿ إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون﴾ (١) العنكبوت : ٤٥ .

والصلاة : صورة وروح ، فصورتها عبادة الأعضاء ، وروحها عبادة القلب ، وهى رياضة بدنية وروحية ، يشرق قلب صاحبها ووجهه بالأنوار الإلهية ، وتسمو بها روحه، وهى الصلة بين العبد وربه ، وإقامتها من أكبر علامات الإيمان ، وأعظم شعائر الدين ، وأظهر آيات الشكر لله على نعمته التى لا تحصى ، وإضاعتها انقطاع عن الله تعالى ، وحرمان من رحمته ، وفيض نعمه ، وجزيل إحسانه وجحود لفضله تعالى وآلائه ، والصلاة الصحيحة هى الدواء الشافى من أمراض القلوب وفساد النفوس والنور المزيل لظلمات الذنوب والآثام (٢) .

وقد أشار الإمام الغزالى فى (الإحياء) إلى الأسباب التى تؤدى إلى سيطرة بعض العادات السيئة على الإنسان ، وبالتالى عدم راحته نفسياً ، وعدم إقباله على الصلاة ، أو عدم إقباله عليها كما ينبغى ، فذكر أن سبب ذلك كثرة الذنوب والشهوات . ثم قال :

(وهذه الشهوات كثيرة وقلما يخلو العبد منها ، ويجمعها أصل واحد وهو حب الدنيا ، وكذلك رأس كل خطيئة وأساس كل نقصان ومنبع كل فساد ، ومن انطوى باطنه على حب الدنيا حتى مال إلى شئ منها ، لا ليتزود منها ولا ليستعين بها على الآخرة ، فلا يطمعن فى أن تصفو له لذة المناجاة فى الصلاة ، فإن فرح بالدنيا لا يفرح بالله سبحانه وبمناجاته ، وهمة الرجل مع قرة عينه ، فإن كانت قرة عينه فى الدنيا انصرف لا محالة إليها همه ، ولكن مع هذا فلا ينبغى أن يترك المجاهدة ورد القلب إلى الصلاة وتقليل الأسباب الشاغلة ، فهذا هو الدواء المر ، ولمرارته استبشعته الطباع ، وبقيت العلة مزمنة ، وصار الداء عضالا) .

---

(١) سورة العنكبوت الآية ٤٥ .

(٢) تعليم الصلاة - محمد محمود الصواف ، ص ١٠ ، ١١ .

وعلى الجملة فهمة الدنيا وهمة الآخرة فى القلب مثل الماء الذى يصب فى قدح مملوء بخل ، فبقدر ما يدخل فيه من الماء يخرج منه من الخل لا محالة ، ولا يجتمعان)[1] .

وصدق رسول الله ﷺ الذى كان يأنس إلى الصلاة ويقبل عليها لأن فيها إقبالا على الله سبحانه وتعالى ، وفيها الراحة والطمأنينة وهو القائل : " يا بلال أقم الصلاة أرحنا بها " وفى رواية أخرى " قم يا بلال فأرحنا بالصلاة " [2] .

جـ ـ الصيـــــام:

الصيام المفروض هو صيام شهر رمضان المبارك ، لقوله تعالى :

﴿ ياأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون...﴾ إلى قـوله تعـالى : ﴿ شهـر رمضـان الذي أنزل فيـه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه .... ﴾[3] .

والصيام من أركان الدين الإسلامي الحنيف ، لقوله ﷺ:

ـ « بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان » [4] .

– وعن طلحة بن عبيد الله ، أن أعرابيا جاء إلى النبي ﷺ ثائر الرأس فـقـال : يارسول الله أخبرني ماذا فرض الله عليّ من الصيام ؟ قال : "شهر رمضان" قال : هل عليّ غيره ؟ قال : " لا ، إلا أن تطوع شيئاً " قال : فأخبرني ماذا فرض الله عليّ من الزكاة ؟ فأخبره رسول الله ﷺ بشرائع الإسلام قال : والذي أكرمك لا أتطوع شيئا ولا أنقص مما فرض الله عليّ شيئا ، فقال النبي ﷺ " أفلح إن صدق " أو " دخل الجنة إن صدق " [5] .

فرسول الله ﷺ ، كان يصوم خلال العام الكثير من الأيام ، وكان ﷺ يصوم الأيام تلو الأيام حتى تقول الصحابة لن يفطر وأحيانا يواصل الإفطار حتى يقولوا لن يصوم . . . وكـان النبي ﷺ يواصل الصيام دون أن يأكل يوما أو أكثر ، ولكنه منع أصحابه رضوان الله عليهم من أن يفعلوا مثله ، لأنهم ليسوا في مقدرته ، وذكر لهم إن الله

---

(١) إحياء علوم الدين – أبى حامد الغزالى ج١ ص ٢٩٥ .

(٢) أبو داود ج٤ ص ٢٩٦ ، ٢٩٧ كتاب الأدب باب فى صلاة العتمة .

(٣) البقرة الآيات من ١٨٣/ ١٨٥ .

(٤) اللؤلؤ والمرجان ج١ ص٤ رواه البخاري ومسلم في كتاب الإيمان .

(٥) المرجع السابق .

يطعمه ويسقيه ، فلا يجب عليهم أن يحملوا أنفسهم فوق طاقتهم ، بل إنه ﷺ حثهم على تعجيل الفطر وذكر لهم أنه خير من تأخيره . . . . ومن الأيام والشهور التي كان يحرص على صيامها ﷺ وحث المسلمين على صيامها :

- صوم ثلاثة أيام من كل شهر ، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ » : صوم ثلاثة أيام من كل شهر صوم الدهر كله " [١] . . . وفي رواية للنسائي : " من صام ثلاثة أيام من كل شهر ، فقد تم صوم الشهر " [٢] . . . وفي رواية أخرى : " إذا صمت من الشهر ثلاثة : ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة أي في أيام ١٣ ، ١٤ ، ١٥ الأيام البيض " [٣] .

- صوم يومي الإثنين والخميس من كل أسبوع ، فعن عائشة رضي الله عنها : " أن النبي ﷺ كان يتحرى صيام الإثنين والخميس " [٤] .

- صوم يوم عاشوراء ، فعن عائشة رضي الله عنها : أن قريشا كانت تصوم يوم عاشوراء في الجاهلية ، ثم أمر رسول الله ﷺ بصيامه حتى فرض رمضان وقال رسول الله ﷺ " من شاء فليصمه ومن شاء أفطر " [٥] .

- صوم ستة أيام من شهر شوال ، لقوله ﷺ:

"من صام رمضان ثم أتبعه بست من شوال فذاك صيام الدهر " [٦] .

- صوم عشر ذي الحجة ،

"ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله منه في هذه الأيام العشر . قالوا : ولا الجهاد في سبيل الله قال : ولا الجهاد في سبيل الله ، إلا رجل خرج بنفسه وماله ثم لم يرجع من ذلك بشيء " [٧] .

- صوم شهر شعبان وبخاصة ليلة النصف منه ، فعن عائشة رضي الله عنها قالت : "كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول لا يفطر ، ويفطر حتى نقول لا يصوم فما

---

(١) متفق عليه .

(٢) مختصر الترغيب والترهيب ص ٨٠ ، ٨١ باب الترغيب في صوم ثلاثة أيام من كل شهر سيما الأيام البيض .

(٣) رواه الخمسة إلا أبا داود . (٤) المرجع السابق .

(٥) اللؤلؤ والمرجان ج ٢ ص ١٥ أخرجه البخاري في كتاب الصوم - باب وجوب صوم رمضان .

(٦) رواه الجماعة إلا البخاري والنسائي .

(٧) ابو داود ج ٢ ص ٣٢٥ باب فى صوم العشر

رأيت رسـول الله ﷺ استكمل صيام شهر إلا رمضان وما رأيته أكثر صياما منه في شعبان " [1] .

- وحث الرسـول ﷺ على صيام داود عليه السلام ، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال له :

(أحب الصلاة إلى الله صلاة داود عليه السلام ، وأحب الصيام إلى الله صيام داود ، وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه ويصوم يوما ويفطر يوما)[2] .

من هذه الأحاديث النبوية العديدة التي أشرنا إليها ، يتضح بجلاء أن رسول الله ﷺ ، كان كثير الصيام طوال العام ، وكان له في الأسبوع أيام يصومها ويحض الصحابة عليها ، وله في الشهر أيام يصومها كذلك ، وعلى مدار العام تتعدد مناسبات الصيام وتتكرر ، لأهمية الصيام وفوائده العديدة في مختلف المجالات ، ومن هذه المجالات والتي لها نصيب وافر من الأهمية ، تأثير الصيام الفعال والطيب على الصائم . . وسنشير فيما يلي بشئ من الإسهاب لأهمية الصيام وفوائده الصحية ، مما اتفق عليه العلماء والأطباء المسلمون وغير المسلمين ، لأنها من الأمور الجلية التي لا خلاف عليها ووضحت وتعددت لتشمل أجهزة الجسم كلها .

- الفوائد الصحية للصيام :

اتفق عليها الأطباء المسلمون وغير المسلمين وهي فوائد عديدة ، تشمل مختلف أجهزة الجسم الهضمية والدورية والتنفسية وغيرها ، " فقد ثبت نفعه في مجال المحافظة على صحة البدن حتى خصص غير المسلمين لأنفسهم أياما يصومون فيها ، ومنهم من يصوم مع المسلمين لاعتبار صحي " [3] .

ومما ورد في الكتب الطبية والعلمية عن فوائد الصوم :

- يعتبر الصوم علاجا لاضطرابات الأمعاء المزمنة ، ولزيادة الوزن ، وزيادة الضغط ولالتهاب الكلى والأمراض الجلدية ، إذ أن الإمتناع عن الطعام والشراب مدة من الزمن ، يقلل من وجود الماء في الجسم ، وهذا بدوره ينعكس على وجود الماء في الجلد ، فتزداد مقاومته لتلك الأمراض ، وتزداد سرعة الشفاء[4] .

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج٩ ص٤٤ والحديث رواه مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجة .

(٢) اللؤلؤ والمرجان ج٢ ص ٢٣ كتاب الصيام باب بيان تفضيل صيام يوم وإفطار يوم - أخرجه البخاري في كتاب التهجد - باب من نام عند السحر .

(٣) عناية الإسلام بالصحة البدنية - كاملة الأنوار محمد صابر حجاب العدد ٧٧ من إسلاميات ص ١١٨ .

(٤) الله والعلم الحديث . عبد الرزاق نوفل ص٢١٢ .

- تتمدد فوائد الصيام في عدة نواح هي[1]:

١- علاج اضطرابات الهضم والأمعاء وبالذات المزمنة منها .

٢- إقلال السكر فى الدم والعمل على إخفائه من البول .

٣- إنقاص الوزن .

٤- التهاب الكلى الحاد ، والمصحوب بتورم وارتشاح ، يستفيد كثيرا من الصيام .

٥- تحسن فى بعض أمراض القلب .

٦- التهابات المفاصل الروماتيزمية .

- ومن فوائد الصوم للجلد وللأمراض الجلدية وللجهاز الهضمى نذكر ما يلي[2]:

١- فى تنظيم وجبات الطعام وتعاطيها تنظيم لجهاز من أجهزة الجسم الرئيسية وهو الجهاز الهضمى ، ففى تنظيم المعدة والأمعاء للعمل والراحة فى أوقات معينة إجراء صحى كبير ، يشد من أزر هذا الجهاز ، فمن حق أى كائن حى أن يعمل ثم يستريح ، وأن يكون عمله منظما كذلك والامتناع عن الطعام والشراب فترة ما فى الصوم إخلاء لهذا الجهاز مما يحويه من الفضلات التى كثيرا ما تكون ضارة بالجسم ، والميكروبات التى نجدها فى الجهاز الهضمى تجد فى الفضلات بؤرة هامة لنموها ونشاطها ، وعندما تقل الفضلات فى الجهاز الهضمى ، لاتجد هذه الميكروبات فرصة للمعيشة ، لأن مورد غذائها قد قل أو امتنع ، وبذلك تقل تلك البؤرة بسمومها وضررها ، وفى غيابها غياب للأمراض التى تسببها تلك البؤرة .

وأيضا فى الإقلال من الطعام أو الشراب إقلال إلى حد ما من السوائل بالجسم ، وبذلك تقل البؤرات ، وتستريح الدورة الدموية ، وخاصة عند ذوى الضغط المرتفع .

٢- الإقلال من الدهون التى تفرزها الغدد الدهنية يقل نشاط تلك الغدد ، فتتحسن حالة الجلد الدهنية ، ومن ثم تتحسن التهاباته الدهنية ، والتهابات المثنيات عند أصحاب تلك البشرة ، وتخف وطأه حب الشباب ومضاعفاته ، وأيضا تذهب الدمامل المتعددة التى تظهر على البشرة الدهنية .

---

(١) الإعجاز الطبي للقرآن الكريم ا . د . سيد الجميلي طبعة دار التراث سنة ١٩٧٧ م صفحتي ١٢٣ ، ١٢٤ .

(٢) بتصرف من مقال بمجلة طبيبك الخاص للدكتور محمد الظواهري رئيس قسم الأمراض الجلدية بكلية طب القاهرة العدد ٨١ عدد سبتمبر ١٩٧٥ م ص ٤١ وما بعدها .

والإقلال أو الامتناع عن بعض الأغذية التى فيها مواد خاصة مثل البروتينات (الزلاليات) كما فى الجبن واللحوم والبيض والسمك يزيد من ظهور أمراض الحساسية (الحكة الجلدية) وأيضا الهرش فى أمراض كثيرة مثل الأكزيما .

والإقلال من الملح فى الطعام والشراب يقلل من فرصة تواجد السوائل والمياه بالأنسجة ، وبذلك تقل فرصة ظهور الالتهابات الجلدية الحادة وأيضا الميكروبية ، وهذه تجد فى التورمات والسوائل فرصة سانحة للتكاثر وإحداث المرض .

٣- يفيد الصوم فى علاج بعض الأمراض النفسية والعصبية التى تنتج عنها بعض الأمراض الجلدية ، فالصوم وترك الصغائر ، والاتجاه إلى الله يقلل الأمور التى تشغل البال ، فيؤدى هذا إلى الراحة النفسية وهذا يؤدى إلى المساعدة فى علاج هذه الأمراض الجلدية التى تلعب الأعصاب فيها دورا هاما ، مثل البهاق والثعلبة وغيرها [١] .

كما أن الصوم يصفى القريحة ويوقد الفكر وينفذ البصيرة ، وينير النفس البشرية ، لتلقى الفيوضات القدسية والاشراقات الربانية .

ولهذا المعنى اللطيف كره العارفون أن يفسد الصائم فى ليله ما استفاده من نهاره ، يشبع فى الليل فيضيع ما انتفع به من جوع النهار ، إذ الشبع يورث البلادة ، ويعمى القلب ، ويكثر البخار فى الدماغ ، حيث يحتوى على القوة المفكرة ، فيثقل العقل من الجريان فى الأنكار ، وسرعة الادراك . . . [٢].

فكثير من الناس يأكل ثلاث وجبات ، ويملأ بطنه بالطعام ثم يشرب كثيرا من المشروبات ، أو يأكل حلوى بها مواد سكرية مما يؤدى الى تراكم المواد الدهنية فى الجسم واختزانها ان لم يصاحب ذلك مجهود عضلى يؤدى الى اذابتها ، مما يؤدى الى كثير من الأضرار ، وأول تلك الأضرار هو تعطيل العملية الفسيولجية المتعلقة بتفتيت الطاقة المدخرة على هيئة دهون وجيلكوجين ، وإذا عطلت وظيفة أى عضو فإن ذلك العضو يضمر . . وها هنا يفقد الجسم قدرته على عملية الهدم المتعلقة بتفتيت الطاقة بصورة جيدة . . ويؤدى ذلك الى المزيد من تراكم المواد الدهنية التى تؤدى الى السمنة ، والتى سنتحدث عنها فى فصل خاص .

لذا احتاج الإنسان الى فترات من الصيام الطويل نسبيا ، ولهذا فرضه الله تعالى

---

(١) المرجع السابق .

(٢) مجلة نور الإسلام ج٩ المجلد ٣ ص ٦٢٥ من مقال بعنوان " الصوم " .

علينا كما فرضه على الذين من قبلنا ، قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾ (١) .

وقد جعل الله فترة الصيام من طلوع الفجر الى غروب الشمس ، ولم يجعله من غروب الشمس الى طلوع الفجر ، ولذلك حكم عديدة منها أن نشاط الانسان انما هو فى النهار . . وعملية الهدم للمخزون من الطاقة . . . وإذابة هذه الشحوم إنما تتم فى النهار . . ومن المعلوم أن عملية الهدم تكون على أبطأها فى الليل وعلى أشدها فى النهار .

فتكون الفائدة قليلة إذا كان الصيام فى الليل بدلا من النهار ، أما صوم النهار فإنه يؤدى الى إذابة مخزون الطاقة بصورة أكبر وأفضل وفى النوم تقل عملية الاستقلاب ، ورغم أن نوم النهار ، ليس كنوم الليل إلا أن نوم النهار أيضا يقلل من عملية الاستقلاب وبالتالى يقلل من إذابة مخزون الطاقة .

ولذا فإن الذين يصومون رمضان ويقضون نهاره نياما فإنهم يفقدون كثيرا من فوائد الصيام وحكمه . . . التى منها الصبر على الجوع والعطش . . ومنها إذابة مخزون الطاقة الموجودة على هيئة دهون وجليكوجين (٢) .

ولم تقتصر الكتابة فى فوائد الصيام على العلماء والأطباء المسلمين ، بل إن غير المسلمين أيضا لاحظوا التأثير الطيب للصوم والاقلال من الطعام على الصحة .

وقد بدأت الدراسات بعلماء عالميين من غير المسلمين فوجدنا الدكتور الطبيب الكسيس كاريل يصدر كتابة منذ نحو خمسين عاما بعنوان (الانسان ذلك المجهول) ، فيقول ما نصه (٣) :

إن كثرة وجبات الطعام وانتظامها ووفرتها تعطل وظيفة لعبت دورا عظيما فى بقاء الأجناس البشرية ، وهى وظيفة التكيف على قلة الطعام ، وكان الناس فى الزمان الغابر ترغمهم المجاعة على الصوم . . ثم جاءت الأديان تدعو الناس إليه .

يحدث الحرمان من الطعام أول الأمر الشعور بالجوع ، ويحدث أحيانا بعض التهيج العصبى . . ثم يحدث إلى جانب ذلك ظواهر خفية أهم من ذلك بكثير ، فإن سكر

---

(١) سورة البقرة الآية ١٨٣ .

(٢) الصوم وأمراض السمنة - د. محمد علي الباز ص ١٢ ، ١٣ الدار السعودية للنشر والتوزيع - الطبعة الأولى جدة ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .

(٣) د . الطبيب الكسيس كاريل . القرآن دواء . . فيه وقاية وشفاء - عبد الرزاق نوفل كتاب اليوم ص٨٨ .

الكبد يتحرك . . ويتحرك معه أيضا الدهن المخزون تحت الجلد ، وبروتينات العضل والغدد وخلايا الكبد وتضحى كافة الأعضاء بمادتها الخاصة للابقاء على كمال الوسط الداخلى وسلامة القلب ، إن الصوم ينظف ويبدل أنسجتنا) .

ويقول الطبيب الأمريكى (بندكت) :

(يخطئ من يعتقد أن الإنسان لا يتغذى إذا امتنع عن الطعام لأن الجسد يظل يأكل رغم الصوم وأول ما يأكله الجسد هو هذه المواد الضارة السامة التى توجد داخل كل جسم . . أى أن جسد الإنسان يأكل نفسه . . وأول ما يأكله هو هذه المواد الدهنية الموجودة بكثرة فى جميع الأجساد . . وتهبط كمية الدهن والشحم الموجودة حول القلب والأجزاء الأخرى . . والشئ المذهل حقا أن الجسد عندما يأكل نفسه فإن العناية الإلهية الكبيرة تجعل هذا التآكل لا يطبق إلا على المواد الضارة السامة غير الضرورية لنا . . والإنسان عندما يصوم يذهب من وجهه حب الشباب وبعض الأشياء المماثلة الناتجة عن تخمر الأطعمة فى المعدة . . والصوم يجعل القلب يعمل بنشاط أكثر لأنه يجعل الدم أصفى وأنقى كذلك الطحال والكبد والمرارة فإنها تبلغ الذروة من قوتها أثناء الصوم . . والشئ المثير أن النخاع لا يتأثر بالصوم ولا ينقص منه شئ بل على العكس تزداد طاقته أكثر وهكذا القلب)[1] .

د ـ الصدقة .. والشفاء:

حث الإسلام على الصدقة وبين فضلها وثوابها وفائدتها للمتصدق في الدنيا والآخرة ، حتى ولو كانت بالقليل ، وبيّن أنها لا تمتنع من القليل لاحتقاره ، وثبوت أجرها وإن وقعت في يد غير أهلها ، إلى غير ذلك من الأمور التي وردت في كثير الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة ، وسنكتفي ببعض الآيات والأحاديث للدلالة على ما ذكرناه ، وبخاصة منها ما يتعلق بدور الصدقة في الشفاء ، الذي يهبه الله للمتصدق ، أو لأهله وذويه أو لكليهما .

---

(١) المرجع السابق ص ٨٩ .

- الآيات القرآنية :

قال تعالى :

- ﴿ وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه وهو خير الرازقين ﴾ [1] سبأ : ٣٩ .

- ﴿ وما تنفقوا من خير فلأنفسكم وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف إليكم وأنتم لا تظلمون ﴾ [2] البقرة : ٢٧٢ .

- ﴿ وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم ﴾ [3] البقرة : ٢٧٣ .

- ﴿وما تنفقوا من شئ في سبيل الله يوف إليكم ﴾ [4] الأنفال : ٦٠ .

- الأحاديث النبوية :

- عن أبي ذر ، قال : كنت أمشي مع النبي ﷺ في حرَّة المدينة[5] عشاء ونحن ننظر إلى أُحُد . فقال لي رسول الله ﷺ " يا أبا ذر " قال قلت : لبيك ! يا رسول الله ! قال : " ما أُحبُّ أن أُحُدا ذاك عندي ذهب . أمسَى ثالثة عندي منه دينار ، إلا دينارا أُرصِدُهُ لدين . إلا أن أقول به في عباد الله . . . . " [6] .

- عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ " إن الله قال لي : "أنفق أُنفق عليك" وقال رسول الله ﷺ " يمين الله ملآى . لا يغيضها سحَّاء الليل والنهار . . . " [7] .

- عن ابن شيبة عن النبي ﷺ قال " كل معروف صدقة " [8] .

- عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ ":ما من يوم يصبح العباد فيه ، إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما : اللهم ! أعط منفقا خلفا . ويقول الآخر : اللهم ! أعط ممسكا تلفا " [9] .

---

(١) سورة سبأ الآية ٣٩ . (٢) سورة البقرة الآية ٢٧٢ .

(٣) سورة البقرة الآية ٢٧٣ . (٤) سورة الأنفال الآية ٦٠ .

(٥) (حرة المدينة) أرض ذات أحجار سود خارج المدينة المنورة .

(٦) صحيح مسلم ج٢ ص ٦٨٧ كتاب الزكاة باب الترغيب في الصدقة .

(٧) المرجع السابق ج٢ ص ٦٩١ باب الحث على النفقة وتبشير المنفق بالخلف .

(٨) المرجع السابق ص ٦٩٧ باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف .

(٩) المرجع السابق ص ٧٠٠ باب في المنفق والممسك .

ـ الحديث الذي رواه أبو هريرة عن الرجل الذي تصدق على زانية وغني وسارق وقيل له :

أما صدقتك فقد قبلت . أما الزانية فلعلها تستعف بها عن زناها . ولعل الغني يعتبر فينفق مما أعطاه الله . ولعل السارق يستعف بها عن سرقته[١].

وأخيرا نشير إلى حديث رسول الله ﷺ الذي بين فيه أن الصدقة دواء رباني من الله عز وجل للشفاء من المرض ، وهي نعم الدواء ، وهي دواء يصادف الشفاء بالتأكيد ، لأن الدواء من الله عز وجل مانح الشفاء وصاحب العطاء والعطايا كلها وحريُ بنا أن نحرص على هذا الدواء وأن نؤمن به عن عقيدة راسخة وثقة في عطاء الله الذي لا تنفد خزائنه ، وفي ذلك يقول سيدنا محمد النبي الأمي صلوات الله وسلامه عليه[٢]:

- "حصنوا أموالكم بالزكاة وداووا مرضاكم بالصدقة وأعدوا للبلاء الدعاء " .

- "حرزوا أموالكم بالزكاة وداووا مرضاكم بالصدقة وادفعوا عنكم طوارق البلاء بالدعاء ، فإن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل ، ما نزل يكشفه وما لم ينز يحبسه " .

وليكن معلوما لنا أنه حتى يتقبل الله منا صدقاتنا وتؤتي ثمارها كدواء وينتج عنها الشفاء ، علينا أن نكون قد أدينا حق ربنا في الزكاة لأنها فرض واجب لمن بلغت أمواله النصاب الشرعي ، ثم بعد أداء الزكاة ، يسعى المسلم إلى الإكثار من الصدقات لتكون له شفاء ورحمة ونورا في الدنيا والآخرة .

٣ـ العلاج الطبي والبدني

أ ـ تبريد الحُمَّى بالماء:

وردت عن سيدنا رسول الله ﷺ ، أحاديث نبوية عن الحُمَّى وعن تبريدها بالماء وبالرُّقَى وعن تكفيرها للذنوب ، ومن ذلك ما رواه الترمذى[٣]:

- قال ﷺ ": الحُمَّى فور من النار فأبردوها بالماء " .

---

(١) المرجع السابق ص ٧٠٩ باب ثبوت أجر المتصدق وإن وقعت الصدقة في غير أهلها .

(٢) أخرجه الطبراني وأبو نعيم من حديث عبادة بن الصامت مرفوعا (كتاب في تمييز الطيب من الخبيث في ما يدور على ألسنة الناس من الحديث - للشيباني ص ٦٩ .

(٣) ج٤ ص ٤٠٤ ، ٤٠٥ ، ٤١٢ كتاب الطب باب ما جاء فى تبريد الحمى بالماء .

ـ قال ﷺ ": إن الحُمَّى من فيح جهنم فأبردوها بالماء " ورواه أيضا ابن ماجه باللفظ نفسه[1].

– عن عكرمة عن ابن عباس أن النبى ﷺ كان يعلمهم من الحمى ومن الأوجاع كلها أن يقول : " بسم الله الكَبير أعُوذُ بالله العَظيم منْ شرَّ كُل عرق نَعَّار وَمنْ شرَّ حَرِّ النَّار " وقد روى ابن ماجه هَذا الحديث بهَذا اللفظ ، وَفى رواية له أخرَى بلفظ " من شر عرق يَعَّار " [2].

ـ عن أبى هريرة أنَّ النبىَّ ﷺ عاد رجلا من وَعَك كان به فقال : أبشر فإن الله يقول : هى نارى أُسَلِّطُهَا على عَبْدى المُذنب لتكُونَ حَظَّهُ منَ النَّار " [3].

ـ عن سفيان الثَّورى عن هشام بن حسان عن الحسن قال : " كانوا يرتَجُونَ الحُمَّى لَيلَةً كَفَّارَةً لما نَقَصَ منَ الذُّنوب " .

كما أورد ابن ماجه أحاديث نبوية أخرى نشير منها إلى ما يلى[4] :

ـ عن أبى هريرة ؛ قال : ذُكرَت الحُمَّى عند رسول الله ﷺ فَسَبَّها رَجُل فقال النبى ﷺ ": لا تَسبَّها فانها تنفى الذنوب ، كما تنفى النار خبث الحديد " [5].

ـ عن أسماء بنت أبى بكر ؛ أنها كانت تؤتى بالمرأة الموعوكة ، فتدعو بالماء فتصبه فى جيبها وتقول : إن النبى ﷺ قال " ابردوها بالماء " وقال : " إنها من فيح جهنم " .

(حدثنا أحمد بن سعيد الأشقر الرباطى . حدثنا روح ابن عبادة حدثنا مرزوق أبو عبيد الله الشامى . حدثنا رجل من أهل الشام أخبرنا ثوبان عن النبى ﷺ قال : " إذا أصاب أحدكم الحُمى فإن الحُمى قطعة من النار فليطفئها عنه بالماء فليستنقع نهرا جاريا ليستقبل جريه الماء فيقول : بسم الله ، اللهم اشف عبدك وصدق رسولك بعد صلاة الصبح قبل طلوع الشمس فلينغمس فيه ثلاث غمسات ثلاثة أيام ، فإن يبرأ فى ثلاث فخمس ، وإن لم يبرأ فى خمس فسبع ، فإن لم يبرأ فى سبع فتسع فإنها لا تكاد تجاوز تسعا بإذن الله ") [6].

---

(١) ج٢ص ١٤٩ ، ١١٥٠ كتاب الطب باب الحمى من فيح جهنم فابردوها بالماء .

(٢) ج٢ص ١١٦٥ كتاب الطب باب ما يعوذ من الحمَّى .

(٣) رواه ابن ماجه بلفظ " عبدى المؤمن فى الدنيا لتكون حظه من النار فى الآخرة " ج٢ص ١١٤٩ .

(٤) ج٢ص ١١٤٩ ، ١١٥٠ باب الحمى ، الحمى من فيح جهنم .

(٥) خبث الحديد : هو ما تلقيه النار من وسخه إذا أذيب .

(٦) الترمذى ج٤ ص ٤١٠ ، ٤١١ .

وقد قيل إن خطاب الرسول ﷺ للناس بابراد الحمى بالماء، " خاص بأهل الحجاز وما والاهم إذ كان أكثر الحميات التى تعرض لهم من نوع الحمى اليومية العرضية الحادثة عن شدة حرارة الشمس وهذه ينفعها الماء البارد شربا واغتسالا " أما الحمى الناتجة عن التهابات داخل الجسم أو مرض عضوى يتسبب عنه هذه الحمى فإنه يجب فى البداية معالجة موطن الداء الذى سبب الحمى ، وإن كان هذا لا يمنع من تخفيف حدة الحمى بالأدوية الأخرى أو بالماء كما ذكر الرسول ﷺ وتخفيف ارتفاع درجات حرارة الجسم بالماء ، ما زال معمولا به حتى الآن ، باعتباره علاجا طبيعيا ليس له مضاعفات جانبية كبعض الأدوية التى تؤخذ عن طريق الفم أو غير ذلك لتخفيض درجة الحرارة الى معدلها الطبيعى ، حتى لا تكون هى سببا فى أضرار إضافية أخرى للمريض .

ب ـ الحجامة والكى:

الحجامة والكى وردت فيهما أحاديث نبوية كثيرة عن سيدنا رسول الله ﷺ ، منها ماتكلم عن الحجامة وما تعالجه من أمراض والأوقات التى تفضل فيها ، والأوقات المنهى عنها ، ومنها ماتكلم عن الكى بالحث عليه أحياناوبما يفيد النهى عنه تارة أخرى . . . ومنها ماجمع بين الحجامة والكى ، لذا رأينا أن نفرد لكل منهما قسما خاصا، وذلك فيما يلى :

ـ الحجامة [(١)]:

جاء فى صحيح البخارى شرح الكرمانى عدة أحاديث نبوية منها :

– عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ احتجم وأعطى الحجام أجره واستعط [(٢)].

– عن ابن عباس قال احتجم النبي ﷺ وهو صائم [(٣)] .

ـ عن ابن عباس قال احتجم النبي النبي ﷺ وهو مُحْرِم [(٤)] .

---

(١) الحجامة : هى أن يقوم الحاجم بشق الجلد فى أماكن مخصوصة لإخراج الدم منها .

(٢) باب السعوط ج ٢٠ ص ٢١٢ . (٣) ج ٢٠ ص ٢١٣ باب أي ساعة يحتجم .

(٤) ج ٢٠ ص ٢١٤ باب الحَجْمِ في السفر والإحرام .

- عن أنس رضي الله عنه أنه سئل عن أجر الحجام فقال احتجم رسول الله ﷺ حَجَمَهُ أبو طَيْبَةَ وأعطاه صاعين من طعام وكلم مواليه فخففوا عنه وقال إن أمثل ما تداويتم به الحجامة[1].

- قال الأنصاري أخبرنا هشام بن حسان حدثنا عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ احتجم في رأسه[2].

- عن هشام عن عكرمة عن ابن عباس احتجم النبي ﷺ في رأسه وهو مُحرم من وجع كان به[3]، وعنهم : " أن رسول الله ﷺ احتجم وهو محرم في رأسه من شقيقة كانت به "[4].

- عن ابن عباس ؛ قال : قال رسول الله ﷺ " : نِعْمَ العَبدُ الحجَّامُ يَذْهَبُ بالدَّمِ ، ويُخفُّ الصُّلْبَ ويجلو البَصَرَ "[5].

وفي سنن أبي داود في باب الحجامة وردت الأحاديث الثلاثة التالية :[6].

- عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : " إن كان في شيء مما تداويتم به خير فالحجامة "[7].

- عن مولاه عبيد الله بن علي بن أبي رافع ، عن جدته سلمى خادم رسول الله ﷺ ، قالت : ما كان أحد يشتكي إلى رسول الله ﷺ وجعا في رأسه إلا قال : " احتجم " ولا وجعا في رجليه إلا قال : " اخضبهما " .

قال كثير : أنه حدثه ، أن النبي ﷺ كان يحتجم على هامته وبين كتفيه ، وهو يقول : " من أهراق من هذه الدماء فلا يضره أن لا يتداوى بشيء لشيء " .

- توقيت إجراء الحجامة :

وردت أحاديث نبوية عديدة ، تبين الأيام والأوقات المستحب فيها إجراء الحجامة، وتلك المنهي عنها نشير إليها فيما يلي :

---

(١) ج ٢٠ ص ٢١٤ باب الحجامة من الداء . (٢) ج ٢٠ ص ٢١٥ باب الحجامة على الرأس .

(٣) ج ٢٠ ص ٢١٦ الحجم من الشقيقة والصداع . (٤) الشقيقة : هو وجع أحد شقي الرأس ص ٢١٥ ، ٢١٦ .

(٥) رواه ابن ماجة ج٢ ص ١١٥١ باب الحجامة رقم الحديث ٣٤٧٨، الترمذي ج٤ ص ٣٩١ .

(٦) ج٤ ص٤ باب في الحجامة ، في موضع الحجامة .

(٧) رواه ابن ماجة باب الحجامة ج٢ ص ١١٥١ واللفظ لأبي داود .

١ـ ما جاء في سنن أبي داود [١] :

ـ عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : «من احتجم لسبع عشرة وتسع عشرة وإحدى وعشرين كان شفاء من كل داء » .

ـ أخبرني أبو بكرة بكار بن عبد العزيز ، أخبرتني عمتي (كبشة بنت أبي بكرة ، وقال غير موسى) كيسة بنت أبي بكرة ، أن أباها كان ينهى أهله عن الحجامة يوم الثلاثاء ، ويزعم عن رسول الله ﷺ أن يوم الثلاثاء يوم الدم وفيه ساعة لا يرقأ .

ـ عن أبي الزبير ، عن جابر أن النبي ﷺ احتجم على وركه من وَثْء كان به .

ـ عن جابر ، قال : بعث النبي ﷺ إلى أُبَيٍّ طبيبا فقطع منه عرقا .

٢ـ ما جاء في سنن الترمذي[٢] :

ـ عن أنس قال : كان رسول الله ﷺ يحتجم في الأخدعين والكاهل ، وكان يحتجم لسبع عشرة وتسع عشرة وإحدى وعشرين .

ـ عن ابن مسعود قال : حدث رسول الله ﷺ عن ليلة أُسْرِيَ به أنه لم يمر على ملأ من الملائكة إلا أمروه ، أن مُرْ أمتك بالحجامة [٣] .

ـ حدثنا عباد بن منصور قال : سمعت عكرمة يقول : كان لابن عباس غلمة ثلاثة حجامون ، فكان اثنان منهم يغلان عليه وعلى أهله وواحد يحجمه ويحجم أهله .

٣ـ ما جاء في سنن ابن ماجة [٤] :

ـ عن انس بن مالك ؛ أن رسول الله ﷺ ":من أراد الحجامة فليتحرى سبعة عشر ، أو تسعة عشر ، أو إحدى وعشرين ، ولا يتبيغ [٥] بأحدكم الدم ، فيقتله " .

ـ عن نافع ، عن ابن عمر ؛ قال : يا نافع ! قد تبيغ بي الدم ، فالتمس لي حجاما ، واجعله رفيقا[٦] ، إن استطعت ، ولا تجعله شيخا كبيرا ولا صبيا صغيرا فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : " الحجامة على الريق أمثل[٧] ، وفيه شفاء وبركة ، وتزيد في

---

(١) كتاب الطب باب متى تستحب الحجامة ج٤ ص٥ .

(٢) كتاب الطب باب ما جاء في الحجامة ج٤ ص ٣٩٠ ، ٣٩١ .

(٣) رواه ابن ماجة ج٢ ص ١١٥١ باب الحجامة رقم الحديث ٣٤٧٧ .

(٤) كتاب الطب باب في أي الأيام يحتجم ج٢ ص ١١٥٣ .

(٥) (يتبيغ) في النهاية : تبيغ به الدم إذا تردد فيه ، ومنه تبيغ الماء إذا تردد وتحير في مجراه .

(٦) (واجعله رفيقا) أي اختر لي رفيقا ، مهما أمكن .

(٧) الحجامة على الريق أمثل أي أفضل وأكثر نفعا .

العقل وفي الحفظ ، فاحتجموا على بركة الله يوم الخميس ، واجتنبوا الحجامة يوم الأربعاء والجمعة والسبت ويوم الأحد ، تحريا ، واحتجموا يوم الإثنين والثلاثاء ، فإنه اليوم الذي عافى الله فيه أيوب من البلاء ، وضربه بالبلاء يوم الأربعاء ، فإنه لا يبدو جزام ولا برص إلا يوم الأربعاء ، أو ليلة الأربعاء " .

عن سعيد ابن ميمون ، عن نافع ؛ قال : قال ابن عمر : يا نافع! تبيغ بي الدم ، فأتني بحجام واجعله شابا ولا تجعله شيخا ولا صبيا .

قال ، وقال ابن عمر : سمعت رسول الله ﷺ يقول: " الحجامة على الريق أمثل ، وهي تزيد في العقل وتزيد في الحفظ وتزيد الحافظ حفظا ، فمن كان محتجما ، فيوم الخميس ، على إسم الله ، واجتنبوا الحجامة يوم الجمعة ويوم السبت ويوم الأحد واحتجموا يوم الإثنين والثلاثاء ، واجتنبوا الحجامة يوم الأربعاء فإنه اليوم الذي أصيب فيه أيوب بالبلاء ، وما يبدو جزام ولا برص إلا في يوم الأربعاء أو ليلة الأربعاء " .

ـ الكـــي :

أما الأحاديث النبوية الشريفة التي وردت في الكي فمنها ما يدعو إليه ومنها ما ينهى عنه ، ومن ذلك :

١ـ ما جاء في الكي :

ـ عن أنس أن النبي ﷺ كوى أسعد بن زرارة من الشوكة [١] .

ـ عن أبي سفيان ، عن جابر ؛ قال : مرض أُبَيٌّ بن كعب مرضا ، فأرسل اليه النبي طبيبا ، فكواه على أَكْحَله ، وعن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله ؛ أن رسول الله ﷺ كوى سعد بن معاذ في أَكَحله مرتين [٢] .

٢ـ ما جاء في النهي عن الكي :

ـ عن مجاهد عن عقَّار بن المغيرة ، عن أبيه ، عن النبي ﷺ قال: " من اكتوى أو استرقى ، فقد برئ من التوَكل " [٣] .

---

(١) الترمذي ج٤ ص ٣٩٠ كتاب الطب باب ما جاء في الرخصة في ذلك .

(٢) ابن ماجة ج٢ ص ١١٥٦ كتاب الطب .

(٣) ابن ماجة ج٢ ص ١١٥٤ باب الكي ، وفي هامشه (برئ من التوكل) أي أن كمال التوكل يقتضي ترك الأدوية ، ومن أتى بها فقد برئ من تلك المرتبة العظيمة من التوكل .

ـ عن عمران بن حُصَين ، قال : نهى النبي ﷺ عن الكي ، فاكتوينا ، فما أفلحنا ولا أنجحنا (قال أبو داود : وكان يسمع تسليم الملائكة ، فلما اكتوى انقطع عنه ، فلما ترك رجع إليه) [١] .

ـ عن عمران بن حُصَين قال : نهينا عن الكي [٢] .

– عن ابن عباس قال رسول الله ﷺ عرضت علي الأمم فجعل النبي والنبيان يمرون معهم الرهط والنبي ليس معه أحد حتى رفع لي سواد عظيم قلت ما هذا أمتي هذه قيل هذا موسى وقومه قيل أنظر إلى الأفق فإذا سواد يملأ الأفق ثم قيل لي أنظر هاهنا وهاهنا في آفاق السماء فإذا سواد قد ملأ الأفق قيل هذه أمتك ويدخل الجنة من هؤلاء سبعون ألفا بغير حساب ثم دخل ولم يبين لهم فأفاض القوم وقالوا نحن الذين آمنا بالله واتبعنا رسوله فنحن هم أو أولادنا الذين ولدوا في الإسلام فإنا ولدنا في الجاهلية فبلغ النبي ﷺ فخرج فقال هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون " [٣] .

٣ـ وردت أحاديث نبوية شريفة جمعت بين الحجامة والكي وقالت أنهما شفاء ثم نهت عن الكي منها :

– عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال[٤] : " الشفاء في ثلاثة : شرطة محجم أو شربة عسل أو كية نار وأنهى أمتي عن الكي " .

– عن عاصم بن عمر بن قتادة قال سمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال سمعت النبي ﷺ يقول : " إن كان في شيء من أدويتكم أو يكون في شيء من أدويتكم خير ففي شرطة محجم أو شربة عسل أو لذعة بنار توافق الداء وما أحب أن أكتوي .

ـ العلاج بالحجامة :

العلاج بالحجامة وردت فيه أحاديث نبوية كثيرة وبينت الأوقات التي يستحب فيها والأمراض التي يعالجها ، وهذه الأحاديث وغيرها استخلص منها الفقهاء إثبات جواز

---

(١) أبو داود ج٤ ص٥ كتاب الطب باب في الكي والحديث رواه ابن ماجة ج٢ ص ١١٥٥ كتاب الطب ورواه الترمذي ج٤ ص ٣٨٩ بلفظ (فما أفلحنا ولا أنجحنا) وقال هذا حديث حسن صحيح .

(٢) الترمذي ج٤ ص ٣٨٩ باب كراهية التداوي بالكي .

(٣) البخاري شرح الكرماني ج ٢٠ ص ٢١٨ كتاب الطب .

(٤) البخاري للكرماني ج ٢٠ ص ٢٠٤ كتاب الطب باب الشفاء في ثلاث ، ابن ماجة ج٢ ص ١١٥٥ كتاب الطب .

التداوي ، وأن أحاديث الرسول ﷺ التي جمعت بين الحجامة وشرب العسل والكي وقالت أنها شفاء ، " تنتظم معظم جملة أنواع التداوي لأن الأمراض الإمتلائية : دموية وصفراوية وبلغمية وسوداوية ، فإن كانت دموية فشفاؤها إخراج الدم وإن كانت من الثلاثة الباقية فشفاؤها بالمسهل اللائق لكل خلط منها فكأنه نبه بالعسل على المسهلات ، وبالحجامة على إخراج الدم . . . وقال ابن بطال : الحجامة والعسل والكي إنما هو شفاء لبعض الأمراض دون بعض ألا ترى أنه ﷺ شرط موافقتها للداء[1]فدل أنها إذا لم توافقه فلا دواء فيها " [2].

ـ العلاج بالكي :

وردت أحاديث نبوية شريفة تبين أن الكى سبيل من سبل الشفاء وأن الرسول ﷺ قد كوى بعض الصحابة بنفسه ، بينما وردت أحاديث نبوية أخرى تنهى عن الكى رغم أنها فى بداية الحديث النبوى تبين أنه من الشفاء ، وهذا يؤكد أن الكى فيه شفاء ولكن الرسول ﷺ نهى عنه فى بعض الحالات لأسباب تتعلق بالكى نفسه الذى فيه ألم شديد على المريض ، وأنه يحتاج إلى متخصص فى هذا المجال حتى يمارس العلاج بقدره وفى مكانه المخصوص حتى لا يأتى العلاج بنتيجة عكسية رغم ما فيه من ألم للمريض . . وأن حث الرسول ﷺ ثم نهيه عنه تارة أخرى ، يدعو كل مسلم إلى عدم اللجؤ إلى مثل هذا العلاج إلا بعد اللجؤ إلى الوسائل العلاجية الأخرى ، وإن رأى المتخصص فى هذا المجال أن الأمر يحتاج الى الكى فيمارسه المتخصص بالقدر والمكان المناسب .

وقد ذكر الكرمانى فى شرحه للحديث الذى تضمن أن هناك سبعون يدخلون الجنة بغير حساب وهم الذين لا يسترقون ولا يكتوون فقال[3]:

كوى رسول الله ﷺ سعد بن معاذ وغيره وهو أول من يدخل الجنة ، قلت : غرضه لا يعتقدون أن الشفاء من الكى على ما كان اعتقاد الكفار والتوكل هو تفويض الأمر إلى الله تعالى فى ترتيب المسببات على الأسباب ، وقيل ، هو ترك السعى فيما لا تسعه قدرة البشر فالشخص يأتى بالسبب ولا يرى أن المسبب منه بل يعتقد أن ترتب المسبب

(١) يقصد قوله ﷺ : إن كان في شيء من أدويتكم خير " .

(٢) البخاري شرح الكرماني ج ٢٠ ص ٢٠٦ .

(٣) البخارى شرح الكرمانى ج ٢٠ ص ٢١٩ فى الهامش .

عليه بخلق الله تعالى وإيجاده ولهذا قال ﷺ " : اعقلها وتوكل " ولبس يوم أحد درعين مع كونه من التوكل بمحل لم يبلغه أحد من خلق الله تعالى وقال تعالى ﴿ فإذا عزمت فتوكل ﴾ وحرم ترك السعى فى طلب ما يغذى به حتى لو قعد وانتظر طعاما ينزل عليه من السماء حتى هلك كان قاتلا لنفسه وحاصله أن الذين يتركون أعمال الجاهلية وعقائد أهل الاسلام ويعملون أعمالهم فان قلت : كل المؤمنين كذلك . قلت : هذا ليس إلا للكاملين منهم ومن تركها رضى بقضائه ، وملخصه أن هؤلاء كمل تفويضهم إلى الله تعالى ، ولا شك فى فضيلة هذه الحالة ورجحان صاحبها . فإن قلت : فهم لا يختصون بهذا العدد . قلت الله أعلم بذلك مع احتمال أن يراد بالسبعين التكثير . . . وقال الكرمانى فى موضع آخر ، فى شرحه لحديث الرسول ﷺ ": ومــا أحب أن أكتوى " :

(فيه إشارة إلى تأخير العلاج بالكى حتى لا يضطر إليه لما فيه من استعجال الألم الشديد وقد كوى رسول الله ﷺ أبى بن كعب يوم الأحزاب وسعد بن معاذ) [١] .

وفى الحديث التالى الذى رواه ابن ماجه ، ما يؤكد هذه المعانى التى سبق أن ذكرناها ، فعن عبد الرحمن بن سعد بن زراره الأنصارى أن سعد بن زرارة أخذه وجع فى حلقه ، يقال له الذبحة [٢] فقال النبى ﷺ ": لأبلغنّ أو لأبلين فى أبى أمامة عذرا " [٣] فكواه بيده فمات . فقال النبى ﷺ ": ميتة سوء لليهود " [٤] ! يقولون : أفلا دفع عن صاحبه ! وما أملك له ولا لنفسى شيئا " .

جـ ـ دواء العُذرة وذات الجنب:

عن أم قيس بنت محصن ؛ قالت [٥] : دخلت بابن لي على النبي ﷺ وقد أعلقت عليه من العذرة [٦] . فقال " علام تدغرن [٧] أولادكن بهذا العلاق ؟ عليكم بهذا العود

(١) المرجع السابق ج ٢٠ ص ٢٠٧ فى الهامش .

(٢) الذبحة : وجع يعرض فى الحلق من الدم وقيل : هى قرحة تظهر فيه فينسد معها وينقطع النفس ، فَتَقْتُل .

(٣) أى والله لأبالغن فى علاجه أقصى درجات العلاج أو اختبرن حاله فى العلاج ، وحاصله : أبالغ فى علاجه حتى أبلغ عذرا من جانبى بحيث لا يبقى لأحد فى ذلك موقع كلام ومقال .

(٤) دعاء على اليهود أن يموتوا ميتة السوء هذه لأنهم سيقولون . . . . الخ .

(٥) ابن ماجة ج٢ ص ١١٤٦ كتاب الطب ، فتح البارى ج ٢١ ص ٢٦٥ .

(٦) (أعلقت) الإعلاق معالجة عذرة الصبي . وهو وجع في حلقه وورم تدفعه أمه بأصبعها . وحقيقة أعلقت عنه أزلت العلوق عنه وهي الداهية .

(٧) (تدغرن) الدغر غمز الحلق بالأصبع . وذلك أن الصبي تأخذه العذرة ، وهي وجع يهيج في الحلق من الدم ، فتدخل المرأة فيه أصبعها فترفع بها ذلك الموضع وتكبسه .

الهندي . فإن فيه سبعة أشفية[1] . يسعط[2] به من العذرة ، ويلد[3] به من ذات الجنب[4] " .

عن زيد بن أرقم ؛ قال[5]: نعت رسول الله ﷺ من ذات الجنب ورسا[6] وقسطا[7] وزيتا ، يلد به .

عن أم قيس بنت محصن ؛ قالت[8]: قال رسول الله ﷺ": عليكم بالعود الهندي (يعني به الكست) فإن فيه سبعة أشفية . منها ذات الجنب " ، قال ابن سمعان في الحديث : فإن فيه شفاء من سبعة أدواء . منها ذات الجنب .

عن زيد بن أرقم أن النبي ﷺ كان ينعت الزيت والورس[9] من ذات الجنب قال قتادة : يلده ، ويلده من الجانب الذي يشتكيه[10] .

وقد جاء في فتح الباري ، في شرحه لحديث البخاري :

(وقد ذكر الأطباء من منافع القسط أنه يدر الطمث والبول ، ويقتل ديدان الأمعاء ، ويدفع السم ، ويسخن المعدة ويحرك شهوة الجماع ، ويذهب الكلف طلاء . وذكر بعض الشراح بأن علاج العود الهندي أو القسط لسبعة أشفية علمت بالوحي ، وما زاد عليها بالتجربة .

---

(١) (أشفية) جمع شفاء . والشفاء الدواء ، تسمية للسبب باسم المسبب .

(٢) (يسعط) السعوط الدواء يصب في الأنف . وأسعطه الدواء أدخله في أنفه .

(٣) (يلد) اللدود من الأدوية ما يسقاه المريض في أحد شقي الفم . ولديدا الفم جانباه .

(٤) (ذات الجنب) في النهاية : هي الدبيلة والدمل الكبيرة التي تظهر في باطن الجنب وتنفجر إلى داخل ، وقلما يسلم صاحبها . وذو الجنب الذي يشتكي جنبه بسبب الدبيلة . إلا أن ذو للمذكر وذات للمؤنث . وصارت ذات الجنب علما لها . وإن كانت في الأصل صفة مضافة ، وقيل : إن ذات الجنب اسم يقع على الشوصة وعلى السل وعلى كل مرض يضجعه على جنبه ، يختلف الدواء فيها .

(٥) ابن ماجة ج٢ ص ١١٤٨ كتاب الطب باب دواء ذات الجنب .

(٦) (ورسا) الورس نبت أصفر يكون باليمن تتخذ منه الغمرة للوجه .

(٧) (وقسطا) القسط : العود الهندي ، ويقال له أيضا : الكست .

(٨) المرجع السابق .

(٩) الورس : بوزن الفأس ، نبت أصفر يكون باليمن تتخذ منه الغمرة للوجه .

(١٠) الترمذي ج٤ ص ٤٠٧ ما جاء في دواء ذات الجنب .

رابعاً: العلاج الطبي النفسي

١. الإيمان بالله راحة النفسية

الإيمان بالله عز وجل ، وبالأنبياء والرسل وملائكته وكتبه المقدسة ، وما تضمنته دعوات الأنبياء والرسل والكتب السماوية من مبادئ ومثل سامية ، كالإيمان بالقضاء والقدر والجنة والنار ويوم الحساب ، والعمل على فعل الخيرات واجتناب الموبقات ، والصبر على الشدائد إلى غير ذلك مما تضمنه الدين الإسلامي الحنيف ، يريح النفس والقلب ، ويجعل الإنسان هادئ النفس مرتاح القلب ، واثقا في وجود الله عز وجل وعدله ورحمته مطمئنا بما يجيء به القضاء والقدر لأنه يعلم أن ذلك كله من الله ، وأنه لا يحدث في الوجود إلا ما سبق به قدر المعبود وسنشير فيما يلي إلى بعض الأمور التي يجب أن يتحلى بها المؤمن ، وتأثيرها في راحة نفسه واطمئنانها :

أ ـ الإيمان بالقضاء والقدر :

ـ عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ ":لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره ، حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه "(١).

ـ عن بن أبي خزامة عن أبيه أن رجلا أتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله أرأيت رقى نسترقيها ودواء نتداوى به تُقَاة تتقيها هل ترد من قدر الله شيئا ؟ فقال : " هي من قدر الله " (٢).

---

(١) الترمذي كتاب القدر باب ما جاء في الإيمان بالقدر خير وشره ج٤ ص ٤٥١ .

(٢) المرجع السابق ج٤ ص ٤٥٣ باب لا تَرُدُّ الرقى ولا الدواء من قدر الله شيئا .

ـ عن سعد قال : قال رسول الله ﷺ " : من سعادة ابن آدم رضاه بما قضى الله له ، ومن شقاوة ابن آدم تركه استخارة الله ، ومن شقاوة ابن آدم سخطه بما قضى الله له " [1] .

فهذه الأحاديث وغيرها كثير في مختلف كتب السنة ، تبين أن المؤمن يرضى بما قسمه الله له ، لأن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه ويستريح نفسيا للخير الذي يسوقه الله إليه ، فيشكر الله ويحمده ويصبر على ما يصيبه من شر ، انتظارا لفرج الله وهو القائل ﴿ **فإن مع العسر يسرا . إن مع العسر يسرا** ﴾ [2] الشرح : ٥ ، ٦ .

ب ـ حب الفأل الحسن وكره التشاؤم :

روى ابن ماجة أحاديث عديدة في الفأل والطيرة منها [3] :

ـ عن أبي هريرة ؛ قال : كان النبي ﷺ يُعجبُه الفأل الحسن ، ويكره الطيرة .

ـ وعن أنس قال : قال النبي ﷺ ":لا عدوى ولا طيرة ، وأحب الفأل الصالح " .

فالفأل الحسن أي (التفاؤل هي مثل أن يكون الرجل مريض ، فيتفاءل بما يسمع من كلام . فيسمع آخر يقول : يا سالم . أو يكون طالب ضالة فيسمع آخر يقول : يا واجد . فيقع في ظنه أنه يبرأ من مرضه ويجد ضالته " [4]، فهذا مسموح به في الإسلام ، لأنه يدعو إلى الأمل في الشفاء أو في قضاء الحاجة وهو ما يبعث في النفس الراحة والإنشراح ، أما التشاؤم فلا يحبه الرسول ﷺ ، لأنه يبعث إلى الإنقباض وتوجس حدوث مكروه ، كمن يخرج من بيته لقضاء حاجة له ، فيلقى بمجرد خروجه مثلا صاحب عاهة أو طائرا يتجه نحو الشمال إلى غير ذلك من الأمور التي لا علاقة لها بموضوعه الذي يأمل إنهاؤه . وقد بلغ تحذير الرسول ﷺ من الطِّيَرةُ (التشاؤم) أنه اعتبرها شركا ، فعن عبد الله بن مسعود عن رسول الله قال : " الطيرة شرك (ثلاثا) وما منا إلا ، ولكن يذهبه بالتوكل " [5]، أي أن الإنسان قد يكون به شئ من الطيرة ،

---

(١) المرجع السابق ج ٤ ص ٤٥٥ باب ما جاء في الرضا بالقدر .

(٢) سورة الشرح الآية ٥ ، ٦ .

(٣) ابن ماجة كتاب الطب باب من كان يعجبه الفأل ويكره الطيرة ج٢ ص ١١٧٠ .

(٤) هامش ابن ماجة المرجع السابق .

(٥) أبو داود كتاب الطب باب في الطيرة ج٤ ص ١٧ .

ولكن بتوكله على الله سبحانه وتعالى، يطرح ذلك جانبا ، ولا يتتابه شئ من القلق لما قد يراه يدعو إلى الطيرة، ويستمر في طريقه داعيا الله بالتوفيق مطمئنا إلى أن الأمور كلها تجري فقط بمقادير قدرها الله سبحانه وتعالى.

جـ ـ التوكل على الله :

قال تعالى في محكم كتابه : ﴿ **ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شئ قدرا** ﴾ [1] الطلاق : ٣ .

وعن عبد الله بن عباس أنه ركب خلف رسول الله ﷺ يوما فقال له رسول الله ﷺ ":يا غلام إني معلمك كلمات : إحفظ الله يحفظك إحفظ الله تجده تجاهك ، وإذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشئ قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشئ قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف " رواه الترمذي .

وعن عمران بن حصين قال قال رسول الله ﷺ:

"من انقطع إلى الله كفاه الله كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع إلى الدنيا وكله إليها " [2] .

وروى ابن كثير[3] أنه " جاء مالك الأشجعي إلى رسول الله ﷺ فقال له أسر ابني عوف فقال له رسول الله ﷺ " أرسل إليه أن رسول الله يأمرك أن تكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله " وكانوا قد شدوه بالقد فسقط القد عنه فخرج فإذا هو بناقة لهم فركبها وأقبل فإذا بسرح القوم الذين كانوا قد شدوه فصاح بهم فاتبع أولها آخرها فلم يفجأ أبويه إلا وهو ينادي بالباب فقال أبوه : عوف ورب الكعبة . فقالت أمه : واسوأتاه وعوف كيف يقدم لما هو فيه من القد فاستبقا الباب والخادم فإذا عوف قد ملأ الفناء إبلا فقص على أبيه أمره وأمر الإبل فقال أبوه قفا حتى آتي رسول الله ﷺ فأسأله عنها فأتى رسول الله ﷺ فأخبره بخبر عوف وخبر الإبل فقال له رسول الله ﷺ" اصنع بها ماأحببت وما كنت صانعا بمالك " .

---

(١) سورة الطلاق الآية ٣ .

(٢) ابن كثير ج٤ ص ٣٨٠ .

(٣)المرجع السابق .

ومن هذا الحديث الأخير ، يتضح أن مالك الأشجعى وزوجته كانا فى هم وغم بسبب أسر إبنهما ، وكذلك الإبن كان فى ذل الأسر ومهانته ، محبوسة حريته ، تساء معاملته ، وهو أسير بعيدا عن أهله وقرابته ، فكان إكثاره من قول " لاحول ولا قوة إلا بالله " خلاصا له من الهم والحزن والأسر وانفراجا لأحواله وراحة لوالديه .

أما حديث ابن عباس ، فهو مشهور ، ويتجلى فيه التوكل على الله بأسمى معانيه ، وما يتبع ذلك من الراحة النفسية والاطمئنان ، ثقة فى عدل الله ورحمته التى وسعت كل شئ .

د ـ تقديـــم المشيئـــة :

قال تعالى : ﴿ ولا تقولن لشئ إنى فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله واذكر ربك إذا نسيت وقل عسى أن يهدنى ربى لأقرب من هذا رشدا ﴾ (١) الكهف : ٢٣- ٢٤ .

قال المفسرون إن القوم لما سألوا النبى ﷺ عن مسائل ، قال : " أجيبكم عنها غدا ، ولم يقل إن شاء الله ، فاحتبس الوحى خمسة عشر يوما ، وفى رواية أخرى أربعين يوما ثم نزلت هذه الآية " (٢).

فالإنسان عندما يضيف عبارة المشيئة إلى كلامه ، يقر فيه بقدرة الله الغالبة ، وإرادة العبد المغلوبة ، ويدفع عن نفسه الكذب فيما إذا لم يتحقق ماوعد به رغما عنه ، لظروف خارجة عن إرادته .

وهذا كله يمنح المتكلم ثقة وإطمئنانا فيما يقوله ، وأنه يعد الغير بما ينوى أن يفعله ويضيف إليه المشيئة ، ويبذل أقصى جهده فى تحقيق ذلك ، تاركا الأمر لله سبحانه وتعالى ، لتحقيق الشئ من عدمه ، راضيا ومطمئنا إلى قضاء الله وقدره ، والنتيجة التى تحدث ، بإرادة الله الغالبة .

٢ـ عدم الغضب

الغضب أو الغيظ أو الانفعال ، حالة نفسية جسمية تصيب الإنسان نتيجة عدم رضاه

---

(١) سورة الكهف الآية ٢٣ ـ ٢٤ .
(٢) التفسير الكبير للفخر الرازى ج ٢١ ص ١٠٨ .

عن قول أو فعل حدث أمامه أو سمع عنه ، والرسول صلوات الله وسلامه عليه كان يغضب ولا يغضب لنفسه ، وهو ﷺ القدوة الحسنة لنا ، وقد وردت عنه أحاديث نبوية كثيرة تنهى عن الغضب ، وتدعو الصحابة رضوان الله عليهم إلى عدم الغضب وتنصحهم بما يفعلونه لإذهاب غضبهم ، وذلك أحيانا بالترغيب لما فى ذلك من الثواب والجزاء ، وأحيانا بالترهيب بأن الغضب مآله شر لأنه من الشيطان ، ومن ذلك :

١- النبى ﷺ يأمر بعدم الغضب ويكرر ذلك مرارا وتكرارا للتأثير عليهم ، والتأكيد على أهمية ما يأمر به .

- فعن أبى هريرة قال : جاء رجل الى النبى ﷺ قال : عَلِّمنى شيئا ولا تكثر علىَّ لَعَلِّى أعيَهُ قال : " لا تَغْضَبْ " فردَّدَ ذلك مرارا كُلٌّ ذلك يقول لا تغضب [١] .

- كما أمر الرسول ﷺ أحد الصحابة بقوله : " أقبل على صلاتك ولا تغضب " [٢] .

٢- النبى ﷺ يرغب الصحابة ومن بعدهم المسلمين فى كل مكان وحين إلى يوم الدين بحسن الأجر والثواب من الله سبحانه وتعالى فى الدنيا والآخرة ، ومن ذلك :

- قال ﷺ ": من كَظَمَ غَيْظا وهو يستطيعُ أن يُنَفِّذَهُ دَعَاهُ الله يوم القيامة على رءوس الخلائق حتى يُخَيِّرَهُ فى أىِّ الحُور شاء " [٣] .

- قال ﷺ ": ما يكونُ عندى من خير فلن أدَّخرهُ عنكم ومن يَستَغْنِ يُغنه الله ، ومن يَستَعفف يُعفَّهُ اللهُ ، ومن يَتَصبَّر يُصبِّرهُ اللهَ ، وما أعطى أحد شيئا هو خيرَ وأوسع من الصَّبرِ " [٤] .

- عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال :

"ما نَقَصَتْ صدقةُ من مالِ . وما زاد الله رَجُلا بعفوٍ إلا عزاً أوما تواضع أحدُ لله إلا رَفَعَهُ اللهُ " [٥] .

٣- ينصح النبي ﷺ من يجد فى نفسه شيئا من الغضب أن يدعو الله عز وجل أو أن

---

(١) رواه البخارى فى كتاب الأدب ، باب الحذر من الغضب ، وموطأ مالك فى حسن الخلق ، أحمد (المعجم ج٤ ص ٥٢٥) ، (الترمذى كتاب البر والصلة باب ما جاء فى كثرة الغضب ج٤ ص ٣٧١) .

(٢) رواه كل من أبى داود والترمذى فى كتاب الصلاة (المعجم ج٤ ص ٥٢٥) .

(٣) الكتاب السابق باب فى كظم الغيظ ج٤ ص ٣٧٢ ، أبو داود ج٤ ص ٢٤٨ باب من كظم غيظا .

(٤) الترمذى كتاب البر والصلة باب ما جاء فى الصبر ج٤ ص ٣٧٣ ، ٣٧٤ .

(٥) الترمذى كتاب البر والصلة باب ما جاء فى التواضع ج٤ ص ٣٧٦ .

يغير هيئَتَهُ أو يتوضأ ، الى غير ذلك من الأمور التى تساعد المسلم على إذهاب غيظه ودعوته إلى هدوئه وسكينته ، ومن ذلك :

– عن معاذ بن جبل ، قال : استبَّ رجلان عند النبى ﷺ ، فغضب أحدهما غضبا شديدا حتى خُيِّلَ إلى أن أنفه يتمزَّعُ (أى يتقطع ويتشقق) من شدة غضبه ، فقال النبي ﷺ ": إنى لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد من الغضب " ، فقال : ما هى يا رسول الله ؟ قال : يقول : " اللهم إنى أعوذ بك من الشيطان الرجيم " (١).

وقد جاء فى فتح البارى ، عند شرح هذا الحديث ما يلى :

(قوله " اذهب " هو خطاب من الرجل للرجل الذى أمره بالتعوذ أى إمض فى شغلك ، وأخلق بهذا المأمور أن يكون كافرا أو منافقا أو كان غلب عليه الغضب حَتى أخرجه عن الاعتدال بحيث زجر الناصح الذى دله على ما يزيل عنه ما كان به من وهج الغضب بهذا الجواب السئ ، وقيل إنه من جفاة الأعراب ، وظن أنه لا يستعيذ من الشيطان إلا من به جنون ، ولم يعلم أن الغضب نوع من شر الشيطان ، ولهذا يخرج به عن صورته ويزين إفساد ماله كتقطيع ثوبه وكسر آنيته أو الإقدام على من أغضبه ونحو ذلك مما يتعاطاه من يخرج عن الاعتدال ، وقد أخرج أبو داوود من حديث عطيه السعدى رفعه : " إن الغضب من الشيطان ") .

– عن أبى ذر ، قال : إن رسول الله ﷺ قال لنا : " إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس ، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع " (٢).

– وقوله ﷺ ": إذا غضب أحدكم فليسكت " (٣).

ويرغب النبى صلوات الله وسلامه عليه المسلمين ، فى أن يكونوا أقوياء حقا وصدقا بأن يملكوا أنفسهم وقت الغضب ، ومن ذلك :

– عن الحرث بن سويد ، عن عبد الله ، قال : قال رسول الله ﷺ " : ما تَعُدُّونَ الصُّرَعَةَ فيكم ؟ " قالوا : الذى لا يصرعه الرجال ، قال : " لا ، ولكنه الذى يملك نفسه عند الغضب (٤).

---

(١) فتح البارى ج ٢٢ص ٢٥٧ ، رواه أبو داود ج٤ ص ٢٤٨ ، ٢٤٩ باب ما يقال عند الغضب حديث رقم (٤٧٨٠)، ورواه الترمذى فى باب الدعوات (المعجم ج٤ص ٥٢٥) .

(٢) أبو داود ج٤ ص ٢٤٩ باب ما يقال عند الغضب حديث رقم (٤٧٨٢) ورواه أحمد (المعجم ج ٤ص ٥٢٦) .

(٣) رواه أحمد ١/ ٢٣٩ (المعجم ج٤ص٥٢٥) .

(٤) رواه البخارى فى باب الأدب ، مسلم فى باب البر ، وموطأ مالك فى باب حسن الخلق (المعجم ج٤ ص٥٢٥)، أبى داود ج٤ص ٢٤٨ باب من كظم غيظا .

٥- النبى ﷺ يحذر المسلمين من الغضب لأنه من الشيطان وأنه يجمع الشر كله ، ومن ذلك :

- قوله ﷺ ": إن الغضب من الشيطان " [١].

- قوله ﷺ ": فإذا الغضب يجمع الشر كله "[٢].

٦- ينهى النبى ﷺ عن الحكم أو القضاء بين الناس وقت الغضب ، حتى تصدر الأحكام معتدلة دون شطط هنا أو هناك ؛ بل إن الهدوء ومراجعة النفس قد يدعوان إلى العفو ، والفصل فى مواطن الخلاف بروح السماحة والمحبة ، ومن ذلك :

- قول الرسول ﷺ لأحد الصحابة :

"لا تحكم بين اثنين وأنت غضبان " [٣].

"لا ينبغى للحاكم (للقاضى) أن يحكم بين اثنين وهو غضبان " [٤].

٧- يستعيذ النبى ﷺ من غضب الله ، مما يُشعر أن غضب الله عظيم ، وأننا لو تعاملنا مع الناس بالعفو لا بالغضب ، مدعاة إلى أن يعاملنا الله عز وجل بالمعاملة نفسها ومن ذلك :

- قوله ﷺ ": أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وشر عقابه . . . " [٥].

- قوله ﷺ ": اللهم لا تقتلنا بغضبك " [٦].

كما جاء أيضا فى فتح البارى عن الغضب وآثاره السيئة وعواقبه ما يلى[٧] :

فى رواية عثمان بن أبى شيبة " قال : لا تغضب ، ثلاث مرات " وفيها بيان عدد المرار ، وقد تقدم حديث أنس : أنه ﷺ كان يعيد الكلمة ثلاثا لتفهم عنه ، وأنه كان لا يراجع بعد ثلاث ، وزاد أحمد وابن حبان فى رواية عن رجل لم يسم قال : تفكرن فيما قال فإذا الغضب يجمع الشر كله .

---

(١) رواه أحمد ٤/ ٢٢٦ (المعجم ج٤ ص٢٥٢) . (٢) رواه أحمد ٥/ ٣٧٣ (المعجم ج٤ ص٥٢٥) .

(٣) رواه مسلم كتاب الأقضية ، النسائى فى كتاب القضاة (المعجم ج٤ ص ٥٢٦) .

(٤) رواه البخارى كتاب الأحكام ، ومسلم كتاب الأقضية ، الترمذى كتاب الأحكام ، النسائى كتاب القضاة ، وابن ماجه كتاب الأحكام ، وأحمد بن حنبل (المعجم ج٤ ص ٥٢٦) .

(٥) رواه أبو داود كتاب الطب ، الترمذى كتاب الدعوات ، موطأ مالك كتاب الشعر ، أحمد بن حنبل (المعجم ج٤ ص ٥٢٦) .

(٦) رواه الترمذى كتاب الدعوات / ٤٩ ، رواه أحمد بن حنبل / ١٠٠ (المعجم ج٤ ص ٥٢٦) .

(٧) ج٢٢ ص ٣٢١ ، ٣٢٢ .

قال الخطابى : معنى قوله : " لا تغضب " اجتنب أسباب الغضب ولا تتعرض لما يجلبه ، وأما نفس الغضب فلا يتأتى النهى عنه لأنه أمر طبيعى لا يزول من الجبلة .

وقال غيره : ما كان من قبيل الطبع الحيوانى لا يمكن دفعه فلا يدخل فى النهى لأنه من تكليف المحال وما كان من قبيل ما يكتسب بالرياضة فهو المراد ، وقيل معناه لا تغضب لأن أعظم ما ينشأ عنه الغضب الكبر لكونه يقع عند مخالفة أمر يريده فيحمله الكبر على الغضب ، فالذى يتواضع حتى يذهب عنه عزة النفس يسلم من شر الغضب وقبل معناه لاتفعل ما يأمرك به الغضب .

وقال ابن بطال : فى الحديث الأول : إن مجاهدة النفس أشد من مجاهدة العدو لأنه ﷺ جعل الذى يملك نفسه عند الغضب أعظم الناس قوة ، وقال غيره : لعل السائل كان غضوبا وكان النبى ﷺ يأمر كل أحد بما هو أولى به ، فلهذا اقتصر فى وصيته له على ترك الغضب .

وقال ابن التين : جمع ﷺ فى قوله لا تغضب خير الدنيا والآخرة، لأن الغضب يئول إلى التقاطع ومنه الرفق ، وربما آل إلى أن يؤذى المغضوب عليه فينتقص ذلك من الدين .

وقال البيضاوى : لعله لما رأى أن جميع المفاسد التى تعرض للإنسان إنما هى من شهوته ومن غضبه وكانت شهوته السائل مكسورة ، فلما سأل عما يحترز به عن القبائح نهاه عن الغضب الذى هو أعظم ضررا من غيره ، وأنه إذا ملك نفسه عند حصوله كان قد قهر أقوى أعدائه ، ويحتمل أن يكون من باب التنبيه بالأعلى على الأدنى لأن أعدى عدو للشخص شيطانه ونفسه ، والغضب إنما ينشأ عنهما ، فمن جاهدهما حتى يغلبهما مع ما فى ذلك من شدة المعالجة كان لقهر نفسه الشهوة أيضا أقوى .

وقال ابن حبان بعد أن أخرجه : أراد لا تعمل بعد الغضب شيئا مما نهيت عنه ، لا أنه نهاه عن شئ جبل عليه ولا حيلة له فى دفعه .

---

(١) الأوداج : ما أحاط بالعنق من العروق التي يقطعها الذابح .

وقال بعض العلماء : خلق الله الغضب من النار وجعله غريزة فى الإنسان فمهما قصد أو نوزع فى غرض ما ، اشتعلت نار الغضب وثارت حتى يحمر الوجه والعينان من الدم ، لأن البشرة تحكى لون ما وراءها ، وهذا إذا غضب على من دونه واستشعر القدرة عليه ، وإن كان ممن فوقه تولد منه انقباض الدم من ظاهر الجلد إلى جوف القلب فيصفر اللون حزنا ، وإن كان على النظير تردد الدم بين انقباض وانبساط فيحمر ويصفر ، ويترتب على الغضب تغير الظاهر والباطن كتغير اللون والرعدة فى الأطراف ، وخروج الأفعال عن غير ترتيب ، واستحالة الخلقة حتى لو رأى الغضبان نفسه فى حال غضبه لكان غضبه حياء من قبح صورته ، واستحالة خلقته ، هذا كله فى الظاهر ، وأما الباطن فقبحه أشد من الظاهر ، لأنه يولد الحقد فى القلب والحسد وإضمار السوء على اختلاف أنواعه ، بل أول شئ يقبح منه باطنه ، وتغير ظاهره ثمرة تغير باطنه ، وهذا كله أثره فى الجسد ، وأما أثره فى اللسان فانطلاقة بالشتم والفحش الذى يستحى منه العاقل ويندم قائله عند سكون الغضب ، ويظهر أثر الغضب أيضا فى الفعل بالضرب أو القتل وإن فات ذلك بهرب المغضوب عليه ، رجع إلى نفسه فيمزق ثوب نفسه ويلطم خده ، وربما سقط صريعا ، وربما أغمى عليه وربما كسر الآنية وضرب من ليس له فى ذلك جريمة .

ومن تأمل هذه المفاسد عرف مقدار ما اشتملت عليه هذه الكلمة اللطيفة من قوله ﷺ ": لا تغضب " من الحكمة واستجلاب المصلحة فى درء المفسدة مما يتعذر إحصاؤه والوقوف على نهايته .

وهذا كله فى الغضب الدنيوى لا الغضب الدينى ، ويعين على ترك الغضب استحضار ما جاء فى كظم الغيظ من الفضل ، وما جاء فى عاقبة ثمرة الغضب من الوعيد وأن يستعيذ من الشيطان ، وأن يتوضأ .

وقال الطوفى : أقوى الأشياء فى دفع الغضب استحضار التوحيد الحقيقى ، وهو أن لا فاعل إلا الله وكل فاعل غيره فهو آلة له ، فمن توجه إليه بمكروه من جهة غيره فاستحضر أن الله لو شاء لم يمكن ذلك الغير منه اندفع غضبه لأنه لو غضب والحالة هذه كان غضبه على ربه جل وعلا وهو خلاف العبودية .

---

(١) بتصرف من (من هدي النبوة) أ. د. أحمد عمر هاشم ، أ. د. عبدالمنعم السيد نجم ص ٢٠٧ .

قلت : وبهذا يظهر السر فى أمره ﷺ الذى غضب بأن يستعيذ من الشيطان ، لأنه إذا توجـه إلى الله فى تلك الحالة بالإستعاذة به من الشيطان أمكنه استحضار ما ذكر ، وإذا استمر الشيطان متلبسا متمكنا من الوسوسة لم يمكنه من استحضار شئ من ذلك .

ـ عن عبد الله بن مسعود ، قال : قال رسول الله ﷺ:

"لا يبلغني أحد من أصحابي عن أحد شيئا ، فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر " (١).

وإذا رجعنا إلى العلم الحديث وما تضمنه من عوامل الصحة البدنية والنفسية ، نجد أن الإنفعال والغضب يؤثر فى أجهزة الجسم كلها ، ويمكن أن يؤدى الى الإضرار بها ضررا بليغا .

علم النفس والطب الحديث يُعرف الانفعال والغضب بأنه حالة نفسية جسيمة ثائرة أى حالة شعورية خاصة تقترن باضطرابات فسيولوجية مختلفة تصيب الأجهزة الداخلية كالجهاز التنفسى والهضمى والدورى والعضلى والغدى وغيرها من الأجهزة التى يهيمن عليها الجهاز العصبى المستقل الذى يشرف على وظائف الأحشاء والغدد الصماء ، والانفعال يؤثر الى تزايد ضربات القلب وارتفاع ضغط الدم واتساع حدقة العين وانتصاب الشعر وازدياد نسبة السكر فى الدم ، الى غير ذلك من التأثيرات على مختلف أجهزة الجسم وفقا لما يلى :

١ – إحمرار وتورم وانتفاخ الأغشية الداخلية للمعدة مع زيادة فى انقباض عضلاتها وارتفاع فى نسبة افراز الحامض منها .

٢– تتغير قوة وسرعة ضربات القلب .

٣– تتغير وظائف الكليتين ونسبة الماء والأملاح فى الجسم .

٤ – تزداد كثافة الدم وتصبح قدرته على التجلط أكثر من الطبيعى .

---

(١) أبو داود ج ٤ ص ٢٦٥ كتاب الأدب باب في رفع الحديث من المجلس .

٥- تقلص العضلات وانقباض حدقة العين واتساع الأوعية الدموية .

٦- تغير حركات التنفس بالزيادة والنقص .

٧- تنشط الغدتان المجاورتان للكليتين (الكظرية) [١] .

ـ كظم الغيظ والعفو عن الناس:

وقد مدح الله سبحانه وتعالى الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس وكذلك المنفقين فى سبيل الله ووعدهم بالمغفرة منه عز وجل وبالجنة ، ووصفهم بصفة تتميز بمرتبة عالية فى الإيمان وهى التقوى وذلك فى قوله تعالى :

﴿ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين . الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين ﴾ [٢] آل عمران : ١٣٣ ، ١٣٤ .

وقد ذكر القرطبى عند تفسيره [٣] :

(الغيظ أهل الغضب ، وكثيرا ما يتلازمان ، لكن فُرقانُ ما بينهما أن الغيظ لا يظهر على الجوارح ، بخلاف الغضب فإنه يظهر فى الجوارح مع فعل ما ولا بد ؛ ولهذا جاء إسناد الغضب إلى الله تعالى إذ هو عبارة عن أفعاله فى المغضوب عليهم . وقد فسر بعضُ الناس الغيظ بالغضب ؛ وليس بجيد . . . والعفو عن الناس من أَجَلِّ ضروب فعل الخير؛ حيث يجوز للانسان أن يعفو حيث يتجه حقه . وكلٌّ من استحق عقوبة فتُرِكَت له فقد عفى عنه .

وروى عن ميمون بن مهران أن جاريته جاءت ذات يوم بصحيفة فيها مرقة حارة ، وعنده أضياف فَعثرت فصبت المرقة عليه ، فأراد ميمون أن يضربها ، فقالت الجارية :

---

(١) محاضرات فى الصحة النفسية : من ص ٧٨ الى ص ٨٥ بتصرف .

(٢) سورة آل عمران الآية ١٣٣ ، ١٣٤ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ج٤ ص ٢٠٧ .

يامولاى استعمل قول الله تعالى : ﴿ والكاظمين الغيظ ﴾ (١). قال لها : قد فعلت . فقالت : إعمل بما بعده ﴿والعافين عن الناس ﴾ (٢) فقال : قد عفوت عنك . فقالت الجارية : "والله يحب المحسنين" ، قال ميمون : قد أحسنت إليك فأنت حُرة لوجه الله تعالى .

وقال مقاتل بن حيان فى هذه الآية : بلغنا أن رسول الله ﷺ قال عند ذلك : " إن هؤلاء من أمتى قليل إلا من عصمه الله وقد كانوا كثيرا فى الأمم التى مضت " فمدح الله تعالى الذين يغفرون عند الغضب وأثنى عليهم فقال " وإذا ما غضبوا هم يغفرون " وأثنى على الكاظمين الغيظ بقوله ﴿ العافين عن الناس ﴾ ، وأخبر أنه يحبهم بإحسانهم فى ذلك .

وروى أنس أن رجلا قال : يا رسول الله ، ما أشد من كل شئ ؟ قال : " غضب الله " . قال فما ينجي من غضب الله ؟ قال : " لا تغضب ") .

ونود أن نذكر فى نهاية هذا المبحث ، أنه وإن كان الله ورسوله يأمراننا بعدم الغضب والانفعال محافظة على صحتنا وابتغاء مرضات الله بالعفو عن الناس وحسن معاملتهم إلا أن الرسول ﷺ ، كان يغضب إذا انتهكت حرمات الله ، وذلك انتصار للشرع والدين الاسلامى الحنيف ، وفى هذا تعليم لنا واقتداء به ﷺ إذ أنه ليس من المنطقى ولا من الشرع أن يرى المؤمن انتهاكا لحرمات الله ، ثم يتجاوزها بدون أى انفعال أو رد فعل بيده أو بلسانه أو بقلبه وهذا أضعف الايمان ، وفقا لما علمنا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ذلك ما رواه ابى مسعود عقبة بن عمر البدرى رضى الله عنه ، قال :

(جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال إنى لأتأخر عن صلاة الصبح من أجل فلان مما يطيل بنا ، فما رأيت النبى ﷺ غضب فى موعظة قط أشد مما غضب يومئذ فقال : "يا أيها الناس إن منكم منفرين فأيكم أمَّ الناس فليوجز فإن من ورائه الكبير والصغير وذا الحاجة") متفق عليه(٣).

وإذا عدنا إلى موقف العلم الحديث من الغضب ، نجده يؤكد أضراره العديدة على صحة الإنسان ، ويُقدم كثيرا من النصائح لتفادي الغضب ، ونشير إلى ذلك فيما يلي : (٤).

(١ ، ٢) سورة آل عمران الآية ١٣٤ .

(٣) رياض الصالحين باب الغضب إذا انتهكت حرمات الشرع والإنتصار لدين الله تعالى ص ١٧٠ .

(٤) مجلة طبب نفسك ١/ ١٥ كانون أول (ديسمبر) ١٩٨٣ العدد ٣٣ ص٢٢ إلى ص ٢٦ بتصرف .

« ولا يفيد الغضب الإنسان مطلقا، بل يحول سعادته إلى شقاء، ويفقده الشعور بأهميته في الحياة، والغضب نوع من الإنفلونزا النفسية يصيب الإنسان ويضعفه، شأنه في ذلك شأن أي مرض عضوي آخر».

والغضب اختيار وتعوُّد في نفس الوقت، فأنت الذي تختار الاستسلام للغضب، وهو رد فعل سريع لحالة الفشل أو الإحباط، حيث يسلك الإنسان سلوكا هو نفسه لا يرضى عنه، ومن الناحية النفسية فالغضب ليست له أية نتائج أو آثار إيجابية مفيدة، بل هو وسيلة إضعاف ويمكن أن يؤدي إلى ارتفاع شديد في ضغط الدم أو الإصابة بالقرحة أو ازدياد سرعة ضربات القلب أو الأرق أو الإرهاق أو بعض أمراض القلب بالإضافة إلى أن الانفعال والغضب يدمران علاقات الود والحب بين الأفراد، وربما يقودان الإنسان إلى الوقوع في أخطاء جسيمة.

وفيما يلي نقدم بعض الأساليب الفعالة للتغلب على الغضب:

• عليك أولا أن تحاصر أفكارك في وقت الغضب وتذكر جيدا أن هذه الأفكار هي التي دفعتك أو قادتك إلى نتائج مؤسفة ورجحت كفة الغضب، فالوعي والإدراك هما سيدا الموقف.

• حاول أن ترجئ الغضب أو تؤجله لعدة لحظات لمدة ٥٠ ثانية مثلا، ثم استمر فيما أنت قائم به من عمل، ثم حاول أن ترجئه لمدة ٣٠ ثانية أخرى، لأن الفترات الفاصلة بين كل موجة وأخرى، هو في حد ذاته بداية الضبط والتحكم، فالإرجاء هو أول خطوة للتخلص من الغضب وعدم الاستسلام له.

•عندما تستخدم الغضب كوسيلة لتعليم الصغار مثلا، حاول ان تتظاهر به ولا تعشه ويمكنك أن ترفع صوتك أثناء الحديث مع إظهار العبوس والتجهم الشديد.

• حول أثناء لحظات الغضب أن تتذكر أن كل إنسان له حرية اختيار طريقه وسلوكه، فأعط لغيرك الحق في الاختيار كما تعطيه لنفسك.

• أطلب المساعدة من شخص ترتاح إليه، بأن يصف لك حالتك أثناء الغضب، وقارن بين حالات غضب كل منهم وبين حالتك الخاصة، فقد تكتشف مساوئ الاندفاع والتهور.

• لا تكن عبدا دائما للعاطفة ولا تستسلم أمام أية ظروف أو مواقف تدفع إلى الإحباط أو الفشل ولكن عليك أن تتحدى تلك الظروف أو المواقف واعمل على

تغييرها، فالغضب أسلوب من أساليب الشكوى والتذمر كثيرا ما يلجأ إليه العاجزون. "

وأضيف إلى ذلك: تذكر أنك بكبح جماح غضبك تقتدي برسول الله ﷺ الذي كان يتصف بالحلم والعفو ولا يغضب لنفسه بل فقط إذا انتهكت حرمات الله.. وتذكر أن في طاعتك واقتدائك برسول الله ﷺ، حب له ﷺ وحب لله سبحانه وتعالى ... وبالتالي حبهما لك ومرضاتهما ونوال الصحة والعافية في الدنيا، والخير الكثير في الآخرة إن شاء الله تعالى.

ويتأسى سلفنا الصالح بالرسول ﷺ حيث يقول الإمام الشافعي رضى الله عنه:

قالوا: سكت وقد خوصمت قلت لهم ... إن الجواب لباب الشر مفتاح

فالعفو عن جاهل أو أحمق أدب ... نعم وفيه لصون العرض إصلاح

إن الأسُود لتُخشى وهي صامتة ... والكلب يُحثَى ويُرْمَى وهو نباح

مما يؤكد لنا أن الرسول ﷺ عندما أمرنا منذ أكثر من ١٤٠٠ عاما، بعدم الغضب، إنما يأمرنا بما ينفعنا ويحافظ لنا على صحتنا، حتى نكون أعضاء عاملين صالحين فى المجتمع، نعمل على تحقيق الخير ورفعة الإسلام والمسلمين.

٣ـ الحسد والوقاية منه

أ ـ الحسد في القرآن الكريم:

الحسد المذموم، مرض نفسى، يصيب صاحبه بالضرر والألم النفسى كما يصيب الغير (المحسود) كذلك بالأضرار البدنية والنفسية، وقد جاء ذكر الحسد والحاسدين فى كثير من آيات القرآن الكريم وفى الأحاديث النبوية الشريفة، وقد ذكر القرطبي[١] في تفسيره لقوله تعالى:

﴿ أم يحسدون الناس على ما ءاتاهم الله من فضله ... ﴾[١] النساء: ٥٤.

"الحسد مذموم وصاحبه مغموم وهو يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب"،

(١) الجامع لأحكام القرآن ج٥ ص ٢٥١.

(٢) سورة النساء الآية ٥٤.

رواه أنس عن النبى ﷺ ، وقال الحسن : ما رأيت ظالما أشبه بمظلوم من حاسد ؛ نفس دائم ، وحزن لازم ، وغبرة لا تنفد ، وقال عبد الله بن مسعود : لا تُعادوا نعم الله . قيل له : ومن يعادى نعم الله ؟ قال : الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله .

يقول الله تعالى فى بعض الكتب : الحسود عدو نعمتى متسخط لقضائى غير راض بقسمتى .

ولمنصور الفقيه :

ألا قل لمن ظل لى حاسدا ... أتدرى على من أسأت الأدب

أسأت على الله فى حكمه ... إذا أنت لم ترض لى ما وهب

ويقال : الحسد أول ذنب عُصى الله به فى السماء ، وأول ذنب عُصى به فى الأرض، فأما فى السماء فحسدُ إبليس لآدم ، وأما فى الأرض فحسد قابيل لهابيل .

ولقد أحسن من قال :

اصبر على حسد الحسو ... د فإن صبرك قاتله

فالنار تأكل بعضها ... إن لم تجد ما تأكله

فإبليس كان أول من سن الكفر ، وقابيل كان أول من سن القتل ، وإنما كان أصل ذلك كله الحسد .

كما ذكر القرطبى[1] بمناسبة تفسير قوله تعالى :

﴿ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا ﴾[2] البقرة : ١٠٩ .

فقال الحسد نوعان : مذموم ومحمود ، فالمذموم أن تتمنى زوال نعمة الله عن أخيك المسلم وسواء تمنيت مع ذلك أن تعود إليك أولا ... وإنما كان مذموما لأن فيه تسفيه الحق سبحانه ، وأنه أنعم على من لايستحق ، وأما المحمود فهو ما جاء فى صحيح الحديث من قوله ﷺ :

"لا حسد إلا فى اثنتين رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ،

---

(١) المرجع السابق ج٢ ص ٤٥٩ .

(٢) سورة البقرة الآية ١٠٩ .

ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار " وهذا الحديث معناه الغبطة ، وكذلك ترجم عليه البخارى باب الاغتباط فى العلم والحكمة . وحقيقتها : أن تتمنى أن يكون لك ما لأخيك المسلم من الخير والنعمة ولا يزول عنه خيره ، وقد يجوز أن يسمى هذا منافسة ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وفى ذلك فليتنافس المتنافسون ﴾[1] . . وقد روى أن النبى ﷺ قال : " المؤمن يغبط والمنافق يحسد " . . . وقال العلماء : الحاسد لا يغير إلا إذا ظهر حسده بفعل أو قول ، وذلك بأن يحمله الحسد على إيقاع الشر بالمحسود فيتبع مساوئه ويطلب عثراته .

وذكر القرطبى فى موضع آخر - عند تفسيره لسورة الفلق - عظم الحسد وكثرة ضرره ، وحذر الحاسد من خطورة حسده لأنه يبارز ربه من خمسة أوجه :

أحدهما : أنه أبغض كل نعمة ظهرت على غيره .

وثانيها : أنه ساخط لقسمة ربه ، كأنه يقول : لم قسمت هذه القسمة ؟

وثالثها : أنه ضادَّ فعل الله ، أى إن فضل الله يؤتيه من يشاء ، وهو يبخل بفضل الله .

ورابعها : أنه خذل أولياء الله أو يريد خذلانهم وزوال النعمة عنهم .

وخامسها : أنه أعان عدوالله إبليس .

وقيل : الحاسد لا ينال فى المجالس إلا ندامة ، ولا ينال عند الملائكة إلا لعنة وبغضاء ، ولا ينال فى الخلوة إلا جزعا وغما ، ولا ينال فى الآخرة إلا حزنا واحتراقا ، ولا ينال من الله إلا بعدا ومقتا .

وروى أن النبى ﷺ قال : " ثلاث لا يستجاب دعاؤهم آكل الحرام ومُكثر الغيبة ومن كان فى قلبه غل أو حسد للمسلمين " .

ب ـ الحسد فى السنة النبوية المطهرة :

- عن أبى هريرة ؛ قال : قال رسول الله ﷺ ": العين حق " [2].

---

(١) سورة الآية

(٢) ابن ماجة ج٢ ص ١١٥٩ كتاب الطب باب العين .

- عن عائشة ؛ قالت : قال رسول الله ﷺ ": استعيذوا بالله . فإن العين حق "[1].

- عن عبيد بن رفاعة الزرقى ؛ قال : قالت أسماء : يا رسول الله ! إن بنى جعفر تصيبهم العين فأسترقى لهم[2]؟ قال : " نعم . فلو كان شئ سابق القدر[3]سبقته العين "[4].

– عن عبد الله بن مسعود ؛ قال : قال رسول الله ﷺ:

"لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق ، ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها "[5].

– عن عمير ؛ أنه سمع جنادة بن أبي أمية قال : سمعت عبادة بن الصامت يقول : ((أتى جبرائيل عليه السلام ، النبي ﷺ ، وهو يوعك . فقال : بسم الله أرقيك . من كل شئ يؤذيك . من حسد حاسد ، ومن كل عين ، الله يشفيك))[6].

– عن ابن عباس قال : كان رسول الله ﷺ يُعَوذ الحسن والحسين يقول : أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ويقول هكذا كان إبراهيم يعوذ إسحق وإسماعيل عليهم السلام[7].

– عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ ":لو كان شئ سابق القدر لسبقته العين وإذا استغسلتم فاغسلوا[8].

وقد نهى الرسول ﷺ عن الحسد وحذر من أن ذلك يأكل الحسنات وفي هذه دعوة لنا للحرص على ذكر الله عند رؤية أي شئ يعجبنا سواء كان خاصا بنا أو بغيرنا فعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال :

"إياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب "[9].

---

(١) المرجع السابق .

(٢) فأسترقي لهم) في النهاية : الرُّقية العُوذة التي يرقى بها صاحب الآفة كالحمّى والصرع وغير ذلك من الآفات .

(٣) (سابق القدر) أي لسابقته العين فسبقته . ففي الكلام اختصار للظهور . والمقصود بيان قوة ضرر العين وشدته ، بحيث أنه لو كان هناك شئ آخر على خلاف مقتضى التقدير لكان ذلك الشئ هو العين .

(٤) رواه ابن ماجة ج٢ ص ١١٦٠ كتاب الطب باب العين .

(٥) المرجع السابق ج٢ ص ١٤٠٧ كتاب الزهد باب الحسد .

(٦) المرجع السابق ج٢ ص ١١٦٦ .

(٧) الترمذي كتاب الطب ج٤ ص ٣٩٦ .

(٨) المرجع السابق ص ٣٩٧ .

(٩) أبو داود ج٤ ص ٢٧٦ .

– عن أبى سعيد ، قال : كان رسول الله ﷺ يتعوذ من عين الجان ، ثم أعين النس فلما نزل المعوذتان ، أخذهما ، وترك ما سوى ذلك .

– عن عائشة ؛ أن النبى ﷺ أمرها أن تسترقى من العين .

– عن بريدة ؛ قال : قال رسول الله ﷺ ": لا رقية إلا من عين أو حمة " .

جـ ـ الوقاية من الحسد بالدعوات والتعوذات :

مما سبق يتبين أن الحسد ثابت بالقرآن الكريم وفى السنة النبوية الشريفة التى تضمنت الكثير من الحقائق ، عن هذا المرض الخفى الذى يصيب الحاسد والمحسود وقد دلت السنة النبوية على وسيلة علاجه وكيفية الوقاية منه ، وفقا لما سبق أن ذكرناه آنفا ، وغيره كثير مما لم نذكره ، ومن ذلك هذه الدعوات والتعوذات النبوية التى ذكرها ابن قيم الجوزية :

– "أعوذ بكلمات الله التامات التى لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق وذرأ وبرأ ومن شر ما ينزل من السماء ومن شر ما يعرج فيها ومن شر ما ذرأ فى الأرض ومن شر ما يخرج منها ومن شر فتن الليل والنهار ومن شر طوارق الليل والنهار إلا طارقا يطرق بخير يا رحمن .

– أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه ومن شر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون .

– اللهم إني أعوذ بوجهك الكريم وكلماتك التامات من شر ما أنت آخذ بناصيته اللهم أنت تكشف المأثم والمغرم اللهم إنه لا يهزم جندك ولا يخلف وعدك سبحانك وبحمدك .

– أعوذ بوجه الله العظيم الذي لا شئ أعظم منه وبكلماته التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر وأسماء الله الحسنى ما علمت منها وما لم أعلم من شر ما خلق وذرأ وبرأ ومن شر كل ذي شر لا أطيق شره ومن شر كل ذي شر أنت آخذ بناصيته إن ربي على صراط مستقيم .

– اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت عليك توكلت وأنت رب العرش العظيم ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن لا حول ولا قوة إلا بالله اعلم أن الله على كل شئ قدير وأن

الله قد أحاط بكل شئ علما وأحصى كل شئ عددا اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم .

- تحصنت بالله الذي لا إله إلا هو إلهي وإله كل شئ واعتصمت بربي ورب كل شئ وتوكلت على الحي الذي لا يموت واستدفعت الشر بلا حول ولا قوة إلا بالله حسبي الله ونعم الوكيل ، حسبي الرب من العباد ، حسبي الخالق من المخلوق ، حسبي الرازق من المرزوق ، حسبي الذي هو حسبي ، حسبي الذي بيده ملكوت كل شئ وهو يجير ولا يجار عليه حسبي الله وكفى ، سمع الله لمن دعا ليس وراء الله مرمى حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم .

ومن جرب هذه الدعوات والعوذ ، عرف مقدار منفعتها وشدة الحاجة إليها ، وهي تمنع وصول أثر العائن وتدفعه بعد وصوله بحسب قوة إيمان قائلها وقوة نفسه واستعداده وقوة توكله وثبات قلبه فإنها سلاح والسلاح بضاربه " .

وذكر الإمام النووي عدة دعوات نبوية تفيد في الحفظ من شر الإنس والجن ، منها[1] :

- عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال : " كان رسول الله ﷺ يتعوذ من الجان وعين الإنسان حتى نزلت المعوذتان ، فلما نزلتا أخذ بهما وترك ما سواهما " رواه الترمذي والنسائي وابن ماجة .

- وفي صحيح البخاري وحديث ابن عباس " أن النبي ﷺ كان يعوذ الحسن والحسين : أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة ، ويقول : إن أباكما كان يعوذ بهما إسماعيل وإسحاق " .

- في كتاب ابن السني عن سعيد بن حكيم رضى الله عنه قال : " كان النبي ﷺ إذا خاف أن يصيب شيئا بعينه قال : " اللهم بارك فيه ولا تضره " .

- وعن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : " من رأى شيئا فأعجبه فقال : ما شاء الله لا قوة إلا بالله لم يضره " .

- عن عامر بن ربيعه رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ":إذا رأى أحدكم من نفسه وماله ما يعجبه فليدع بالبركة " .

---

(١) الأذكار للنووي ص ٢٨٣ .

د ـ العلاج من العين بالاغتسال :

– عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف ؛ قال : مر عامر بن ربيعة بسهل بن حنيف ، وهو يغتسل . فقال : لم أر كاليوم ، ولا جلد مخبأة[1] . فما لبث أن لبط[2] به . فأتى به النبي ﷺ فقيل له : أدرك سهلا صريعا . قال (من تتهمون به ؟) قالوا : عامر بن ربيعة . قال : (علام يقتل أحدكم أخاه ؟ إذا رأى أحدكم من أخيه ما يعجبه ، فليدع له بالبركة) ثم دعا بماء . فأمر عامرا أن يتوضأ[3] . فغسل وجهه ويديه إلى المرفقين . وركبتيه وداخلة إزاره . وأمره أن يصب عليه .

قال سفيان : قال معمر عن الزهري : وأمره أن يكفأ الإناء من خلفه .

وذكر ابن قيم الجوزية عن فوائد الاغتسال للعلاج من العين ، فقال : (إن هذا مما لا يناله علاج الأطباء ولا ينتفع به من أنكره أو سخر منه أو شك فيه أو فعله مجربا لا يعتقد أن ذلك ينفعه ، وإذا كان في الطبيعة خواص لا تعرف الأطباء عللها البته بل هي عندهم خارجة عن قياس الطبيعة يفعل بالخاصة فما الذي ينكره زنادقتهم وجهلتهم من الخواص الشرعية هذا مع أن في المعالجة بهذا الاستغسال ما تشهد له العقول الصحية وتقر لمناسبته .

فاعلم أن ترياق سم الحية في لحمها وأن علاج تأثير النفس الغضبية في تسكين غضبها وإطفاء ناره بوضع يدك عليه والمسح عليه وتسكين غضبه وذلك بمنزلة رجل معه شعلة من نار وقد أراد أن يقذفك بها فصببت عليها الماء وهي في يده حتى طفأت ، ولذلك أمر العائن أن يقول اللهم بارك عليه ليدفع تلك الكيفية الخبيثة بالدعاء الذي هو إحسان إلى المعين فلى المعين فإن دواء الشيء بضده ولما كانت هذه الكيفية الخبيثة تظهر في المواضع الرقيقة من الجسد لأنها تتطلب النفوذ فلا تجد أرق من المغابن وداخلة الإزار ولا سيما إن كان كناية عن الفرج فإذا غسلت بالماء بطل تأثيرها وعملها .

---

(١) (ولا جلد مخبأة) في النهاية : المخبأة الجارية التي في خدرها لم تتزوج بعد . لأن صيانتها أبلغ ممن قد تزوجت .

(٢) (لبط به) أي صُرِع وسقط إلى الأرض .

(٣) فأمر عامر أن يتوضأ) قال النووي : وصف وضوء العين عند العلماء ، أن يؤتى بقدح ماء . ولا يوضع القدح على الأرض . فيأخذ العائن غرفته فيتمضمض . ثم يمجها في القدح . ثم يأخذ منه ماء يغسل وجهه ثم يأخذ بشماله ماء يغسل به كفه اليمنى ثم بيمينه ماء يغسل به مرفقه الأيسر . ولا يغسل ما بين المرفقين والكعبين . ثم يغسل قدمه اليمنى ثم اليسرى على الصفة المتقدمة . وكل ذلك في القدح . ثم داخلة إزاره ، وهو الطرف المتدلي الذي يلي حقوه الأيمن . فإذا استكمل هذا صبه من خلفه على رأسه .

وهذا المعنى لا يمكن تعليله ومعرفة وجهه . وليس في قوة العقل الإطلاع على أسرار جميع المعلومات . فلا يدفع هذا بأن لا يعقل معناه .

وأيضا فهذه المواضع للأرواح الشيطانية بها إختصاص والمقصود أن غسلها بالماء يطفىء تلك النارية ويذهب بتلك السمية وفيه أمر آخر وهو وصول أثر الغسل إلى القلب من أرق المواضع وأسرعها تنفيذا فيطفىء تلك النارية والسمية بالماء فيشفي المعين .

وهذا كما أن ذوات السموم إذا قتلت بعد لسعها خف أثر اللسعة عن الملسوع ووجد راحة فإن أنفسها تمد أذاها بعد لسعها وتوصله إلى الملسوع فإذا قتلت خف الألم وهذا مشاهد وإن كان من أسبابه فرح الملسوع واشتفاء نفسه بقتل عدوه فتقوى الطبيعة على الألم فتدفعه وبالجملة غسل العائن يذهب تلك الكيفية التي ظهرت منه وإنما ينفع غسله عند تكيف نفسه بتلك الكيفية فإن قيل فقد ظهرت مناسبة الغسل فما مناسبة صب ذلك الماء على المعين قيل هو في غاية المناسبة فإن ذلك الماء ماء طفىء به تلك النارية وأبطل تلك الكيفية الرديئة من الفاعل، فكما طفئت به النارية القائمة بالفاعل طفئت به وأبطلت عن المحل المتأثر بعد ملابسته للمؤثر العائن ، والماء الذي يطفأ به الحديد يدخل في أدوية عدة طبيعية ذكرها الأطباء فهذا الذي طفأ به نارية العائن لا يستنكر أن يدخل في دواء يناسب هذا الداء وبالجملة فطب الطبائعية وعلاجهم بالنسبة إلى العلاج النبوي كطب الطرقية بالنسبة إلى طبهم بل أقل فإن التفاوت الذي بينهم وبين الأنبياء أعظم وأعظم من التفاوت الذي بينهم وبين الطرقية بما لا يدرك الإنسان مقداره فقد ظهر لك عقد الإخاء الذي بين الحكمة والشرع وعدم مناقضة أحدهما للآخر والله يهدي من يشاء إلى الصواب ويفتح لمن أدام قرع باب التوفيق منه كل باب وله النعمة السابغة والحجة البالغة .

هـ ـ ستر المحاسن :

من وسائل الإحتراز من العين ستر المحاسن وبخاصة ممن يخاف عليه العين بما يردها، فقد ذكر البغوي في كتاب شرح السنة أن عثمان رضي الله عنه رأى صبيا مليحا فقال دسموا نونته لئلا تصيبه العين ، ثم قال في تفسيره ومعنى دسموا نونته أي سودوا نونته ، والنونة النقرة التي تكون في ذقن الصبي الصغير ، وقال الخطابي في غريب الحديث له عن عثمان أنه رأى صبيا تأخذه العين ، فقال دسموا نونته ، فقال أبو عمر : وسألت أحمد بن يحي عنه فقال : أراد بالنونة النقرة التي في ذقنه والتدسيم : التسويد أراد سودوا ذلك الموضع من ذقنه ليرد العين . قال ومن هذا حديث عائشة أن رسول الله ﷺ خطب ذات يوم وعلى رأسه عمامة دسماء أي سوداء أراد الإستشهاد على اللفظة ، ومن هذا أخذ الشاعر قوله :

ما كان أحوج ذا الكمال إلى ..... عيب يوقيه من العين

وقد روي أن الإمام الشافعي رضى الله عنه كان راميا ، فكان يصيب في تسعة من العشرة ، ويخطئ في العاشرة قصدا ، مخافة العين[1] .

فعلينا أن نقتدي بالصحابة رضوان الله عليهم الذين علموا أن العين حق كما قال سيدنا رسول الله ﷺ ونصحوا بمحاولة اجتنابها ، وهو ما فعله الإمام الشافعي رضى الله عنه وأرضاه ، ونحن أولى بالإمتثال والإقتداء ، ليحفظنا الله ويقينا شر أعين الناس وشر أعيننا بفضل الله سبحانه وتعالى.

٤ـ علاج الوجع بالرقية

من هديه ﷺ أنه كان يعالج بعض الأوجاع بالرقى التي تشتمل على الدعاء إلى الله سبحانه وتعالى ، بشفاء المريض ، والتوسل إليه بجوامع الكلم التي إن صادفت قوة إيمان واعتقاد القارئ مع صلاحية المتلقي ، جاء الشفاء بإذن الله تعالى ، استجابة لهذا الدعاء ، مصداقا لقوله تعالى : ﴿ وقال ربكم ادعوني أستجب لكم ﴾[2] .

وقد رخص ﷺ في الرقى ، ومن ذلك ما رواه ابن ماجة [3] :

– عن بُريدة ؛ قال : قال رسول الله ﷺ ":لا رقية إلا من عين أو حمة [4]" .

– عن جابر ؛ قال : كان أهل بيت من الأنصار ، يرقون من الحمة وكان رسول الله ﷺ قد نهى عن الرقى . فأتوه فقالوا : يا رسول الله إنك قد نهيت عن الرقى ، وإنا نرقي من الحمة . فقال لهم : " أعرضوا عليَّ " فعرضوها عليه . فقال " لا بأس بهذه . هذه مواثيق " .

– عن عائشة ؛ قالت : رخص رسول الله ﷺ فى الرقية من الحية والعقرب [5] .

– عن أبى هريرة ؛ قال : لدغت عقرب رجلا فلم ينم ليلته ، فقيل للنبى ﷺ إن

---

(١) حاشية الباجوري على ابن قاسم ج١ ص ٣٠٦ دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه .

(٢) سورة الآية .

(٣) ج٢ من ص ١١٦١ إلى ص ١١٦٥ كتاب الطب .

(٤) الحمة : السم . الإبرة التي تضرب بها العقرب ونحوها .

((٥) هذا الحديث رواه البخاري عن السيدة عائشة بلفظ أنها قالت (رخص النبي ﷺ الرقية من كل ذي حمة) .

فلانا لدغته عقرب فلم ينم ليلته ، فقال : " أما إنه لو قال ، حين أمسى : أعوذ بكلمات الله التامات[1] من شر ما خلق ، ما ضره لدغ عقرب حتى يصبح " .

– عن عائشة ؛ قالت : كان رسول الله ﷺ ، إذا أتى المريض فدعا له ، وقال : "أذهب البَاسْ . ربَّ البَاسْ . واشف انت الشافى . لا شفاء إلا شفاؤك . شفاء لا يغادر سقَماً " ، رواه أيضا أبو داود ج٤ ص ١٠ .

– وعن عائشة ، أن النبى ﷺ كان ، مما يقول للمريض ببُزَاقه بإصبعه[2] :

"بسم الله . تربة أرضنا . بريقة بعضنا . ليشفى سقيمنا . بإذن ربِّنا " .

– عن عثمان بن أبى العاص الثقفى ؛ أنه قال : قدمت على النبى ﷺ وبى وجع قد كاد يبطلنى . فقال لى النبى ﷺ ": اجعل يدك اليمنى عليه وقل : بسم الله . أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر[3] ، سبع مرات " فقلت ذلك . فشفانى الله . ورواه أبو داود ج٤ ص ١٢ .

عن أبى سعيد ؛ أن جبرائيل أتى النبى ﷺ فقال : يا محمد اشتكيت؟ قال " نعم " قال : بسم الله أرقيك . من كل شئ يؤذيك . من شر كل نفس أو عين أو حاسد الله يشفيك . بسم الله أرقيك .

– عن أبى هريرة ؛ قال : جاء النبى ﷺ يعوذنى ، فقال لى " ألا أرقيك برقية جاءنى بها جبرائيل ؟ " قلت : بأبى وأمى . بلى يا رسول الله ، قال " بسم الله أرقيك . والله يشفيك . من كل داء فيك . من شر النفاثات[4] فى العقد ، ومن شر حاسد إذا حسد " ثلاث مرات .

– عن ابن عباس ؛ قال : كان النبى ﷺ يعوذ الحسن والحسين . يقول " أعوذ بكلمات الله التامة ، من كل شيطان وهامة ، ومن كل عين لامة " .

قال ، " وكان أبونا إبراهيم يعوذ بها إسماعيل وإسحاق " أو قال " إسماعيل ويعقوب" .

---

(١) قال فى النهاية : إنما وصف كلامه بالتمام لأنه لايجوز أن يكون فى شئ من كلامه نقص أو عيب ، كما يكون فى كلام الناس ، وقيل : معنى التمام هنا أنها تنفع المتعوذ بها وتحفظه من الآفات وتكفيه .

(٢) أى كان يأخذ من ريقه على إصبعه شيئا ثم يضعها على التراب فيتعلق بها منه شئ ، فيمسح بها على المواضع الجريح .

(٣) من شر ما أجد وأحاذر : تعوذ من وجع ومكروه هو فيه ، ومما يتوقع حصوله فى المستقبل من الحزن والخوف . فإن الحذر هو الاحتراز من مخوف .

(٤) من شر النفاثات : أى السواحر اللاتى ينفثن فى العقد .

- وروى الترمذى عن ابن عباس عن النبى ﷺ أنه قال : " ما من عبد مسلم يعود مريضا لم يحضر أجله فيقول سبع مرات : أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك إلا عوفى " [1].

- عن عثمان بن أبى العاص أنه قال : أتانى رسول الله ﷺ وبى وجع قد كاد يهلكنى ، فقال رسول الله ﷺ ": امسح بيمينك سبع مرات وقل : أعوذ بعزة الله وقوته من شر ما أجد ، قال : ففعلت فأذهب الله ما كان بى ، فلم أزل آمر به أهلى وغيرهم[2].

- عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ يقول :

"اللهم عافنى فى جسدى وعافنى فى بصرى واجعله الوارث منى ، لا إله إلا أنت الحليم الكريم سبحان الله رب العرش العظيم ، والحمد لله رب العالمين " [3].

وجاء فى سنن أبى داود[4] :

عن أبى الدرداء ، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : " من اشتكى منكم شيئا أو اشتكاه أخ له فليقل : ربنا الله الذى فى السماء ، تقدس اسمك ، أمرك فى السماء والأرض ، كما رحمتك فى السماء فاجعل رحمتك فى الأرض ، اغفر لنا حُوبنا وخطايانا ، أنت رب الطيبين ، انزل رحمة من رحمتك وشفاء من شفائك على هذا الوجع فيبرأ " .

- عن عمر بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، أن رسول الله ﷺ كان يعلمهم من الفزع كلمات " أعوذ بكلمات الله التامة ، من غضبه وشر عباده ، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون " وكان عبد الله بن عمرو يعلمهن من عقل من بنيه ، ومن لم يعقل كتبه فأعلقه عليه .

- عن يزيد بن أبى عبيد ، قال : رأيت أثر ضربة فى ساق سلمة ، فقلت : ما هذه؟ قال : أصابتنى يوم خيبر ، فقال الناس : أصيب سلة ، فأتى بى رسول الله ﷺ فنفث فى ثلاث نفثات ، فما اشتكيتها حتى الساعة .

---

(١) ج٤ ص ٤١٠ كتاب الطب .

(٢) المرجع السابق ج٤ ص ٤٠٨ كتاب الطب .

(٣) الأذكار للنوى ص ٣٥٠ - رواه الترمذى .

(٤) ج٤ ص ١٢ كتاب الطب .

- وعن ابن خزامة عن أبيه أن رجلا أتى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله أرأيت رقى نسترقيها ودواءً نتداوى به تقاة نتقيها هل ترد من قدرة الله شيئا ، فقال : " هى من قدرة الله " [١].

وقد أشار ابن قيم الجوزية إلى بعض الرقى التي وردت عن الرسول ﷺ وبخاصة ما ورد منها بتكرار الدعاء سبع مرات ، ثم قال[٢] : " ففى هذا العلاج من ذكر اسم الله والتفويض إليه والإستعاذة بعزته وقدرته من شر الألم ما يذهب به وتكراره ليكون أنجع وأبلغ كتكرار الدواء لإخراج المادة ، وفى السبع خاصية لا توجد فى غيرها وفى الصحيحين أن النبى ﷺ كان يعود بعض أهله يمسح عليه بيده اليمنى ويقول : " اللهم رب الناس اذهب الباس واشف انت الشافى لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما " ففى هذه الرقية توسل إلى الله بكمال ربوبيته وكمال رحمته بالشفاء وأنه وحده الشافى وأنه لا شفاء إلا شفاؤه ، فتضمنت التوسل إليه بتوحيده واحسانه وربوبيته " .

وقد وردت بعض الأحاديث النبوية الشريفة فى كراهية الرُّقية وفى الرُّخصة فيها ، منها ما ورد فى صحيح الترمذى ، وهى ما يلى[٣] :

عن عقاب بن المغيرة بن شعبة عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : "من اكتوى أو استرقى فقد برئ من التوكل " .

- عن أنس أن رسول الله ﷺ رخص فى الرقية من الحُمة والعين والنملة[٤].

- عن عمران بن حصين أن رسول الله ﷺ قال : " لا رقية إلا من عين أو حمة " .

وقد أشار بن حجر العسقلانى إلى بعض هذه الأحاديث النبوية التى وردت فى أحمد وأبو داود والنسائى من أن النبى يكره عشر خصال منها الرقى إلا بالمعوذات ثم ذكر ما قاله الطبرى من أنه : (لا يحتج بهذا الخبر لجهالة راوية وعلى تقدير صحته فهو منسوخ بالأذن فى الرقية بفاتحة الكتاب[٥]) ثم أضاف ابن حجر[٦] :

---

(١) رواه الترمذى ج٤ ص٤٥٣ كتاب القدر باب ما جاء لا ترد الرقى ولا الدواء من قدر الله شيئا .

(٢) زاد المعاد ج٣ص ١٢٥ .

(٣) ج٤ ص ٣٩٣ كتاب الطب بابى ما جاء فى كراهية الرقية ، وفى الرخصة فيها .

(٤) النملة : قروح تخرج من الجنب .

(٥) فتح البارى ج ٢١ ص ٣٢٠ .

(٦) المرجع السابق باب الرقى بالقرآن والمعوذات .

وقد أجمع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط :

أن يكون بكلام الله تعالى أو بأسمائه وصفاته وباللسان العربى أو بما يعرف معناه من غيره ، وأن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها بل بذات الله تعالى ، واختلفوا فى كونها شرطاً ، والراجح أنه لا بد من اعتبار الشروط المذكورة ، ففى صحيح مسلم من حديث عوف ابن مالك (قال : كنا نرقى فى الجاهلية فقلنا : يا رسول الله ، كيف ترى فى ذلك ؟ فقال : " اعرضوا على رقاكم ، لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك " وله من حديث جابر : نهى رسول الله ﷺ عن الرقى فجاء آل عمرو بن حزم فقالو : يا رسول الله ، إنه كانت عندنا رقية نرقى بها من العقرب ، قال : فعرضوا عليه فقال : " ما أرى بأسا من استطاع أن ينفع أخاه فلينفعه " وقد تمسك قوم بهذا العموم فأجازوا كل رقية جربت منفعتها ولم يعقل معناها ، لكن دل حديث عوف أنه مهما كان من الرقى يؤدى إلى الشرك يمنع ، وما لا يعقل معناه لا يؤمن أن يؤدى إلى الشرك فيمتنع احتياطا .

والشرط الاخر لابد منه : وقال قوم : لا تجوز الرقية إلا من العين واللدغة كما تقدم فى باب (من اكتوى) من حديث عمران بن حصين : " لا رقية إلا من عين أو حمة " وأجيب بأن معنى الحصر فيه أنهما أصل كل ما يحتاج إلى القية فيلتحق بالعين حواز رقية من به خبل أو مس ونحو ذلك لاشتراكها فى كونها تنشأ عن أحوال شيطانية من إنسى أو جنى ، ويلتحق بالسم كل ما عرض للبدن من قرح ونحوه من المواد السمية .

وقد وقع عند أبى داود فى حديث أنس مثل حديث عمران وزاد : " أو دم " وفى مسلم من طريق يوسف بن عبد الله بن الحارث عن أنس قال : رخص رسول الله عليه وسلم فى الرقى من العين والحمة والنملة ، وفى حديث آخر : " والأذن " .

ولأبى داود من حديث لشفاء بنت عبد الله أن النبى ﷺ قال لها : " ألا تعلمين هذه؟ – يعنى حفصة – رقية النملة " والنملة قروح تخرج فى الجنب وغيره من الجسد .
وقيل المراد بالحصر معنى الأفضل : أى لا رقية أنفع كما قيل : لا سيف إلا ذو الفقار . وقال قوم : المنهى عنه من الرقى ما يكون قبل وقوع البلاء ، والمأذون فيه ما كان بعد وقوعه ، ذكر ابن عبد البر والبيهقى وغيرهما ، وفيه نظر . وكأنه مأخوذ من الخبر الذى قرنت فيه التمائم بالرقى ؛ فأخرج أبو داود وابن ماجه وصححه الحاكم من طريق ابن أخى زينب إمرأة ابن مسعود عنها عن ابن مسعود رفعه : " إن الرقى والتمائم والتولة شرك" وفى الحديث قصة . والتمائم جمع تميمة : وهى خرز أو قلادة تعلق فى الرأس كانوا فى الجاهلية يعتقدون أن ذلك يدفع الآفات والتولة بكسر المثناة وفتح الواو

واللام مخففا : شئ كانت المرأة تجلب به محبة زوجها، وهو ضرب من السحر وإنما كان ذلك من الشرك لأنهم أرادوا دفع المضار وجلب المنافع من عند غير الله، ولا يدخل فى ذلك ما كان بأسماء الله وكلامه . فقد ثبت فى الأحاديث استعمال ذلك قبل وقوعه من حديث عائشة :

"أنه ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه ينفث بالمعوذات ويمسح بها وجهه " الحديث .

ومضى فى أحاديث الأنبياء حديث ابن عباس : " أنه ﷺ كان يعوذ الحسن والحسين بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة " الحديث .

وصحح الترمذى من حديث خولة بنت حكيم مرفوعا : " من نزل منزلا فقال : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ، لم يضره شئ حتى يتحول " وعند أبى داود والنسائى بسند صحيح عن سهيل بن أبى صالح عن أبيه عن رجل من أسلم : جاء رجل فقال لدغت الليلة فلم أنم ، فقال له النبى ﷺ ": لو قلت حين أمسيت : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضرك " .

وقال القرطبى : الرقى ثلاثة أقسام :

أحدها : ما كان يرقى به فى الجاهلية مما لا يعقل معناه ، فيجب اجتنابه لئلا يكون فيه شرك أو يؤدى إلى الشرك .

الثانى : ما كان بكلام الله أو بأسمائه فيجوز ، فإن كان مأثورا فيستحب .

الثالث : ما كان بأسماء غير الله من ملك أو صالح أو معظم من المخلوقات كالعرش، قال : فهذا ليس من الواجب اجتنابه ولا من المشروع الذى يتضمن الإلتجاء إلى الله والتبرك بأسمائه فيكون تركه أولى إلا أن يتضمن المرقى به فينبغى أن يجتنب كالحلف بغير الله تعالى .

وذكر الكرمانى[1] بالنسبة للرقى أن المأمور بها ما يكون بقوارع القرآن ونحوه ، والمنهى عنه رقية العزامين وما عليه أهل الجاهلية .

وبذلك يتضح أن الرقى مشروعة ما دامت بكلام الله أو بأسمائه وصفاته أو بما ورد عن الرسول ﷺ وباللسان العربى أو بما يعرف معناه وأن يكون الإعتقاد أن الشفاء من

---

(١) البخارى شرح الكرمانى ج ٢٠ ص ٢١٩ .

الله عـز وجل ، وذلك على التفصيل الذى ذكره ابن حجر العسقلانى ، والذى يُغنى عن كل بيان .

٥ـ السحـــر

السحر فى عرف الشرع مختص بكل أمر يخفى سببه ويتخيل على غير حقيقته ويجرى مجرى التمويه والخداع[١] .

وقال ابن المقدسى[٢] : أن السحر هو عقد ورقى وكلام يتكلم به أو يكتبه ، أو يعمل شيئا يؤثر فى بدن المسحور أو قلبه أو عقله من غير مباشرة له وله حقيقة فمنه ما قتل ، وما يمرض ، وما يأخذ الرجل عن امرأته فيمنعه وطأها ، ومنه ما يفرق بين المرء وزوجه ، وما يُبَغض أحدهما إلى الآخر أو يُحَبِّب بين اثنين .

وقال القرطبى[٣] :

ذهب أهل السنة إلى أن السحر ثابت وله حقيقة ، وذهب عامة المعتزلة الى أن السحر لا حقيقة له ، وإنما هو تمويه وتخييل وإيهام لقوله تعالى : ﴿ يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى ﴾[٤] ، ﴿ سحروا أعين الناس ﴾ [٥] ، وأضاف القرطبى ردا عليهم : وهذا لاحجة فيه ، لأنا لاننكر أن يكون التخييل وغيره من جملة السحر لكن ثبت وراء ذلك أمور جوزها العقل وورد بها السمع ، فمن ذلك ما جاء فى هذه الآية من ذكر السحر وتعليمه ، ولو لم يكن له حقيقة لم يمكن تعليمه ولا أخبر تعالى أنهم يعلمونه الناس فدل على أن له حقيقة ، وقوله تعالى فى قصة سحرة فرعون : ﴿وجاءوا بسحر عظيم﴾[٦] وسورة الفلق . . وأن النبى ﷺ قال لما حل السحر : " إن الله شفانى " والشفاء إنما برفع العلة وزوال المرض ، فدل على أن له حقا وحقيقة ، فهو مقطوع به بإخبار الله تعالى ورسوله على وجوده ووقوعه ، وعلى هذا أهل الحل والعقد الذين ينعقد بهم الاجماع ولا عبرة مع اتفاقهم بحثالة المعتزلة ومخالفتهم أهل الحق ، ولقد شاع السحر وذاع فى سابق الزمان وتكلم الناس فيه ولم يبد من الصحابة

---

(١) المصباح المنير ص ٢٦٨ .
(٢) المغنى ج ١٠ ص ١٢٦ .
(٣) الجامع لأحكام القرآن ج١ ص ٤٣٦ .
(٤) سورة الآية .
(٥) سورة الآية .
(٦) سورة الآية .

ولا من التابعين إنكار لأصله ، وروى سفيان عن أبى الأعور عن عكرمة عن ابن عباس قال : علم السحر فى قرية من قرى مصر يقال لها : (الفرما) فمن كذب به فهو كافر ، فكذب لله ورسوله ، منكر لما علم مشاهدة وعيانا .

وقال ابن القيم[1] : (والسحر هو مركب من تأثيرات الأرواح الخبيثة وانفعال القوى الطبيعية عنها) ، وقد ورد ابن القيم على من أنكر الروايات التى وردت عن قيام اليهود بعمل سحر للرسول ﷺ وقال أنهم ظنوه نقصا وعيبا ، وليس الأمر كما زعموا ، بل هو من جنس ما كان يعتريه ﷺ من الأسقام والأوجاع وهو مرض من الأمراض وأصابته به كإصابته بالسم لا فرق بينهما ، وقد ثبت فى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : سحر رسول الله ﷺ حتى إن كان يخيل إليه أنه يأتى نساءه ولم يأتهن ، وذلك أشد ما يكون من السحر ، قال القاضى عياض : والسحر مرض من الأمراض وعارض من العلل يجوز عليه ﷺ ، كأنواع الأمراض مما لاينكر ولا يقدح فى نبوته وأما كونه يخيل إليه أنه فعل الشئ ولم يفعله فليس فى هذا ما يدخل عليه داخلة فى شئ من صدقه لقيام الدليل والإجماع على عصمته من هذا . . . أما هديه ﷺ فى علاج هذا المرض، وقد روى عنه فيه نوعان :

أحدهما : وهو أبلغهما استخراجه وتبطيله كما صح عنه ﷺ أنه سأل ربه سبحانه فى ذلك فدل عليه ، فاستخرجه من بئر ، فكان فى مشط ومشاطة وجف طلعة ذكر ، فلما استخرجه ذهب ما به حتى كأنما نشط من عقال ، فهذا من أبلغ ما يعالج به المطبوب ، وهذا بمنزلة إزالة المادة الخبيثة وقلعها من الجسد بالاستفراغ .

النوع الثانى : الاستفراغ فى المحل الذى يصل إليه أذى السحر ، فإن للسحر تأثيرا فى الطبيعة وهيجان أخلاطها وتشويش مزاجها ، فإذا ظهر أثره فى عضو ، وأمكن استفراغ المادة الرديئة من ذلك العضو نفع جدا . . . وذلك بالحجامة . . وقد أشكل هذا على من قل علمه وقال ما للحجامة والسحر وما الرابطة بين هذا الداء وهذا الدواء، ولو وجد هذا القائل أبقراط أو ابن سيناء أو غيرهما قد نص على هذا العلاج لتلقاه بالقبول والتسليم .

وقد جاء لفظ السحر والسحرة فى كثير من الآيات القرآنية ، منها ما جاء فى سورة البقرة: ١٠٢ : ﴿ واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر . . . . . ﴾ .

---

(١) ج٣ص ١٠٤ (بتصرف) . (٢) سورة البقرة الآية ١٠٢ .

اى اتبعوا طرق السحر والشعوذة التى كانت تحدثهم بها الشياطين فى عهد ملك سليمان . . أى وما كان سليمان ساحرا ولا كفر بتعلمه السحر . . أى ولكن الشياطين هم الذين علموا الناس السحر حتى فشا أمره بين الناس . . أى وكما اتبع رؤساء اليهود السحر كذلك اتبعوا ما أنزل على الملكين وهما هاروت وماروت بمملكة ، بل بأرض الكوفة وقد أنزلهما الله ابتلاء وامتحانا للناس . . أى إن الملكين لا يعلمان أحدا من الناس السحر حتى يبذلا له النصيحة ويقولا إن هذا الذى نصفه لك إنما هو امتحان من الله وابتلاء ، فلا تستعمله للإضرار ولا تكفر بسببه ، فمن تعلمه ليدفع ضرره عن الناس فقد نجا ومن تعلمه ليلحق ضرره بالناس فقد هلك وضل . . . أى يتعلمون منها من علم السحر وما يكون سببا فى التفريق بين الزوجين ، فبعد أن كانت المودة والمحبة بينهما يصبح الشقاق والفراق . . . أى وما هم بما استعملوه من السحر يضرون أحدا إلا إذا شاء الله ، أى والحال أنهم بتعلم السحر يحصلون على الضرر لا على النفع .

والحكمة من تعليم الملكين الناس السحر أن السحرة كثروا فى ذلك العهد واخترعوا فنونا غريبة من السحر ، وربما زعموا أنهم أنبياء ، فبعث الله تعالى الملكين ليعلما الناس وجوه السحر حتى يتمكنوا من التمييز بينه وبين المعجزة ، ويعرفوا أن الذين يدعون النبوة كذبا إنما هم سحرة لا أنبياء [1].

ومن أنفع علاجات السحر الأدوية الالهية بل هى أدويته النافعة بالذات ، فإنه من تأثير الأرواح الخبيثة السفلية ، ودفع تأثيرها يكون بما يعارضها ويقاومها من الأذكار والآيات والدعوات التى تبطل فعلها وتأثيرها ، وكلما كانت أقوى وأشد كانت أبلغ فى النشرة وذلك بمنزلة التقاء جيشين مع كل واحد منهما عدته وسلامه فأيهما غلب الآخر قهره وكان الحكم له ، فالقلب إذا كان ممتلئا من الله مغمورا بذكره ، وله من التوجيهات والدعوات والأذكار والتعوذات ورد لايخل به ، يطابق فيه قلبه لسانه ، كان هذا من أعظم الأسباب التى تمنع إصابة السحر له ، ومن أعظم العلاجات له بعد ما يصيبه .

وعند السحرة إنما يتم تأثيره فى القلوب الضعيفة المنفعلة والنفوس الشهوانية التى هى معلقة بالسفليات ، ولهذا غالب ما يؤثر فى النساء والصبيان والجهال وأهل البوادى ، ومن ضعف حظه من الدين والتوكل والوحيد ، ومن لا نصيب له من الأوراد الالهية والدعوات والتعوذات النبوية ، وبالجملة فسلطان تأثيره فى القلوب الضعيفة

(١) صفوة التفاسير ج١ ص ٨٣ (بتصرف) .

الفارغة من القوة الإلهية لعدم أخذها للعدة التى تحاربها بها فتجدها فارغة لا عدة معها فيمكن التسلط عليها والتأثير فيها بالسحر وغيره) [١] .

ومما أورده ابن كثير فى فك السحر ، عند تفسيره للآيتين ٨١ ، ٨٢ من سورة يونس ما يلى : قال ابن أبى حاتم عن ليث وهو ابن أبى سليم قال[٢] :

بلغنى أن هؤلاء الآيات شفاء من السحر بإذن الله تعالى ، تقرأ فى إناء فيه ماء ثم يصب على رأس المسحور الآية التى فى سورة يونس ﴿ فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر إن الله سيبطله إن الله لا يصلح المفسدين . ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون ﴾[٣] والآية الأخرى ﴿ فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون ﴾[٤] الى آخر أربع آيات وقوله ﴿ إن ما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى ﴾[٥] طه / ٦٩ . "

والآيات الخمس التى أشار اليها ابن كثير هى الآيات ١١٨ / ١٢٢ من سورة الأعراف وهى :

﴿ فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون . فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين . وألقى السحرة ساجدين . قالوا آمنا برب العالمين . رب موسى وهارون ﴾ [٦]

وذكر مؤلف كتاب " ففروا إلى الله " ، أنه روى - والله أعلم - أن تلك الآيات السابقة تكتب بمداد طاهر كالزعفران ، ثم تذاب فى كوب به ماء ، ثم يشرب منها المسحور ، يفعل ذلك ثلاث مرات (الكتابة والإذابة والشرب) [٧] .

- عن عائشة ؛ قالت : سحر النبى ﷺ ، يهودى من يهود بنى زريق ، يقال له لبيد بن الأعصم حتى كان النبى ﷺ يُخيل إليه أنه يفعل الشئ ولا يفعله[٨] قالت ، حتى إذا كان ذات يوم أو كان ذات ليلة ، دعا رسول الله ﷺ ، ثم دعا ، ثم دعا ، ثم قال : " يا عائشة ! أشعرت أن الله قد أفتانى فيما استفتيته فيه ؟ جاءنى رجلان . فجلس أحدهما عند رأسى . والآخر عند رجلى . فقال الذى عند رأسى للذى عند رجلى ، أو الذى عند رجلى للذى عند رأسى : ما وجع الرجل ؟ قال : مطبوب[٩] قال : من طبه ؟ قال :

---

(١) زاد المعاد ج٣ص ١٠٥ (بتصرف) .
(٢) ابن كثير ج٢ص ٤٢٧ .
(٣) سورة يونس الآية ٨١ ، ٨٢ .
(٤) سورة الأعراف الآية ١١٨ .
(٥) سورة طه الآية ٦٩ .
(٦) سورة الأعراف الآية ١١٨ ، ١٢٢ .
(٧) ج ١٩٧ لأبى ذر القلمونى .
(٨) يخيل إليه أنه يفعل الشئ ولا يفعل : أى يخيل إليه القدرة على الفعل ، ثم يظهر له عند المباشرة أنه غير قادر عليه . وليس المراد أنه يخيل إليه أنه فعل ، والحال أنه ما فعله .
(٩) مطبوب : أى مسحور . كنوا بالطب عن السحر تفاؤلا بالبرء . كما كنوا بالسليم عن اللديغ .

لبيد بن الأعصم . قال : فى أى شئ ؟ قال : فى مشط ومشاطة[1] وجف[2] طلعة ذكر . قال : وأين هو؟ قال : فى بئر ذى أروان[3] " .

قالت فأتاها النبي ﷺ ، في أناس من أصحابه . ثم جاء فقال : " والله ! يا عائشة ! لكأن ماءها نقاعة الحناء[4] . ولكأن نخلها رءوس الشياطين " .

قالت ، قلت : يا رسول الله ! أفلا أحرقته ؟ قال " لا . أما أنا فقد عافاني الله ، وكرهت أن أثير على الناس منه شرا " ، فأمر بها فدفنت .

– عن زينب ؛ قالت : كانت عجوز تدخل علينا ترقي من الحمرة[5] . وكان لنا سرير طويل القوائم . وكان عبد الله ، إذا دخل ، تنحنح وصوت . فدخل يوما . فلما سمعت صوته احتجبت منه . فجاء فجلس إلى جانبي . فمسني فوجد مس خيط . فقال : ما هذا ؟ فقلت : رقى لي فيه من الحمرة . فجذبه وقطعه ، فرمى به وقال : لقد أصبح آل عبد الله أغنياء عن الشرك[6] . سمعت رسول الله ﷺ ، يقول : " إن الرقى والتمائم والتولة شرك " [7] .

قلت : فإني خرجت يوما فأبصرني فلان . فدمعت عيني التي تليه . فإذا رقيتها سكنت دمعتها . وإذا تركتها دمعت . قال : ذاك الشيطان . إذا أطعته تركك ، وإذا عصيته طعن بإصبعه في عينك . ولكن لو فعلت كما فعل رسول الله ﷺ ، كان خيرا لك وأجدر أن تشفين . تنضحين في عينك الماء وتقولين : أذهب الباس . رب الناس . اشف أنت الشافي . لا شفاء إلا شفاؤك ، شفاء لا يغادر سقما .

– عن عمران بن الحصين ؛ أن النبي ﷺ راى رجلا في يده حلقة من صفر . فقال " ما هذه الحلقة ؟ " قال : هذه من الواهنة[8] . قال " انزعها ، فإنها لا تزيدك إلا وهنا " .

---

(١) مشاطة : الشعر الذى يسقط عن الرأس واللحية عند التسريح بالمشط .

(٢) جف : وعاء الطلع ، وهو الغشاء الذى يكون فوقه . (٣) بئر ذى أروان : بئر لبنى زريق بالمدينة .

(٤) (نقاعة الحناء) ما ينقع فيه الحناء . أي متغير اللون .

(٥) (الحمرة) في المنجد: مرض وبائي يسبب حمى وبقعا حمراء في الجلد، ولا تدخل جراثيمه الجسم إلا من خدش أو جرح.

(٦) (أغنياء عن الشرك) يريد أنه لا حاجة لهم إلى أن يستعملوا ما هو شرك .

(٧) (الرقى) جمع رقية ، العوذة . والمراد ما كان بأسماء الأصنام والشياطين . لا ما كان بالقرآن ونحوه ، (التمائم) جمع تميمة ، أريد بها الخرزات التي يعلقها النساء في أعناق الأولاد على ظن أنها تؤثر وتدفع العين ، (التولة) نوع من السحر يجلب المرأة إلى زوجها ، (شرك) أي من أفعال المشركين . أي لأنه قد يفضي إلى الشرك إذا اعتقد أن لها تأثيرا حقيقة . وقيل المراد الشرك الخفي بترك التوكل والاعتماد على الله سبحانه وتعالى .

(٨) (الواهنة) في النهاية : عرق يأخذ في المنكب وفي اليد كلها . فيرقى منها . وقيل : هو مرض يأخذ في العضد وربما علق عليه جنس من الخرز يقال له خرز الواهنة . وهي تأخذ الرجال دون النساء . وإنما نهاه عنها لأنه إنما أخذها على أنها تعصمه من الألم ، فكانت عنده في معنى التمائم المنهي عنها .

– عن أم جندب ؛ قالت : رأيت رسول الله ﷺ ، رمى جمرة العقبة من بطن الوادي ، يوم النحر ، ثم انصرف . وتبعته امرأة من خثعم ، ومعها صبي لها ، به بلاء ، لا يتكلم . فقالت : يا رسول الله ! إن هذا ابني وبقية أهلي[1]. وإن به بلاء . لا يتكلم. فقال رسول الله ﷺ " ائتوني بشيء من ماء " فأتي بماء. فغسل يده ومضمض فاه ثم أعطاها . فقال " اسقيه منه ، وصبي عليه منه ، واستشفي الله له " قالت : فلقيت المرأة فقلت : لو وهبت لي منه ! فقالت : إنما هو لهذا المبتلى . قالت : فلقيت المرأة من الحول فسألتها عن الغلام فقالت : برأ وعقل عقلا ليس كعقول الناس .

عن سعيد بن المسيب ، عن سعد بن مالك ، عن خولة بنت حكيم ؛ أن النبى ﷺ قال " لو أن احدكم ، إذا نزل منزلا ، قال : أعوذ بكلمات الله التامة من شر ماخلق ، لم يضره فى ذلك المنزل شئ حتى يرتحل منه " .

– حدثنى أبى عن عثمان بن أبى العاص ؛ قال : لما استعملنى رسول الله صلى الله عليه وسالم على الطائف ، جعل يعرض لى شئ فى صلاتى ، حتى ماأدرى ماأصلى ، فلما رأيت ذلك ، رحلت إلى رسول الله ﷺ ، فقال " ابن أبى العاص؟ " قلت : نعم! يا رسول الله ! قال " ذاك الشيطان . ادنه " فدنوت منه . فجلست على صدور قدمي. قال ، فضرب صدري بيده ، وتفل في فمي ، وقال " اخرج . عدو الله! " ففعل ذلك ثلاث مرات . ثم قال " الحق بعملك " ، قال : فقال عثمان : فلعمري ! ما أحسبه خالطني بعد .

– عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبيه أبي ليلى ؛ قال : كنت جالسا عند النبي ﷺ إذ جاءه أعرابي ، فقال : إن لي أخا وجعا . قال " ما وجع أخيك " قال : به لمم[2]. قال " اذهب فأتني به " قال ، فذهب فجاء به ، فاجلسه بين يديه . فسمعته عوذه بفاتحة الكتاب ، وأربع آيات من أول البقرة ، وآيتين من وسطها . وإلهكم إله واحد . وآية الكرسي ، وثلاث آيات من خاتمتها ، وآية من آل عمران (أحسبه قال : شهد الله أنه لا إله إلا هو) وآية من الأعراف : إن ربكم الله الذي خلق . الآية ، وآية من المؤمنين ، ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به ، وآية من الجن : وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا ، وعشر آيات من أول الصافات ، وثلاث آيات من آخر الحشر ، وقل هو الله أحد ، والمعوذتين . فقام الأعرابي قد برأ ، ليس به بأس .

---

(١) وبقية أهلي) أي إنهم ماتوا وما بقي منهم إلا هذا .

(٢) اللمم : طرف من الجنون يلم بالإنسان ، أي يقرب منه ويعتريه .

وبما كثر من أعمال السحر تلك الأعمال التي تفرق بين المرء وزوجه ، وهي التي أشار إليها القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ﴾[1] البقرة / ١٠٢ .

(قال السدي : كانا يقولان لمن جاءهما : إنما نحن فتنة فلا تكفر ؛ فإن أبى أن يرجع قالا له : ائت هذا الرماد فبل فيه ؛ فإذا بال فيه خرج منه نور يسطع إلى السماء ، وهو الإيمان ؛ ثم يخرج منه دخان أسود فيدخل في أذنيه ، وهو الكفر ، فإذا أخبرهما بما رآه من ذلك علماه ما يفرق بين المرء وزوجه . وذهبت طائفة من العلماء إلى أن الساحر ليس يقدر على أكثر مما أخبر الله عنه من التفرقة ، لأن الله ذكر ذلك في معرض الذم للسحر والغاية في تعليمه فلو كان يقدر على أكثر من ذلك لذكره .

وقالت طائفة : ذلك خرج على الأغلب ، ولا ينكر أن السحر له تأثير في القلوب ، بالحب والبغض وبإلقاء الشرور حتى يفرق الساحر بين المرء وزوجه ويحول بين المرء وقلبه ، وذلك بإدخال الآلام وعظيم الأسقام ؛ وكل ذلك مدرك بالمشاهدة وإنكاره معاندة " [2] .

وذكر القرطبي في موضع آخر علاجا لذلك فقال[3] :

(وقال الشافعي : لا بأس بالنُّشْرَة . قال ابن بطال : وفي كتاب وهب بن منبه أن يأخذ سبع ورقات من سدر أخضر فيدقه بين حجرين ثم يضربه بالماء ويقرأ عليه آية الكرسي ثم يحسو منه ثلاث حسوات ويغتسل ، فإنه يذهب عنه كل ما به إن شاء الله تعالى ، وهو جيد للرجل إذا حبس عن أهله) .

وما ذكره الرسول ﷺ للمرأة التي سألته عن كيفية اغتسالها من المحيض ، وأن تتبع أثر الدم بقطعة بالمسك له تأثير طيب في التخلص أو الوقاية من السحر والأعمال الشيطانية ، إذ أنه من المعروف أن الروائح الطيبة تطرد الأرواح الخبيثة ، فعن عائشة ؛ قالت : سألت امرأة النبي ﷺ : كيف تغتسل من حيضها ؟ قال : فذكرت أنه علمها كيف تغتسل . ثم تأخذ فرصة من مسك فتتطهر بها ، قالت : كيف أتطهر بها ؟ قال "تطهري بها . سبحان الله ! " واستتر (وأشار لنا سفيان بن عيينة بيده على وجهه)

---

(١) سورة البقرة الآية ١٠٢ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ج١ ص ٤٤٥ .

(٣) المرجع السابق ج١ ص ٤٣٩ ، ٤٤٠ .

قال قالت عائشة : واجتذبتها إليَّ . وعرفت ما أراد النبي ﷺ فقلت : تتبعي بها أثر الدم . وقال ابن أبي عمر في روايته : فقلت : تتبعي بها آثار الدم .

– وعن عائشة ؛ أن امرأة سألت النبي ﷺ : كيف أغتسل عند الطهر ؟ فقال : " خذي فِرصة مُمَسَّكَة فتوضَّئِي بها " (١) .

وقد أكد ابن قيم الجوزية ما انتهينا إليه من تأثير الروائح الطيبة والخبيثة فقال(٢) :

(وفي الطيب من الخاصية أن الملائكة تحبه والشياطين تنفر عنه ، وأحب شئ إلى الشياطين الرائحة المنتنة الكريهة ، فالأرواح الطيبة تحب الرائحة الطيبة والأرواح الخبيثة تحب الرائحة الخبيثة ، وكل روح تميل إلى ما يناسبها ، فالخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات ، وهذا وإن كان في النساء والرجال فإنه يتناول الأعمال والأقوال والمطاعم والمشارب والملابس والروائح إما بعموم لفظه أو بعموم معناه) .

٦. التلبينـــة .. لزوال الهم والحزن

عن عائشة رضي الله عنها ، أنها قالت تأمر بالتلبين للمريض وللمحزون على الهالك ، وكانت تقول : إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : " إن التلبينة تجم فؤاد المريض وتذهب ببعض الحزن " .

وعن عائشة أنها كانت تأمر بالتلبينة وتقول : قال النبي ﷺ :عليكم بالبغيض النافع ، التلبينة " (٣) .

قال الأصمعي : هي حساء يعمل من دقيق أو نخالة ويجعل فيه عسل . قال غيره : أو لبن ، سميت تلبينة تشبيها لها باللبن في بياضها ورقتها . وقال ابن قتيبة : وعلى قول من قال يخلط فيها لبن سميت بذلك لمخالطة اللبن لها . قال أبو نعيم في الطب : هي دقيق بحت وقال الداودي : يؤخذ العجين غير خمير فيخرج ماؤه فيجعل حسوا فيكون لا يخالطه شئ فلذلك كثر نفعه . . وفي رواية الليث عن عقيل أن عائشة كانت إذا مات

---

(١) صحيح مسلم ج١ ص ٢٦٠ ، ٢٦١ . (٢) زاد المعاد ج٣ ص ١٥٥ .

(٣) الحديثان وردا صحيح البخاري – فتح الباري ج ٢١ ص ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ابن ماجة ج٢ ص ١١٤٠ ، وسمي البغيض النافع : لأن المريض يعافه وهو نافع له ، ورواه مسلم بلفظ : " التلبينة " مجمة لفؤاد المريض تُذهب ببعض الحزن ج ٤ ص ١٧٣٦ .

الميت من أهلها ثم اجتمع لذلك النساء ثم تفرقن أمرت ببرمة تلبينة فطبخت ثم قالت : كلوا منها .

ومعنى تجمُّ فؤاد المريض التي وردت في الحديث : أنها تريح فؤاده وتزيل عنه الهم وتنشطه .

وجاء في النسائي ، عن السيدة عائشة أنها قالت : " والذي نفس محمد بيده إنها تغسل بطن أحدكم كما يغسل أحدكم الوسخ عن وجهه بالماء " ، وعنها أيضا مما رواه أحمد والترمذي : " كان رسول الله ﷺ إذا أخذ أهله الوعك أمر بالحساء فصنع ثم أمرهم فحسوا منه ثم قال : إنه يرتو[1] فؤاد الحزين ويسرو[2] عن فؤاد السقيم كما تسرو إحداكن الوسخ عن وجهها بالماء " [3] .

وقال الموفق البغدادي : إذا شئت معرفة منافع التلبينة فاعرف منافع ماء الشعير ، ولا سيما إذا كان نخالة فإنه يجلو وينفذ بسرعة ، ويغذي غذاء لطيفا ، وإذا شرب حارا كان أجلى وأقوى نفوذا وانمى للحرارة الغريزية ، قال : والمراد بالفؤاد في الحديث : رأس المعدة[4] .

وقال صاحب زاد المعاد :

(للعادات تأثير في الإنتفاع بالأدوية والأغذية وكانت عادة القوم أن يتخذوا ماء الشعير منه مطحونا لا صحاحا وهو أكثر تغذية وأقوى فعلا وأعظم جلاء ، وإنما اتخذه أطباء المدن منه صحاحا ليكون أرق وألطف فلا يثقل على طبيعة المريض وهذا بحسب طبائع أهل المدن ورخاوتها وثقل ماء الشعير المطحون عليها ، والمقصود أن ماء الشعير مطبوخا سريعا ويجلو جلاء ظاهرا ويغذي غذاء لطيفا وإذا شرب حارا إجلاؤه أقوى ونفوذه أسرع وإنماؤه للحرارة الغريزية أكثر وتلميسه لسطوح المعدة أوفق . . . وقوله ﷺ " ويذهب ببعض الحزن " هذا والله أعلم لأن الغم والحزن يبردان المزاج ويضعفان الحرارة الغريزية لميل الروح الحامل لها إلى جهة القلب الذي هو منشؤها .

وهذا الحساء مقوي الحرارة الغريزية بزيادتها في مادتها ، فتزيل أكثر ما عرض له من الغم والحزن .

---

(١) يرتو : أي يقوي . (٢) يسرو : أي يكشف .

(٣) الحديث رواه ابن ماجة ج٢ ص ١١٤٠ باب التلبينة .

(٤) فتح الباري ج ٢١ ص ٢٦٣ ، ٢٦٤ .

وقد يقال وهو أقرب أنها تذهب ببعض الحزن بخاصية فيها من جنس خواص الأغذية المفرحة فإن من الأغذية ما يفرح بالخاصية والله أعلم .

وقد يقال إن قوى الضعيف تضعف باستيلاء اليبس على أعضائه وعلى معدته لتقليل الغذاء وهذا الحساء يرطبها ويقويها ويغذيها ويفعل مثل ذلك بفؤاد المريض ، لكن المريض كثيرا ما يجتمع في معدته خلط مراري أو بلغمي أو صديدي ، وهذا الحساء يجلو ذلك عن المعدة ، ويسروه ويخدره ويمنعه ويعدل كيفيته ويكسر سورته فيريحها ، ولا سيما لمن عادته الاغتذاء بخبز الشعير) [1] .

٧- الصبر .. راحة نفسية

الصبر . . صفة من صفات المسلمين المؤمنين . . الذين هم على ربهم يتوكلون ولا يجزعون . . وهي من صفات أولياء الله . . وكذلك أولوا العزم من الرسل ، وقد جاء ذكره بالقرآن الكريم في نيف ومائة مرة ، دلالة على أهميته في حياة المسلم ، فهو يحتاج إلى الصبر في كثير من أمور حياته ، لأنه يسعى في مناكب الحياة ويحاول تحقيق ما تصبو إليه نفسه ، وأحيانا يتحقق له ما يريد ، وأحيانا أخرى تتعثر خطواته لأسباب تختلف من حالة لأخرى أو من وقت لآخر .

والمسلم إن لم يصبر عما يصيبه من مشقات الحياة ، ينتابه القلق والجزع والبطر وعدم الرضا ، مما يجعله في حالة نفسية سيئة ، قد تؤدي به إلى حالة مَرَضية بدنية ، يصعب علاجها ، لأن مظاهرها الخارجية واضحة بادية ، ولكن أسبابها خافية .

والإنسان يحتاج إلى الصبر في عباداته وفي تعامله مع الآخرين ، وفيما يتعرض له من مضايقات أو أمراض أو في تنفيذ تعليمات الطب لتفادي أسباب المرض أو في تناوله الأدوية التي منها الحلو ومنها المر وفي ممارسته لوسائل العلاج ، ومنها المؤلم الشاق أحيانا .

والصبر في كثير من مختلف تعاملات الإنسان ، له أثره الطيب في زيادة حسناته ودرجاته ، وله أثره في المحافظة على صحته ، فالصبر عن شهوة البطن والفرج يسمى عفة ، وهي محافظة على الدين والصحة ، والصبر على المصيبة مطلوب شرعا وعدم

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد ج٣ ص ١٠٢ ، ١٠٣ .

الصبر عليها يسمى (جزعا وهلعا) وهو إطلاق داعي الهوى ليسترسل في رفع الصوت وضرب الخدود وشق الجيوب ، وفي هذا من المعايب والأضرار ما فيه . . والصبر في كظم الغيظ يسمى حلما ، وقد سبق أن بينا أضرار الغضب وترك النفس للاسترسال فيه ، والصبر عن فضول العيش يسمى زهدا ، وهي يمنح النفس راحة وطمأنينة لعدم التطلع إلى ما في يد الغير ، كما يمنحها قناعة بالقدر اليسير من الحظوظ ، على العكس (الشَرَه) الذي يتملك صاحبه فيعيش قلقا طوال حياته ، لرغبته في تحقيق المزيد دائما لعدم قناعته بما حصل عليه [1] .

وآيات القرآن الكريم كما سبق أن أشرنا غنية بالآيات التي تحث على الصبر وتمدح الصابرين ، وكذلك الأحاديث النبوية الشريفة ، نشير إلى أمثلة من كل منهما فيما يلي :

- قال تعالى في خطابه للمؤمنين ﴿ واصبروا إن الله مع الصابرين ﴾[2] الأنفال : ٤٦ .

- وفي خطابه للرسول ﷺ ﴿ واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا ﴾[3] الطور : ٤٨ .

- وفيما ورد على لسان موسى عليه السلام لقومه ﴿ استعينوا بالله واصبروا ﴾[4] الأعراف : ١٢٨ .

ومن الأحاديث النبوية الشريفة التي وردت في الصبر والحث عليه وثوابه ، ما جاء في صحيح مسلم ، نذكر بعضها فيما يلي[5] :

- عن عائشة ؛ أنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

"ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها إلا كتبت له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة " .

- عن عائشة زوج النبي ﷺ ؛ أن رسول الله ﷺ قال :

---

(١) بتصرف كبير من إحياء علوم الدين للغزالي ج٤ ص ٦٦ ، ٦٧ .

(٢) سورة الأنفال الآية ٤٦ .　　(٣) سورة الطور الآية ٤٨ .

(٤) سورة الأعراف الآية ١٢٨ .

(٥) ج٤ ص١٩٩١/ ١٩٩٤ كتاب البر والصلة والآداب باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك حتى الشوكة يشاكها .

"لا يصيب المؤمن من مصيبة ، حتى الشوكة ، إلا قص بها من خطاياه ، أو كفر بها من خطاياه " .

– عن أبي سعيد وأبي هريرة ، أنهما سمعا رسول الله ﷺ يقول :

"ما يصيب المؤمن من وصب[1] ولا نصب[2] ولا سقم ولا حزن حتى الهم يهمه[3] إلا كُفِّر به من سيئاته " .

– عن عطاء بن أبي رباح . قال : قال لي ابن عباس : ألا أريك امراة من أهل الجنة؟ قلت : بلى . قال : هذه المرأة السوداء . أتت النبي ﷺ قالت : إني أُصدَع وإني أتكشف . فادع الله لي قال : " إن شئت صبرت ولك الجنة . وإن شئت دعوت الله أن يعافيك " قالت : أصبر قالت : فإني أتكشف فادع الله أن لا أتكشف فدعا لها .

وفي موضع آخر ورد في صحيح مسلم ، قال ﷺ [4]:

" -ما يكن عندي من خير فلن أدخره عنكم ومن يستعفف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله ومن يتصبر يصبره الله وما أعطى أحد عطاء خيرا وأوسع من الصبر " متفق عليه .

– "عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له " .

ومما يدعو إلى الصبر على المرض وغيره أن كل ما يصيب الإنسان هو من قدر الله عز وجل، يؤكد ذلك ما ورد عن أم سلمة أنها قالت : يا رسول الله ! لا يزال يصيبك كل عام وجع من الشاة المسمومة التي أكلت . قال : " ما أصابني شئ منها ، إلا وهو مكتوب عليَّ ، وآدم في طينته " [5].

والأحاديث في هذا الموضوع كثيرة جدا وفي مختلف كتب الصحاح ، وما ننتهي إليه أن الصبر يصرف عن الإنسان أبوابا كثيرة من أبواب المرض البدني والنفسي ، وأن من ابتلاه الله بالمرض ، عليه أن يتداوى وأن يصبر على العلاج ، حتى يُتم الله له الشفاء، وليعلم أن مرضه هذا كفارة للسيئات وثوابه كبير عند الله سبحانه وتعالى الكريم الحليم الغني ، وأن الصبر له جزاء طيب في الدنيا والآخرة .

---

(١) الوصب : الوجع . (٢) النصب : التعب .

(٣) يهمه : يُغمه . (٤) رياض الصالحين ص ١٧ ، ١٨ .

(٥) ابن ماجة كتاب الطب ج٢ ص ١١٧٤ .

خامساً: التداوي وموقف الإسلام منه

١ - هدي الرسول ﷺ في التداوي

كــان من هديه ﷺ فعل التداوي في نفسه والأمر به لمن أصابه مرض من أهله وأصحابه ، ولكن لم يكن من هديه ولا هدي أصحابه استعمال الأدوية المركبة ، بل كان غالب أدويتهم بالمفردات ، وربما أضافوا إلى المفرد ما يعاونه أو يكسر سورته وهذا غالب طب الأمم على اختلاف أجناسها من العرب والترك وأهل البوادي قاطبة وإنما عنى بالمركبات الروم واليونانيون وأكثر طب الهند بالمفردات ، وقد اتفق الأطباء على أنه متى أمكن التداوي بالغذاء لا يعدل إلى الدواء ، ومتى أمكن بالبسيط لا يعدل إلى المركب ، قالوا وكل داء قدر على دفعه بالأغذية والحمية لم يحاول دفعه بالأدوية ، ولا ينبغي للطبيب أن يولع بسقي الأدوية ، فإن الدواء إذا لم يجد في البدن داء يحلله أو وجد داء لا يوافقه أو وجد ما يوافقه فزادت كميته عليه أو كيفيته تشبث بالصحة وعبث بها ، وأرباب التجارب من الأطباء طبهم بالمفردات غالبا .

والأدوية من جنس الأغذية ، والأمة والطائفة التي غالب أغذيتها المفردات فأمراضها قليلة جدا وطبها بالمفردات ، وأهل المدن الذي غلبت عليهم الأغذية المركبة يحتاجون إلى الأدوية المركبة وسبب ذلك أن أمراضهم في الغالب مركبة ، فالأدوية المركبة أنفع لها ، وأمراض أهل البوادي والصحارى مفردة ، فيكفي في مداواتها الأدوية المفردة [١] .

ثم تكلم ابن القيم عن حذاق الأطباء وأئمتهم ، وما ذكروا عن مصدر ما عندهم من الطب والأدوية فقال :

---

(١) زاد المعاد ج٣ ص ٦٥ بتصرف .

(منهم من يقول هو قياس ومنهم من يقول هو تجربة ومنهم من يقول هو الهامات ومنامات وحدس صائب ومنهم من يقول أخذ كثير من الحيوانات البهيمية كما نشاهد السنانير إذا أكلت ذوات السموم تعمد إلى السراج فتلغ في الزيت تتداوى به وكما رؤيت الحيات إذا خرجت من بطون الأرض وقد غشيت أبصارها تأتي إلى ورق الرازيانج فتمر عيونها عليها وكما عهد من الطير الذي يحتقن بماء عند انحباس طبعه وأمثال ذلك مما ذكر في مبادئ الطب وأين يقع هذا وأمثاله من الوحي الذي يوحيه الله ورسوله بما ينفعه ويضره فنسبة ما عندهم من الطب إلى هذا الوحي كنسبة ما عندهم من العلوم إلى ما جاءت به الأنبياء بل ههنا من الأدوية التي تشفي من الأمراض ما لم يهتد إليها عقول أكابر الأطباء ولم تصل إليها علومهم وتجاربهم وأقيستهم من الأدوية القلبية والروحانية وقوة القلب واعتماده على الله والتوكل عليه والإلتجاء إليه والانطراح والانكسار بين يديه والتذلل له والصدقة والدعاء والتوبة والاستغفار والاحسان إلى الخلق وإغاثة الملهوف والتفريج عن المكروب فإن هذه الأدوية قد جربتها الأمم على اختلاف أديانها ومللها فوجدوا لها من التأثير في الشفاء ما لا يصل إليه علم الأطباء ولا تجربته ولا قياسه وقد جربنا نحن وغيرنا من هذا أموراً كثيرة ورأيناها تفعل ما لا تفعل الأدوية الحسية بل تصير الأدوية الحسية عندها بمنزلة الأدوية الطرقية عند الأطباء وهذا جار على قانون الحكمة الإلهية ليس خارجا عنها ولكن الأسباب متنوعة) .

٢ـ طب القلوب

أما طب القلوب فمسلم إلى الرسل صلوات الله وسلامه عليهم ولا سبيل إلى حصوله إلا من جهتهم وعلى أيديهم فإن صلاح القلوب أن تكون عارفة بربها وفاطرها وبأسمائه وصفاته وأفعاله وأحكامه وأن تكون مؤثرة لمرضاته ولمحابه ، متجنبة لمناهيه ومساخطه ولا صحة لها ولا حياة البتة إلا بذلك ، ولا سبيل إلى تلقيه إلا من جهة الرسل وما يظن من حصول صحة القلب بدون اتباعهم فغلط ممن يظن ذلك ، وإنما ذلك حياة نفسه البهيمية الشهوانية وصحتها وقوتها وحياة قلبه وصحته وقوته عن ذلك بمعزل ، ومن لم يميز بين هذا وهذا فليبك على حياة قلبه فإنه من الأموات وعلى نوره فإنه منغمس في مجار الظلمات [١].

(١) المرجع السابق ص ٦٤ .

وقال ابن القيم في فصل آخر[١] :

(فإن القلب متى اتصل برب العالمين وخالق الداء والدواء ومدبر الطبيعة ومصرفها على ما يشاء كانت له أدوية أخرى غير الأدوية التي يعانيها القلب البعيد منه المعرض عنه ، وقد علم أن الأرواح متى قويت طبيعته ونفسه وفرحت بقربها من بارئها وأنسها به ، وحبها له ، وتنعمها بذكره ، وانصراف قواها كلها إليه وجمعها عليه ، واستعانتها به وتوكلها عليه ، أن يكون ذلك لها من أكبر الأدوية وتوجب لها هذه القوة دفع الألم بالكلية ، ولا ينكر هذا إلا أجهل الناس وأعظمهم حجابا وأكثفهم نفسا وأبعدهم عن الله ، وعن حقيقة الإنسانية .

٣ـ التداوي

جاء في صحيح ابن ماجة كثيرا من الأحاديث فيها أمر للصحابة رضوان الله عليهم بالتداوي ، وأن الدواء والرقى هي من قدر الله عز وجل ، ومن ذلك :

ـ عن أسامة بن شريك ؛ قال : شهدت الأعراب يسألون النبي ﷺ : أعلينا حرج في كذا ؟ أعلينا حرج في كذا ؟ فقال لهم " عباد الله ! وضع الله الحرج[٢]إلا من اقترض[٣]من عرض أخيه شيئا . فذاك الذي حرج[٤] " فقالوا : يا رسول الله ! هل علينا جناح أن لا نتداوى ؟ قال " تداووا ، عباد الله ، سبحانه ، لم يضع[٥]داء إلا وضع معه شفاء[٦]. إلا الهرم[٧] " قالوا : يا رسول الله ! ما خير ما أعطى العبد ؟ قال " خلق حسن "[٨] .

ـ عن أبي خزامة ؛ قال : سئل رسول الله ﷺ : أرأيت أدوية نتداوى بها ،

---

(١) المرجع السابق ص٦٦ .

(٢) (وضع الله الحرج) أي الإثم عما سألتموه من الأشياء .

(٣) (إلا من اقترض) المعنى : وضع الله الحرج عمن فعل شيئا مما ذكرتم إلا عمن اقترض إلخ ، واقترض بمعنى قطع . ومعناه إلا من اغتاب أخاه أو سبه أو آذاه في نفسه ، عبر عنه بالاقتراض لأنه يسترد منه في العقبى .

(٤) (حَرِج) أي حَرُم .

(٥) (لم يضع) لم يخلق .

(٦) (شفاء) أي دواء شافيا .

(٧) (إلا الهرم) أي كبر السن .

(٨) ابن ماجة كتاب الطب ج ٤ ص ١١٣٧ وقد روى بعضه أبو داود والترمذي أيضا ، رروى بعضه أيضا البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : " ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء " البخاري شرح الكرماني ج ٢٠ ص ٢٠٤ .

ورقى[1] نسترقي بها ، وتقى[2] نتقيها ، هل ترد من قدر الله شيئا ؟ قال " هي من قدر الله[3] " [4].

- عن عبد الله ، عن النبي ﷺ قال " ما أنزل الله داء ، إلا أنزل له دواء " [5].

- عن أبي هريرة ؛ قال[6]: قال رسول الله ﷺ " ما أنزل الله داء ، إلا أنزل له شفاء " .

- عن أسامة بن شريك ، قال : أتيت النبي ﷺ وأصحابه كأنما على رؤوسهم الطير ، فسلمت ثم قعدت ، فجاء الأعراب من ههنا وههنا ، فقالوا : يا رسول الله ، أنتداوى؟ فقال " تداووا فإن الله عز وجل لم يضع داء إلا وضع له دواء غير داء واحد الهرم " [7].

وهذه الأحاديث النبوية الشريفة ، واضحة الدلالة ، على جواز التداوى بالأدوية والرقى المشروعة ، وقد استدل الامام القرطبى رضى الله عنه [8] بقوله تعالى : ﴿ فيه شفاء للناس﴾ [9] على جواز التعالج بشرب الدواء وغير ذلك خلافا لمن كره ذلك من جلة العلماء وقال إنه لا معنى لمن أنكر ذلك ، ثم أشار إلى ما ورد فى صحيح السنة عن جابر عن رسول الله ﷺ أنه قال : " لكل داء دواء فإذا أصيب دواءُ الداء برأ بإذن الله " .

وأشار الإمام القرطبى الى بعض الأحاديث النبوية التى سبق أن أشرنا اليها آنفا ، ثم قال[10] : والأحاديث فى هذا الباب أكثر من أن تحصى ، وعلى إباحة التداوى والإسترقاء جمهور العلماء ، روى أن ابن عمر اكتوى من اللقوة[11] ورقى من العقرب . وعن ابن سيرين أن ابن عمر كان يسقى ولده الترياق[12] وقال مالك . لا بأس بذلك .

---

(١) (ورقى) جمع رقية ، وهو ما يقرأ من الدعاء لطلب الشفاء .

(٢) (وتقى) جمع تقاة . وأصلها وقاة ، قلبت الواو تاء . وهو ما يلجأ إليه الناس خوف الأعداء .

(٣) (هي من قدر الله) يعني أنه تعالى قدر الأسباب والمسببات ، وربط المسببات بالأسباب . فحصول المسببات عند حصول الأسباب من جملة القدر .

(٤) المرجع السابق . ورواه الترمذي في كتاب الطب باب ما جاء في الرق والأدوية ج٤ ص ٣٩٩ .

(٥) المرجع السابق . (٦) المرجع السابق .

(٧) أبو داود ج٤ ص٣ كتاب الطب باب في الرجل يتداوى .

(٨) الجامع لأحكام القرآن ج ١٠ ص ١٣٨ بتصرف .

(٩) سورة النحل الآية ٦٩ . (١٠) المرجع السابق ج ١٠ ص ١٣٩ .

(١١) اللّقوة (بالفتح) : مرض يعرض للوجه فيميله إلى أحد جانبيه .

(١٢) الترياق : ما يستعمل لدفع السم من الأدوية والمعاجين .

ثم أشار القرطبى إلى من كرهوا التداوى وحججهم فقال[1] :

وقد احتج من كره ذلك بما رواه أبو هريرة قال : قال رسول الله ﷺ ": دخلت أمة بقَضِّهـا[2] وقَضيضها الجنة كانوا لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون " ، قالوا : فالواجب على المؤمن أن يترك ذلك اعتصاما بالله وتوكلا عليه وثقة به وانقطاعا إليه ؛ فإن الله تعالى قد علم أيام المرض وأيام الصحة فلو حرص الخلق على تقليل ذلك أو زيادة ما قدروا ؛ قال الله تعالى : ﴿ ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها ﴾[3] وممن ذهب إلى هذا جماعة من أهل الفضل والأثر ، وهو قول ابن مسعود وأبى الدرداء رضوان الله عنهما . دخل عثمان بن عفان على ابن مسعود فى مرضه الذى قبض فيه فقال له عثمان : ما تشتكى ؟ قال ذنوبى . قال : فما تشتهى ؟ قال رحمة ربى . قال : ألا أدعو لك طبيبا؟ قال : الطبيب أمرضنى ، وذكر الحديث . وسيأتى بكماله فى فضل الواقعة إن شاء الله تعالى، وذكر وكيع قال : حدثنا أبو هلال عن معاوية بن قُرة قال : مرض أبو الدرداء فعادوه وقالوا : ألا ندعو لك طبيبا ؟ قال : الطبيب أضجعنى . وإلى هذا ذهب الربيع بن خيثم ، وكره سعيد بن جبير الرقى ، وكان الحسن يكره شرب الأدوية كلها إلا اللبن والعسل ، وأجاب الأولون عن الحديث بأنه لا حجة فيه ، لأنه يحتمل أن يكون قصد إلى نوع من الكى مكروه بدليل كى النبى ﷺ أُبَيا يوم الأحزاب على أكحله[4] لما رمى . وقال : (الشفاء فى ثلاثة) كما تقدم ، ويحتمل أن يكون قصد إلى الرقى بما ليس فى كتاب الله ، وقد قال سبحانه وتعالى : ﴿ وننزل من القرآن ما هو شفاء ﴾[5] ورقى أصحابه وأمرهم بالرقية .

وبالإضافة إلى الأحاديث الكثيرة التى رويناها فى مختلف الفصول السابقة ، عن الأدوية الطبيعية أو الروحانية لعلاج الكثير من الأمراض التى اشتكى منها بعض الصحابة نشير أيضا إلى بعض الأحاديث التى وصفت أو بينت العلاج لبعض الأمراض أو الجروح كعرق النساء ودواء الجراحة :

- عن أنس بن سيرين ؛ أنه سمع أنس بن مالك يقول : سمعت رسول الله ﷺ

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ج ١٠ ص ١٣٩ .

(٢) أى دخلوا مجتمعين ، ينقض آخرهم على أولهم ، وقال ابن الأعرابى : إن القض الحصى الكبار ، والقضيض الحصى الصغار ؛ أى دخلوا بالكبير والصغير .

(٣) الحديد الآية ٢٢ . (٤) الأكحل : عرق فى وسط الذراع . (٥) سورة الاسراء الآية (٨٢) .

يقـــول[1] : " شفاء عرق النساء ، إلية شاة أعرابية تذاب ، ثم تجزأ ثلاثة أجزاء ، ثم يشرب على الريق فى كل يوم جزء " فى الزوائد : إسناده صحيح ، رجاله ثقات[2] .

ـ عن سهل بن سعد الساعدى ؛ قال[3] : جُرح رسول الله ﷺ يوم أحد ، وكسرت رباعيته ، وهشمت البيضة على رأسه ، فكانت فاطمة تغسل الدم عنه ، وعلى يسكب عليه الماء بالمجن ، فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرة ، أخذت قطعة حصير فأحرقتها ، حتى إذا صار رماداً ، ألزمته الجُرح فاستمسك الدم[4] .

ـ عن ابن سهل بن سعد الساعدى ، عن أبيه ، عن جده ؛ قال[5] : إنى لأعـرف ، يوم أحـد ، من جرح وجـه رسـول الله ﷺ ، ومن كـان يُرقئ الكلم من وجـه رسـول الله ﷺ ويداويه ، ومن يحمل الماء فى المجن ، وبما دووى به الكلم حتى رقأ ، قال : أما من كان يحمل الماء فى المجن ، فعلى ، وأما من كـان يداوى الكلم ، ففاطمة . أحرقت له ، حين لم يرقأ ، قطعة حصير خلق ، فوضعت رماده عليه فرقأ الكلم[6] .

وما يؤكد موافقة الرسول ﷺ ، على التداوى ما ورد عن أبى سفيان ، عن جابر ، قال : بعث النبى ﷺ إلى أُبَىٍّ طبيبا فقطع منه عرقا[7] .

وكذلك ما ورد لصحيح البخارى فى باب هل يداوى الرجل المرأة أو المرأة الرجل ، عن رُبيع بنت معوذ بن عفراء قالت : كنا نغزو مع رسول الله ﷺ نسـقى القـوم ونخدمهم ونرد القتلى والجرحى إلى المدينة [8] .

بل إن الرسول ﷺ ، حثا منه على ألا يتعرض لعلاج الناس ، إلا من له سابق خبرة ودراية فى هذا المجال ، جعل الضمان على من طبب الناس بدون حق ، أى أنه بمفهوم المخالفة ، أن الطبيب المعلوم عنه ذلك ، إذا عالج أحد المرضى ولم يحدث الشفاء أو نتج عن العلاج بعض المضاعفات فإنه غير ضامن إذا أن الطبيب مطالب بأن يبذل أقصى استطاعته فى العلاج وفقا للأصول المهنية المعروفة طبيا ، أما الشفاء فهو من عند الله

---

(١) ابن ماجه كتاب الطب ج٤ ص ١١٤٧ باب دواء عرق النساء .

(٢) عرق النسا : عرق يخرج من الورك فيستبطن الفخذ ، ألية فى المنجد : الألية ما ركب العجز وتدلى من شحم ولحم .

(٣) المرجع السابق .

(٤) رباعيته : الرباعية ، بوزن الثمانية ، السن التى بين الثنية والناب ، البيضة : الخوذة وهى من آلات الحرب لوقاية الرأس ، والمجن : هو الترس .

(٥) المرجع السابق . (٦) يُرقئ : رقأ الدمع والدم سكن . وأرقاه غيره ، الكلم : الجرح .

(٧) أبى داود ج٤ ص٥ كتاب الطب باب متى تستحب الحجامة .

(٨) البخارى شرح الكرمانى كتاب الطب ج ٢٠ ص ٢٠٥ .

سبحانه وتعالى ، فمن المشاهد والمعروف أن الطبيب يوصى بعلاج واحد لمريضين بداء واحد ، ولكن يُشفى أحدهما ، ولا يبرأ الآخر .

فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ؛ قال : قال رسول الله ﷺ ": من تطبب ولم يُعلم منه طب قبل ذلك ، فهو ضامن " [1].

بل إنه ﷺ أعطى الأجر لمن قام بالتداوي ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ احتجم وأعطى الحجام أجره [2].

وقد سبق أن أشرنا في فصل (فاتحة الكتاب) إلى رواية أبي سعيد الخدري الذي رقى سيد القوم وأخذ غنما منهم ، ولا بأس بإعادة كتابة هذا الحديث نظرا للمعاني الكثيرة الطيبة التي يحتويها[3] :

ـ عن أبي سعيد الخدري قال : بعثنا رسول الله ﷺ في سرية فنزلنا بقوم فسألناهم القرَى[4]فلم يقرونا فلدغ سيدهم فأتونا فقالوا : هل فيكم من يرقي من العقرب ؟ قلت نعَم أنا ، ولكن لا أرقيه حتى تعطونا غنما قال : فأنا أعطيكم ثلاثين شاة ، فقلنا فقرأت عليه الحمد لله سبع مرات فبرأ وقبضنا الغنم قال : فعرض في أنفسنا منها شيء ، فقلنا لا تعجلوا حتى تأتوا رسول الله ﷺ قال : فلما قدمنا عليه ذكرت له الذي صنعت قال : وما علمت أنها رقية ؟ اقبضوا الغنم واضربوا لي معكم بسهم .

ـ حدثنا شعبة . حدثنا أبو بشر قال : سمعت أبا المتوكل يحدث عن أبي سعيد أن ناسا من أصحاب النبي ﷺ مروا بحي من العرب فلم يقروهم ولم يضيفوهم ، فاشتكى سيدهم فأتونا فقالوا : هل عندكم دواء ؟ قلنا نعم ، ولكن لم تقرونا ولم تضيفونا ، فلا نفعل حتى تجعلوا لنا جُعْلاً ، فجعلوا على ذلك قطيعا من الغنم قال : فجعل رجل منا يقرأ عليه بفاتحة الكتاب فبرأ . فلما أتينا النبي ﷺ ذكرنا ذلك له قال : وما يدريك أنها رقية ولم يذكر نهيا منه وقال : كلوا واضربوا لي معكم بسهم .

قال أبو عيسى : هذا حديث صحيح ، وهذا أصح من حديث الأعمش عن جعفر بن إياس ، وهكذا روى غير واحد هذا الحديث عن أبي بشر جعفر بن أبي وحشية عن أبي المتوكل عن أبي سعيد ، وجعفر بن إياس هو جعفر بن أبي وحشية .

---

(١) ابن ماجه ج٢ص ١١٤٨ .

(٢) البخاري شرح الكرماني ج ٢٠ ص ٢١٢ كتاب الطب باب في جواز الأجر والتداوي .

(٣) الترمذي ج٤ ص٣٩٨ ، ٣٩٩ كتاب الطب باب ما جاء في أخذ الأجر على التعويذ .

(٤) القرى والضيافة : متقاربان .

وقد أشار ابن القيم إلى حديث الرسول ﷺ الذي ورد في البخاري وأبو داود والترمذي : " ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء " [1]، وإلى غيره من الأحاديث التي تضمنت المعنى نفسه ، ثم قال[2]:

تضمنت هذه الأحاديث إثبات الأسباب والمسببات وإبطال قول من أنكرها ويجوز أن يكون قوله لكل داء دواء على عمومه حتى يتناول الأدواء القاتلة والأدواء التي لا يمكن طبيب أن يبرئها ويكون الله عز وجل قد جعل لها أدوية تبرئها ولكن طوى علمها عن البشر ولم يجعل لهم إليه سبيلا لأنه لا علم للخلق إلا ما علمهم الله ولهذا علق النبي ﷺ الشفاء على مصادفة الدواء للداء فإنه لا شئ من المخلوقات إلا له ضد وكل داء له ضد من الدواء يعالج بضده فعلق النبي ﷺ البرء بموافقة الداء للدواء وهذا قدر الزائد على مجرد وجوده فإن الدواء متى جاوز درجة الداء في الكيفية أو زاد في الكمية على ما ينبغي نقله إلى داء آخر ومتى قصر عنها لم يف بمقاومته وكان العلاج قاصرا ومتى لم يقع المداوي على الدواء لم يحصل الشفاء ومتى لم يكن الزمان صالحا لذلك الدواء لم ينفع ومتى كان البدن غير قابل له أو القوة عاجزة عن حمله أو ثم مانع يمنع من تأثيره لم يحصل البرء لعدم المصادقة ومتى تمت المصادقة حصل البرء ولابد وهذا أحسن المحملين في الحديث.

والثاني : أن يكون من العام المراد به الخاص لا سيما والداخل في اللفظ أضعاف أضعاف الخارج منه وهذا يستعمل في كل لسان ويكون المراد أن الله لم يضع داء يقبل الدواء إلا وضع له دواء فلا يدخل في هذا إلا دواء التي لا تقبل الدواء وهذا كقوله تعالى في الريح التي سلطها على قوم عاد تدمر كل شئ بأمر ربها أي كل شئ يقبل التدمير ومن شأن الريح أن تدمره ونظائره كثيرة ومن تأمل خلق الأضداد في هذا العالم ومقاومة بعضها لبعض ودفع بعضها ببعض وتسليط بعضها على بعض تبين له كمال قدرة الرب تعالى وحكمته وإتقانه ما صنعه وتفرده بالربوبية والوحدانية والقهر وأن كل ما سواه فله ما يضاده ويمانعه كما أنه الغني بذاته وكل ما سواه محتاج بذاته .

وفي هذه الأحاديث الصحيحة الأمر بالتداوي وأنه لا ينافي التوكل كما لا ينافيه دفع داء الجوع والعطش والحر والبرد بأضدادها بل لا يتم حقيقة التوحيد إلا بمباشرة

---

(١) البخاري شرح الكرماني ج ٢٠ ص ٢٠٤ .

(٢) زاد المعاد ج٣ ص ٦٧ ، ٦٨ .

الأسباب التي نصبها الله مقتضيات معطلها أن تركها لمسبباتها قدرا وشرعا وأن تعطيلهايقدح في نفس التوكل كما يقدح في الأمر والحكمة ويضعفه من حيث يظن أقوى في التوكل فإن تركها عجزا ينافي التوكل الذي حقيقته إعتماد القلب على الله في حصول ما ينفع العبد في دينه ودنياه ودفع ما يضره في دينه ودنياه ، ولابد مع هذا الإعتماد من مباشرة الأسباب وإلا كان معطلا للحكمة والشرع فلا يجعل العبد عجزه توكلا ، ولا توكله عجزا ، وفيها رد على من أنكر التداوي وقال إن كان الشفاء قد قدر فالتداوي لا يفيد وإن لم يكن قدر فكذلك .

وأيضا فإن المرض حصل بقدر الله ، وقدر الله لا يدفع ولا يرد وهذا السؤال هو الذي أورده الأعراب على رسول الله ﷺ ، وأما أفاضل الصحابة فأعلم بالله وحكمته وصفاته من أن يوردوا مثل هذا ، وقد أجابهم النبي ﷺ بما شفى وكفى فقال هذه الأدوية والرقى والتقى هي من قدر الله فما خرج شئ عن قدره بل يرد قدره بقدره ، وهذا الرد من قدره فلا سبيل إلى الخروج عن قدره بوجه ما ، وهذا كرد قدر الجوع والعطش والحر والبرد بأضدادها وكرد قدر العدو بالجهاد وكل من قدر الله الدافع والمدفوع والدفع ويقال لمورد هذا السؤال هذا يوجب عليك أن لا تباشر سببا من الأسباب التي تجلب بها منفعة أو تدفع بها مضرة لأن المنفعة والمضرة إن قدرتا لم يكن بد من وقوعهما وإن لم تقدرا لم يكن سبيل إلى وقوعهما وفي ذلك خراب الدين والدنيا وفساد العالم وهذا لا يقوله إلا دافع للحق معاند له فيذكر القدر ليدفع حجة المحق عليه كالمشركين الذين قالوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولو شاء الله ما عبدنا من دونه من شئ نحن ولا آباؤنا فهذا قالوه دفعا لحجة الله عليهم بالرسل وجواب هذا السائل أن يقال بقي قسم ثالث لم تذكره وهو أن الله قدر كذا وكذا بهذا السبب فإن أتيت بالسبب حصل المسبب وإلا فلا فإن قال إن كان قدر لي السبب فعلته وإن لم يقدره لي لم أتمكن من فعله قيل فهل تقبل هذا الإحتجاج من عبدك وولدك وأجيرك إذا احتج به عليك فيما أمرته به ونهيته عنه فخالفك فإن قبلته فلا تلم من عصاك وأخذ مالك وقذف عرضك وضيع حقوقك وإن لم تقبله فكيف يكون مقبولا منك في دفع حقوق الله عليك .

وقد روي في أثر إسرائيلي أن إبراهيم الخليل قال : يا رب ممن الداء قال : مني قال : فممن الدواء قال : مني قال : فما بال الطبيب قال : رجل أرسل الدواء على يديه .

وفي قوله ﷺ لكل داء دواء تقوية لنفس المريض والطبيب وحث على طلب ذلك الدواء والتفتيش عليه فإن المريض إذا استشعرت نفسه أن لدائه دواء يزيله تعلق قلبه

بروح الرجاء وبرد من حرارة اليأس وانفتح له باب الرجاء ومتى قويت نفسه إنبعثت حرارته الغريزية وكان ذلك سببا لقوة الأرواح الحيوانية والنفسانية والطبيعية ومتى قويت هذه الأرواح قويت القوة التي هي حاملة لها فقهرت المرض ودفعته وكذلك الطبيب إذا علم أن لهذا الداء دواء أمكنه طلبه والتفتيش عليه وأمراض الأبدان على وزان أمراض القلوب وما جعل الله للقلب مرضا إلا جعل له شفاء بضده فإن علمه صاحب الداء واستعمله وصادف داء قلبه أبرأه بإذن الله تعالى) .

يتضح مما سبق أنه ورد عن السلف أن منهم من رفض العلاج باعتبار المرض من الله وأن الشفاء منه أيضا ، وهو وحده المانح المعطي الشافي إلى غير ذلك من الصفات التي يختص بها سبحانه وتعالى ، وأن المرض يحدث بقَدَر من الله منذ الأزل ، وأن الشفاء أيضا كذلك ، سيحدث إن كان قد قدره تداوى الإنسانُ أم لم يتداو .

أما الرأي الغالب من السلف والخلف ويؤيده الكثير من الأحاديث النبوية الشريفة فيرى أن التداوي أيضا من قدر الله سبحانه وتعالى ، وأن الله عز وجل ما خلق داء إلا وخلق له دواء ، فالمريض يأخذ الدواء كأسباب للشفاء ، كما أن الجائع يأكل الطعام ، والعطشان يشرب الماء ، لأن الله سبحانه وتعالى قادر أن يخلق الشبع في بطن الشخص بدون الطعام ويخلق الإرتواء بدون الشراب ، كما أنه قادر على الإبقاء على الجوع والعطش رغم تناول الطعام والشراب ، وهذا مشاهد فعلا في بعض الأمراض التي من هذا النوع ، ندعو الله أن يعافينا منها ويصرفها عنا .

ومع ذلك ، ومع إني أميل إلى الرأي الثاني ، الذي يأخذ بالتداوي ، إلا إنني لا أحكم بخطأ الرأي الأول ما دام صاحبه مقتنعا به ويطبقه على نفسه فقط ، ولا يفرضه على الغير أو يُخَطِّئه إن قام بالتداوي فالاعتماد على الله مطلوب في كل شئ ، فهو نعم المولى ونعم الوكيل والنصير وهو القادر وهو المانح والمانع وهو المعطي الوهاب الشافي .

ولكن لي ملاحظة بسيطة على من يأخذون بالرأي الأول ، هو أن المريض يمكن أن يتحمل المرض إلى درجة معينة انتظارا للشفاء من الله ، ولكن ما الحكم إذا زاد ألم المرض إلى درجة منعت الإنسان من ممارسة عباداته وأداء مقتضيات أمور حياته ، هل يمتنع عن التداوي والأخذ بالأسباب التي خلقها الله ويستمر في معاناته ومرضه وتوقف مسيرة حياته ، وما قد يسببه ذلك من ألم وتعطيل لمصالح أهله والمقربين إليه . . أم يأخذ بالأسباب ويقتدي برسول الله ﷺ ، ويلجأ إلى المختصين من الأطباء الذين يمكن أن

ييسروا له سبيل الشفاء بالعلم الذي منحه الله لهم وبالدواء الذي خلقه الله لهذا المرض.

وأصحاب الرأي الأول يذكرونني بسيدنا إبراهيم عليه السلام ، حينما ألقاه قومه في النار ، وسأله سيدنا جبريل عليه السلام عما إذا كان لديه حاجة ؟ فقال : أم لك فلا وأما لله فنعم ، وعندما طلب منه أن يسأله قال له : علمه بحالي غني عن سؤالي . . وهذه حالة إيمانية عالية ، لا يطالب بها جميع الناس ، لأن الإيمان يتفاوت من شخص لآخر ، بل الإيمان ـ كما علمنا رسول الله ﷺ - يزيد وينقص للشخص نفسه بين حين وآخر .

وسيدنا رسول الله ﷺ ، وهو أفضل الأنبياء والمرسلين وخير البشر أجمعين ، ورسالته خاتم الرسالات ، لذا فقد بُنيت على اليسر والتيسير ، فلو طالب ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ الناس بعدم التداوي ، لكان في ذلك مشقة كبيرة عليهم ، ولكنه ﷺ أرشدهم إلى ما فيه راحتهم ويساعدهم على أداء عباداتهم وقضاء أمورهم وحسن عاقبتهم في الدنيا والآخرة .

والتداوي يكون بالمواد غير المجرم تناولها ، فلا يجوز بالنجس الحرام ويشمل ذلك كل المأكولات والمواد المنهي عنها لضررها بالجسم أو لإذهابها للعقل من غير ضرورة. وقد سبق أن أشرنا إلى أحاديث الرسول ﷺ التي أشارت إلى ذلك في المبحث الخاص باجتناب الخمر والمواد المخدرة والمحرمة الخبيثة .

ولنا في رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة ، فهو قدوة المتوكلين وإمام المتقين ، وصلته بالله عز وجل أقوى ما تكون ، ولم يمنعه كل ذلك من التداوي ، وأن يقوم هو بنفسه بعلاج بعض الصحابة مما ألَمَّ بهم من أمراض بدنية أو نفسية أو روحانية ، كما أوصى البعض الآخر بأن يلجأ إلى طبيب ليعالجه . . . وهو صلوات الله وسلامه عليه في هذا وذاك إنما يوضح لنا طريقنا ، ويرشدنا إلى صراط الله المستقيم . . والمنهج الصحيح الذي يجب أن يتخذه كل منا نبراسا وهداية له .

خاتمـــــة

أحمد الله سبحانه وتعالى ، على تيسيره لي ، الوقت والجهد ، للكتابة في هذا الموضوع المفيد ، الذي يحتاج إلى تضافر الجهد من كافة المعنيين بالسنة النبوية الشريفة ، لبيان المزيد من الهدي النبوي في هذا المجال الهام .

وقد حاولت على قدر المستطاع الإحاطة بهدي الرسول ﷺ ومنهجه في علاج الأمراض الصحية والنفسية ، ولكني كلما أكثرت من البحث في كتب السنة وشروحها ، وجدت المزيد من هدي الرسول ﷺ ، مما أرجو أن ييسر الله لي ولغيري ، الكتابة عنه إن شاء الله تعالى ، لإعطائه حقه من البيان والإيضاح .

وأرجو أن يوفقني الله ويوفق جميع المسلمين ، إلى اتباع هدي الرسول ﷺ في كل أقواله وأفعاله ، لأن في ذلك الخير كل الخير في الدنيا والآخرة ، وفيه طاعة لله عز وجل ، الذي أمرنا بطاعته وطاعة رسوله الكريم ﷺ ومن ذلك قوله تعالى :

﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب﴾ الحشر : ٧ .

﴿ وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم ﴾ الشورى : ٥٢ .

﴿ وإنك لتدعوهم إلى صراط مستقيم ﴾ المؤمنون : ٧٣ .

أما معارضة ما ورد عن الرسول ﷺ أو الجدل فيه ، فهو يدل على الجهل بحقيقة الأمور وعدم الإحاطة التامة بها وينطبق عليهم قول الله سبحانه وتعالى : ﴿بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ﴾ يونس : ٣٩ ، ﴿ ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد ﴾ الحج : ٣ ، والمثل المشهور القائل (الناس دائما أعداء لما جهلوا) .

وما أحوجنا إلى المحافظة على صحتنا ووقتنا ونمتثل لهديه ﷺ ولقوله فيما رواه عنه ابن عباس :

"نعمتانِ مَغبُون فيهما كثير من الناس : الصِّحَّة والفراغُ " (١).

فندعو الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا ممن قالوا (سمعنا وأطعنا) حتى ننتفع بالخير الذي ساقه الله إلينا عن طريق رسوله الحبيب ﷺ ، وينتفع بنا المجتمع الإسلامي كله . . إنه سميع قريب مجيب الدعاء .

---

(١) الترمذي ج٤ ص ٥٥٠ كتاب الزهد باب الصحة والفراغ نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس .

مراجـــع الكتـــــاب

القرآن الكريم وتفاسيره :

- الجامع لأحكام القرآن - للقرطبي - مطبعة دار الكتب المصرية .
- التفسير الكبير للفخر الرازى - دار الكتب العلمية - طهران - الطبعة الثانية .
- تفسير القرآن العظيم - ابن كثير - دار إحياء الكتب العربية .
- صفوة التفاسير - محمد على الصابونى - دار القرآن الكريم - بيروت .

السنة النبوية وشروحها :

- شرح صحيح البخارى - للكرمانى - المطبعة المصرية .
- فتح البارى فى شرح صحيح البخارى - ابن حجر العسقلا نى - مكتبة القاهرة
- صحيح مسلم - دار إحياء الكتب العربية - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى .
- سنن أبى داود - تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد - دار إحياء السنة النبوية .
- سنن الترمذى - تحقيق ابراهيم عطوة عوض - مطبعة الحلبى .
- سنن ابن ماجة - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى - دار الحديث .
- موطأ الإمام مالك - تعليق محمد فؤاد عبد الباقى - مطبعة عيسى الحلبى .
- رياض الصالحين - للإمام النووى - مكتبة شباب الأزهر .
- خطب الرسول ﷺ - جمعها محمد خليل الخطيب - دار الفضيلة .
- الترغيب والترهيب - للمنذرى - دار الحديث .
- نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار - للشوكانى - المكتبة التوفيقية .

ـ المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى ـ أ. ى. ونسنك ـ مطبعة بريل/ لندن .

لغـــــة :

ـ لسان العرب ـ لابن منظور ـ دار المعارف .

ـ المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير للرافعى ـ المطبعة الأميرية ـ القاهرة .

فقــه إســـــلامى :

الفقه على المذاهب الأربعة ـ عبد الرحمن الجزيرى ـ دار التراث العربى .

ـ زاد المعاد فى هدى خير العباد ـ ابن قيم الجوزية ـ المطبعة الأميرية .

ـ الفتاوى ـ ابن قيم الجوزية .

ـ تحفة المودود وأحكام المولود ـ ابن قيم الجوزية ـ المكتبة القيمة .

ـ حاشية الباجورى على ابن قاسم ـ دار إحياء الكتب العربية .

مراجـــع طبيـــة:

ـ الصوم وأمراض السمنة ـ د. محمد على الباز ـ الدارالسعودية للنشر والتوزيع .

ـ الإعجاز الطبى للقرآن ـ د. السيد الجميلى ـ دار التراث العربى للطباعة والنشر .

ـ الإيدز ـ كتاب اليوم الطبى ـ د. رفعت كمال .

ـ مجلة طبيبك الخاص ، ومجلة الفيصل الطبية .

مـــراجع عامـــــة :

ـ الأذكار ـ النووى ـ مكتبة المتنبى .

ـ عناية الإسلام بالصحة البدنية ـ كاملة الأنوار محمد صابر حجاب .

ـ القرآن دواء . . فيه وقاية وشفاء ـ عبد الرزاق نوفل ـ كتاب اليوم .

ـ البركة فى فضل السعى والحركة ـ عبد الله الحبيشى ـ دار المعرفة .

ـ الأحوال الشخصية ـ الشيخ محمد أبو زهرة ـ دار الفكر العربى .

ـ حقوق الأولاد والأقارب ـ د. محمد الحسينى حنفى ـ دار التأليف .

ـ رعاية الأم والطفل ـ د. زكى شعبان .

- الإسلام وتحريم المخدرات والمسكرات والمفترات - للمؤلف .

- معنى لا إله إلا الله - بدر الدين محمد الزركشي - دار النصر للطباعة الإسلامية.

- إحياء علوم الدين - محمد الغزالي - دار الشعب .

- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي - ابن قيم الجوزية

- ففروا إلى الله - أبي ذر القلموني .

- محاضرات في الصحة النفسية - كلية التربية قسم الصحة النفسية .

- مدخل إلى الطب الإسلامي - د. علي محمد مطاوع - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

فهـــرس



دار الأمين للطباعة

٨ ش أبو المعالى (العجوزة) الجيزة - ت/فاكس: ٣٤٧٣٦٩١

١ ش سوهاج من ش الزقازيق - الهرم - ت/فاكس : ٥٦٣٤١٩٩